أحمد قريع
أبو علاء

على دروب الفتح

(٤)

زمن فتح الكبيرة

فلسطين

جامعة القدس
معهد القدس للدراسات والأبحاث

أحمد قريع
أبو علاء

علي دروب الفتح

(٤)

زمن فتح الكبيرة

جامعة القدس
معهد القدس للدراسات والأبحاث

زمن فتح الكبيرة،

الكتاب الرابع من سلسلة إصدارات "**على دروب الفتح**".

أحمد قريع (أبوعلاء) / مؤلف من فلسطين.

الطبعة الأولى، 1443 هـ - 2022 م

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من معهد القدس للدراسات والأبحاث / جامعة القدس.

القدس ، فلسطين

معهد القدس للدراسات والأبحاث

جامعة القدس

صندوق بريد: 51000

تلفاكس: 00972-02-2790666 .

الموقع الالكتروني: https://isr.alquds.edu

البريد الالكتروني: isr@alquds.edu

الرقم المعياري: **ISBN 978-9950-364-38-7**

جامعة القدس
معهد القدس للدراسات والأبحاث

ISBN 978-9950-364-38-7
9 789950 364387

الفهرس

تـمـهـيـد ٥
مقدّمة لا بدَّ منها ٩
اكتمل الحصار.. وأصبحت بيروت مركز العالم.. ١٥
صديقي أبو موسى /سعيد موسى مراغة ٢٣
الهجوم الإسرائيليّ -الاجتياح ٢٥
قصف المدينة الرّياضيّة.. ٢٩
القوّات الفلسطينيّة والقوّات السّوريّة في بدايّة العدوّان ٣١
الإنزال في منطقة الأوّلي - حصارمدينة صيدا ٣٧
صور المدينة المقاومة.. ٣٩
معركة قلعة الشّقيف الخالدة ٤٥
المقاومة الباسلة في مخيّم عيّن الحلوة.. ٥١
صيدا ثورة ومقاومة.. ٥٣
معركة الشّوف ٥٥
السّوريّون يدخلون المعركة دفاعاً عن دمشق ٥٩
معركة الدّامور.. ٦٥
حِصار / بيروت ٧١
تقدّم الجيش الإسرائيليّ على مشارف بيروت ٧٣
معركة بوابة بيروت -خلدة.. ٧٩
معركة الأوزاعي - امتداد لمعركة خلدة ٨٥
بيروت بين القصف الإسرائيليّ وتفجيرات العملاء ٩١
معركة المطار ومعركة المتحف آخر معارك ما قبل التّدخّل الأمريكيّ ٩٥
حصار بيروت - الاستعداد والصّمود ٩٥
معركة المطار.. ٩٧

معركة المتحف الصّخرة الثّانية في وجه العدوّان ١٠١
البحث عن مخارج من خلال التّدخّل الأمريكيّ المباشر ١١١
معركة المتحف وضعت م. ت. ف على طاولة الحوار ١١٧
إعلان وقف إطلاق النّار الأوّل ١١٩
حوارات التّحديّ الشّروط والشّروط المضاده ١٣١
الاحتلال يفرض بشير الجميّل مرشّحاً لرئاسة الجمهوريّة ١٣٧
بشير الجميّل رئيساً /دفَع الفاتورة ١٣٩
بيروت الأسطورة.. وعرفات يقول: «اركع أيّها المجد»! ١٤٩
حبيب يقنع العرب استقبال رجال م.ت.ف ١٥١
عرفات أيّها المجد اركع لبيروت ١٥٥
وداعاً بيروت... لقد آن وقت الرّحيل ١٦٥
وداع عرفات: زغاريد، بكاء، وإطلاق نار، هتافات، وأناشيد...! ١٦٩
الاجتياح الإسرائيليّ عام ١٩٨٢ النّتائج العسكريّة والسّياسيّة ١٧٣
نتائج هذه الحرب على الصّعيد الفلسطينيّ ١٧٩
شارون يعدّ لمذبحة بالتّنسيق مع القوّات اللبنانيّة ١٨٥
اغتيال بشير الجميّل المفاجئ ١٨٩
الموارنة في فلسطين ١٩٣
المجازر ضدّ الفلسطينيين ١٩٧
مذبحة صبرا وشاتيلا- الجريمة الكبرى ٢٠١
المذبحة - المجزرة - الجريمة استمرت أكثر من أربعين ساعة ٢٠٥
الخلاصة -أعداد الضّحايا ٢١٩
لجنة كاهان جزء وشريك في المذبحة ٢٢١
جميعهم مجرمون متورطون مشاركون في الجريمة ٢٢٩
انتشار الجّيش اللبنانيّ بالتّنسيق مع الجّيش الإسرائيليّ في بيروت الغربيّة ٢٣٣
صُـوَر ٢٣٧

تمهيد

في الجزء الرابع من هذه السلسلة، وقد اسميناه «زمن فتح الكبيرة» توقفنا طويلاً عند واحدة من اهم معاركها الكبيرة، وحاولنا ابراز واحد من أنبل ملاحم صمود الثورة الفلسطينية وثباتها في الملمات، التي كثيراً ما واجهت البندقية الثائرة على مدى العقود الطويلة السابقة، لا سيما وان ثورتنا كانت ثورة البنادق بالدرجة الأولى، هذه البنادق التي عاندت المستحيل، وعاكست اتجاه الريح، وصنعت في نهاية مطاف قصير فجراً فلسطينياً لم تنطفئ شمسه رغم كل ما لبد سماءنا من غيوم سوداء.

اذ يكاد هذا الجزء، وهو الرابع، ان يكون مقتصراً على معركة بيروت، أي على الغزو الاسرائيلي لأول عاصمة عربية عام ١٩٨٢، وما سبق ذلك الغزو ورافقه من حيثيات وتطورات ومشاهد بطولة ومؤامرات، كانت في مجموعها هي المعركة بكل تفاصيلها، وكانت ايضاً هي الملحمة بكل تجلياتها، فيما كانت خواتيمها الخطوة الأولى على طريق العودة الى فلسطين، وفق ما عبر عنه قائد الثورة ورمزها ياسر عرفات، عندما سأله الصحافيون؛ الى اين من هنا يا أبا عمار؟ فأجاب بثقة؛ الى فلسطين. وقد تحقق ذلك بعد نحو عقد واحد من السنوات.

لذلك كان منطقياً وضرورياً ان نخصص جزأ كاملاً من هذه السلسلة لمعركة بيروت، وان نحاول ما امكن الإضاءة عليها من كل الجوانب، فهي معركتنا العسكرية الكبرى الأخيرة في لبنان، وهي كذلك صفحة مجيدة من

صفحات العسكرية الفلسطينية الباسلة، حيث صمدنا فيها ٨٨ يوماً ، وسطرنا بطولات مثيرة للفخر والاعتزاز الوطني ابد الدهر، حيث قاتلنا اقوى الجيوش في المنطقة، لم تلن لنا قناة ولم تضعف لدينا عزيمة، وخرجنا منها مرفوعي الرؤوس ببنادقنا الثورية، وواصلنا بعدها النضال بأشكال لا حصر لها، الى ان عدنا لأول ارض فلسطينية متاحة.

لم تكن معركة بيروت المجيدة حقاً مجرد مواجهات عسكرية متواصلة، شملت جنوب لبنان وبيروت العاصمة، وانما كانت ايضاً حصاراً وصموداً اسطورياً واجتياحاً، ومجزرة رهيبة، تلك التي حدث في مخيمي صبرا وشاتيلا بعد خروج قوات الثورة من معقلها ومن بين جماهيرها، وتلك التي حفرت عميقاً في الوجدان الفلسطيني، لما انطوت عليه من غدر وبشاعة، ومن تآمر بين قوى انعزالية لبنانية كارهة وبين قوات الاحتلال الاسرائيلية الغازية، التي هيأت الظروف وامدت بالسلاح ووقفت متفرجة على عملائها وهم يذبحون الأطفال ويبقرون بطون النساء، في مشهد وحشي لا سابق له.

واحسب ان هذا الجزء من هذه السلسلة، المقدر لها ان تغطي مرحلة زمنية طويلة، جزء فيه قدر كبير من التوثيق، وقدر أكبر من التحليل والتذكير، ان لم اقل فتح جروح لم تندمل بعد، واستعادة لوقائع لم تسقط من الذاكرة الفلسطينية المثقلة بالفواجع، من دير ياسين الى قبيه الى السموع، ولم تتوقف في تل الزعتر، وان كانت خاتمتها الكبرى في صبرا وشاتيلا، الامر الذي دعاني في هذا الجزء من السلسلة الى إيلاء معركة بيروت، وحصارها المديد، ومذبحتها المرعبة، كل هذه العناية الاستثنائية، وتخصيص كتاب كامل لها، اعتقاداً مني ان هذه الصفحة من كتاب الثورة الاشمل، بكل ما حفلت به، هي صفحة عزيزة على قلوب الذين عايشوا تلك الوقائع، وكانوا شهوداً عليها.

ولعل ما يثير الأسى والشجن، ويبعث على التأمل الطويل وامعان النظر، واخذ الدروس والعبر المفيدة، ان معركة بيروت، حصارها، مجزرتها، ومشاهد الوداع لأبطالها، قد وقعت في فترة ما اسميناه «زمن فتح الكبيرة» التي كبرت حقاً في تلك المرحلة على نحو لم نشهده في أي من المراحل الزمنية السابقة، حيث أصبحت رقماً صعباً بحق وحقيقة، وجزءاً اساسياً من المعادلة السياسية في المنطقة، وهو ما يبدو انه كان الدافع الأول لحصارها لنحو ثلاثة اشهر، ومحاولة ضربها ضربة مميتة، وفق ما دلت عيه الحشود الحربية الإسرائيلية، والتدخلات الدولية، وفي المقدمة منها تدخل الولايات المتحدة الأميركية، لإخراج الثورة من قاعدتها الرئيسية.

نقول ذلك وفي الذهن كل ما تختزنه الذاكرة من حقائق ووقائع وسجالات عن معركة بيروت الخالدة في الضمائر الفلسطينية، تلك المعركة التي أخذت الثورة الى أماكن بعيدة، الا انها حررتها من دكتاتورية الجغرافيا العنيدة، ومن اكراهاتها البغيضة، ومنحت القيادة الفلسطينية، ولأول مرة في حياتها السياسية هامشاً واسعاً للمناورة، وقدراً كبيراً من الحرية في التصرف واخذ القرارات المناسبة لمقتضيات العمل الوطني الفلسطيني، دون املاءات وقيود كانت تفرضها علينا قوى وعواصم حاولت باستماته ارغامنا على التماهي معها بالقوة الجبرية.

وعلى قاعدة «رُبّ ضارة نافعة» فإنه يمكنني القول انه لولا الخروج من بيروت، على ما اشتمل عليه ذلك الخروج من آلام وتضحيات وخسائر بالجملة، لما تمكنت القيادة الفلسطينية العليا من إدارة معركتها التفاوضية الصعبة مع إسرائيل بعد نحو عشر سنوات من ذلك الخروج المشرف، دون تحسبٍ كنا

نضعـه ضمـن الأولويـة الأولى مـن اعتباراتنـا، ونـراعي الا يثـير علينا مزيـداً من المؤامـرات والدسـائس مـن حولنا، تمامـاً على ما نحـو انجزناه في مفاوضات أوسـلو، وحققنـاه بعـد ذلـك من مكاسـب كيانيـة لا تـزال شـاهدة على أهميـة التحرر من اكراهـات ودكتاريـة الجغرافيا.

مقدّمة لا بدَّ منها

لـم يكـن هـدفي تأريـخ معـارك الثّـورة الفلسـطينيّة العسـكريّة بمثـل هذا التّفصيـل، رغـم أنّ أهـمّ أنشـطتنا النّضاليّـة و أبرزهـا هي النّشـاطات العسـكريّة، وبعبـارة أوضـح كان هدفي (أنشـطة المقاومة الفلسـطينية، ومعاركها، وكلّ أشـكالها) الّـتي رافقـت القضية.

إنّ طبيعـة الغـزوة البربريّة الهمجيّـة الإسرائيليّة، وأهدافهـا على لبنان لضرب المقاومـة الفلسـطينيّة الباسـلة وحلفائهـا اللبنانيّـين واجتثاث جذورهـم من لبنان -كمـا كان يقـول قـادة العـدوّ- هي الّـتي شـجّعتني على الإسـهاب في وصـف مختصرٍ للمعـارك الّتي ترتّبت على العـدوّان الإسرائيليّ الإجراميّ على لبنـان، وعلى مدنه وقراه مـن الجنـوب حتّى بـيروت، وكانـت المخيّمـات الفلسـطينيّة على كلّ الأرض اللبنانيّة هي الهـدف الأوّل للهجمـات الإسرائيليّـة ووسـائله المدّمـرة مـن طائـرات حربيّة، وبـوارج، ومدفعيّـة، ودبّابـات وراجمـات صواريـخ، ومائـة وسـبعين ألـف جنـديّ إسرائيـليّ، مدجّجين بأحـدث الأسـلحة، وخلفهم كلّ القـوّة العدوّانيّـة الإسرائيليّة والجيـش الإسرائيليّ.

لقد شـهدت معـارك التّصـدّي لهذا العـدوّان الإسرائيـليّ بطـولات تنوء عن الوصـف عندمـا كانت تقـوم بعمليّـات التّصـدّي والمواجهـة، والتّكتيـك والمناورة، والقـدرة الخارقـة على الصّمـود والتّصـديّ في مواجهة هـذا العدوّان.

لقـد كانـت كلّ معركـة في مواجهـة العـدوّان حكايـة مـن حكايـات تخلّلهـا بطـولات مذهلـة، حيـث كان لابـدّ مـن ذكرها، وتكـرار ذكرهـا، بـكلّ المفاهيم

العسكريّة والإنسانيّة والقدرات والإمكانات. ورغم أنّني لست عسكرياً بحرفيّة الكلمة، إلّا أنّني عشت كلّ مراحل العدوّان، وشاركت في التّصدي لهذا العدوّان من موقعي، وتعرّفت على كلّ القرارات والخطط العسكريّه الفلسطينيّة من خلال ملازمتي للأخ (أبو عمّار)، ووجودي في غرفة العمليّات العسكريّة، ومحبّتي لأخي أبي موسى القادم من وسط المعارك في الجنوب.

تعمّقت في التّعرف على المصطلحات العسكريّة ومعانيها وأبعادها. ورغم أنّي أقرّ أنّ الكتابة عن الأعمال العسكريّة هي من اختصاص العسكريين، إلاّ أنّني استطعت أن أجمع وأراقب وأشارك في كلّ تلك المحطّات؛ لكي أقدّم عملاً متكاملا لكلّ ما مرّبه هذا الشّعب العظيم المعطاء... إذْ نادراً ما تجد في الشّعب الفلسطينيّ من لايتحدّث بالعسكريّة حتّى أطفالنا أصبحوا جنرالات... لهذا كان لا بدّ من هذه المقدّمه التّوضيحيّة.

وبناء على ما تقدّم، فقد أعطى الأخ أبوعمّار حرّيّة العمل والاستعدادات للأخ اللواء سعد صايل (ابو الوليد)، ووضع كلّ الإمكانات وحرّيّة التّصرّف والحركة تحت تصرّفه... وبالطّبع كان ذلك بإشراف ومشاركة وتعاون الأخ (أبو جهاد) ومشاركة وتعاون كنائب للقائد العامّ.

تمّ الاستنفار العامّ في كلّ مواقع الثّورة في الجنوب، وخاصّة في قلعة الشّقيف، وتداعت الفصائل الفلسطينيّة إلى اجتماعات متواصلة بناء على دعوة (الأخ أبو عمّار)، وكذلك اجتمع المجلس الثّوريّ لحركة فتح، واللّجنة المركزيّة، واللّجنة التّنفيذيّة ل م. ت. ف، والمجلس العسكريّ الأعلى للثّورة الفلسطينيّة.

أمّا في الجانب الآخر فقد تمّ مراجعة الكمّيّات المتوفّرة من المحروقات والموادّ التّموينيّة، كما تمّ حفر آبارٍ ارتوازيّة عدّة في بيروت لتأمين كلّ

الاحتياجـات في حـال حصـار بـيروت، كمـا تمّ تأمـين عدد مـن مـولّدات الكهرباء كجـزء مـن الاحتياجـات الضّروريّـة.

لقـد كان كلّ واحـد منّـا في موقعـه في حالـة اسـتنفار قصـوى ونحـن نعلم أن قدراتنـا وإمكانياتنا البشرية والعسـكريّة لا يمكـن مقارنتها مـع قدرات وامكانيات العـدوّ الإسرائيـليّ، الذي يمتلـك كلّ أنواع الاسـلحة الحديثة، والّذي لـم يتوقف كلّ جيشـه والاحتياط عـن المنـاورات والتّدريبـات، ويحظـى بتأييد الولايـات المتّحدة الأمريكيّـة، ودعمهـا سياسـياً وعسـكرياً وماليّـاً، إضافـة إلى عدد مـن الدول الّتي تـدور في الفلـك الأمـيركيّ وحلـف الأطلـسيّ، أمّـا نحـن (فقد كنـا) في ظـلّ غياب عـربيّ لا مثيـل له، وقـدرات متواضعـة يصدق فيهـا القول:

«العين لا تقاوم المخرز»، أو «يد واحدة لا تصفّق »؛ و «يا وحدنا».

تنقّـل الأخ أبـو عمّار في كلّ مـكان وفي كلّ قاعدة ومخيم، والتـقى مع المجموعة المحتشـدة الّـتي اصبحـت تشـعر باقـتراب المعركـة، وظهر بعـض القلـق والا بتهاج على وجـوه المقاتلـين الذيـن خاطبهـم: عليكـم الصّمـود، وفقـط الصمـود والقتال، فأنتـم شرف هـذه الأمّـة... بـل أنتم رمز الشّـعوب المناضلـة من أجـل الحرّيّة. كانت لدى الأخ أبـو عمّـار القـدرة المذهلة على التّعبئـة، ورغم فارق المقارنـة الهائل إلّا أنّ المقاتلـين والجماهير كانوا يشـعرون أنّهم سـينتصرون.

لقـد شـعرنا جميعـا أنّ لحظـة الانفجـار قادمـة وقريبـة جـدّاً، بعـد أن قامت مجموعـة (أبو نضـال) بمحاولة اغتيال السّـفير الإسرائيليّ في لنـدن، وكان هذا الحدث هـو كلمـة الـسّرّ للبـدء في هجـوم الجيـش الإسرائيـليّ. وفعلاً، فقـد أعطـى مناحيم بيجـن رئيـس الـوزراء الإسرائيليّ قـرار البـدء بإسـتهداف مناطق ومواقـع محددة في العمـق اللبنـانيّ كإشـارة للبداية في الهجـوم دون إعلان الأمر المبـاشر بإجتياح، وكان

الأمـر يقتـصر على الهجـوم في حال ردت القـوّات الفلسـطينيّة بالمدفعيّـة والصّواريخ على ذلك، واسـتهدفت المسـتوطنات في شـمال فلسـطين المحتلّة.

كان القرار الاسرائيلي أنّ تتقدّم الآليات العسكريّة والدّبّابات بسرعة إلى الشّمال دون توقف، حتّى لو وجدت خلايا ومجموعات مقاتلة، وايضاً مهما بلغت الضّغوطات والمواقف الدّوليّة حيث يجب الاستمّرار حتّى الوصول إلى شمال صيدا على الأقلّ.

شـعر شـارون بأنّـه اسـتلم مفاتيـح مجـده بقـرار بيغـن حـتّى ولو المجـزوء في البدايـة، أو الغامـض. وحملـت عمليّـة شـارون اسـم (اورانيـم) كانـت هـذه الخطّة تقـضي باجتياح السّـاحل اللبنـانيّ وغربه، والامتـداد شرقاً من بـلدة حاصبيّا وحتّى (فتـح لانـد)، والتوجه في الوسـط حـتّى جزّين الّتي انسـحب منها الجيش السّـوريّ، ومحاولـة عـدم الاصطـدام بالجيـش السّـوريّ مباشرة، وفي حالـة عـدم الاحتـكاك لتجنّـب دخـول سـوريّا في المعركـة، ويكـون بذلـك قد تحقّـق الهدف مـن عمليّة (سـلامة الجليـل) أو (اورانيـم)، وهـو تدمـير مراكز القيـادة والقواعد العسـكريّة الفلسـطينيّة بصـورة نهائيّـة في حـدود ال٤٥ كيلومتر.

لكـنّ خطّـة بيغـن وإيتـان وشـارون كانـت تهـدف إلى تفكيـك الجيـش السّـوريّ وتدمير الصواريخ السّـوريّة في البقـاع، وإنهاء الوجود للقوّات الفلسـطينيّة في الجنـوب، ومحـاصرة القيـادة الفلسـطينيّة في بـيروت.

لقـد كانـت نوايا الجيـش الإسرائيـليّ مضلّلة، وأبعـاد الأهـداف تختلف عما أعلنـه قادة العـدوّ، فالهدف أصبـح واضحاً، ويتلخّـص في الآتي:

- تدمير القوّات الفلسطينيّة في كلّ لبنان وليس في الجنوب فقط.

- تدمير القوّات السّوريّه أيضاً، وهذا يتمّ بعد السّيطرة على الشّوف وقطع طريق بيروت -دمشق.

- التّواصل من خلال اجتياح الشّوف إلى معقل القوّات اللبنانيّة في بعبدا وشرق بيروت لتحقيق هدف حصار القيادة الفلسطينيّة.

لكنّ هذه الأهداف لم يكن سهلاً تحقيقها، فلقد واجه الجيش الإسرائيليّ مقاومة بطوليّة للمقاومة الفلسطينيّة والمقاومة اللبنانية في المواقع كافّة، وبرز دعم الحركة الوطنية اللبنانيّة وقيادتها، وهذا أضعف الاندفاع الإسرائيليّ وما كان يحلم به شارون و الجيش الإسرائيليّ، وفي نفس الوقت تنبّه الجيش السّوريّ والقيادة السّوريّة لاهداف شارون فتمّ تموضع جديد للجيش السّوريّ، وبرز استعداده للمواجهة مع الجيش الإسرائيليّ.

ولهذا لم يتمّكن الجيش الاسرائيلي في بداية اندفاع قوّاته من محاصرة بيروت في الجبهة الغربيّة، وكذلك الاندفاع من منطقة حاصبيا في الوسط المؤدية إلى ظهر البيدر، كما لم تتمكّن القوّات المدرّعة الإسرائيليّة من الوصول إلى طريق بيروت الشّام (دمشق).

ونتيجة لهذا الواقع دفعت إسرائيل بأعداد كبيرة من قوّاتها في المعركة واتخذت قراراً بعدم الاستمّاع أو الرّدّ على أيّة مواقف أميريكيّة او سوفيتيّة جديدة، وهنا يقول حاييم بارليف: «لقد كانت لدينا خطة الوصول إلى بيروت واحتلالها وتنصيب بشير الجميّل رئيساً».

أمّا شارون فيقول: «إنّ الخطّة الكبرى هي تحقيق خطّة «سلامة الجليل»، ولم يقدّم السّوريّون المساعدة المطلوبة للفلسطينيين، فلقد قرّرنا تحقيق الأهداف العالية، وإنهاء الوجود والعسكريّ الفلسطينيّ والسّوريّ من لبنان». أمّا ردّ الفعل الفلسطيني على هذا الهجوم، وبعد أن كان معلوماً للأخ أبو عمّار الخطّة الإسرائيليّة، وأبلغ اللبنانيّين أنّه سيقاتل الجيش الإسرائيليّ هنا في المختارة في الشّوف، وبناء على

الأوامـر المسبقة في مواجهـة العدوّان، فقـد أمطرت القـوّات الفلسـطينيّة بالمدفعيّة وراجمـات الصّواريـخ الّـتي لـم يتمّكّـن العـدوّ مـن تحديـد مواقعهـا، الّـتي تغـيّرت حسـب الأوامـر السّـابقة والتمّويـه الجيّد، أمطرت أكـثر من أربعين مسـتوطنة وبلدة في شـمال فلسـطين المحتلّة، وأدّى ذلـك إلى تهجير عشرات الآلاف من المسـتوطنين.

لكـن... وبـكلّ المقاييـس لعلمـاء السّياسـة والعسـكريّة وخبرائهـا، لا يمكـن إيجـاد منطـق في المقارنـة بـين القـوّات الفلسـطينيّة الّـتي تتغـنّى بحصولها على دبّابـات (بي-٣٤) في مواجهـة الهجوم الكاسـح للقوّات الإسرائيليّـة، و ٥٠٠ دبابة، و١٦٠٠ ناقلـة جنـد مدرعـة، و٦٠٠مدفع وراجمـة صواريخ، أضف إلى ذلك اسـتخدام القـوّات الجويـة والقـوّات البحريّـة، كذلـك الاسـتنفار في وسـط قـوّات الاحتيـاط الإسرائيليّـة، وبالطّبـع ليـس منطقيّـا أن تقـوم مواجهـة مبـاشرة بـين الطّرفـين الفلسـطينيّ القائـم على حـرب العصابـات، «اضرب واهـرب»، بالإضافـة لقصـف مسـتوطنات الشّـمال مـن الرّاجمـات والمعـدّات المخفيّـة، وإيقـاع الخسـائر.

أربـك هـذا الخطـط الإسرائيليّـة وحلـم الحسـم السريـع لديهـا، فلـم تكـن المواجهـه بـين جيشـين، ولا يمكـن للقـوّات الفلسـطينيّة أنّ تواجـه قـوّة جيـش يفوقهـا في أرض المعركـة بكثـير مـن حيـث العدد والعتـاد، لكنّ اعتمـاد الجيش الإسرائيـليّ على الأسـاليب القديمـة في المواجهـة الّـتي تعتمّـد على قصـف الطّـيران المكثّـف، وكذلـك قصـف البـوارج الحربيـة، والمدفعيّـة، والرّاجمـات، والدّبّابـات لنقطـة أو مربـع واحـد ومحدّد ثـمّ التّقدّم... هـذا الأمـر كان مكشـوفاً ومعروفاً لنا، ولهـذا تـمّ نصـب الكمائـن الّـتي تعاملت مـع قوّاتـه من الخلـف، الأمـر الّذي جمّد سرعتهـا وحركتهـا إلى الأمـام، إضافة إلى الهجمـات الليليّة لقـوّات العـدوّ والّتي لم يعتدهـا كثـير مـن جنوده.

اكتمل الحصار... وأصبحت بيروت مركز العالم

كانـت عنـاصر الصّمـود في وجه العـدوّان متكاملـة، وكان لـكلّ واحدمنا دوره، ومهمّتـه ان لـم تكـن قتاليّة فـهي لتأمين وسـائل القتال والصّمود؛ سـواء الأسـلحة والذّخائـر أو الموادّ التّموينيّـة والمياه.

كان صمـود القيـادة وعلى رأسـها الأخ (أبـو عمّـار) عنوانـاً لكلّ مقاتـل، وكان ظهـور الأخ (أبـو جهـاد) في كلّ مواقـع المقاتلـين سـبباً هامّـاً في رفـع معنوّياتهـم. فكنـت تـراه في حي السّـلم، وفي حـدود المطـار، وفي بدايـة منطقـة الأوزاعي. كان يتنقّـل بـين كلّ قواطـع بـيروت. كمـا أنّ الأخ (أبـو إياد)، رغـم أنّه لم يغـادر منطقة الإعـلام الموحّـد والعلاقـات الخارجيّـة «لفتـح» وشـارع عفيـف الطيـبي حيث سـقطت القذائـف والصّواريـخ والقنابـل العنقوديّـة، إلّا أنّـه كان يتنقّـل مـن حين لآخـر في كلّ ضـواحي بـيروت.

كنـت استـمع لـِ (أبـو عمّـار) بصمت، وأسـمع أوامـره ورغباتـه، وأدوّن، وفي الحـال أنفّـذ. كنـت أراقـب حصولنـا على الذّخائـر والأسـلحة الخفيفة مـن الجبال، ومـن القـوّات الّتي انسـحبت من الجنـوب: نجحنا في تأمين المـوادّ التّموينيّـة والوقود والذّخائـر، ولا أذيـع سرّاً إن قلت:

«إنّ عـدداً مـن ضبّاط الجيـش اللبنانيّ وجنوده كانوا يؤمّنون لنـا قذائف الآر بي جي إذا مـا قـورن ذلـك بالحالة الّتي نعيشـها... كمـا كان هناك من يؤمّن لنا شـاحنات التّمويـن، وتأمـين دخولها مـن ممرّات وطـرق وزواريب لم يكن العـدوّ يعرفها».

كنّـا نسـتعدّ لحصـار طويـل، وكان كلّ فلسـطينيّ جاهـزاً للقتـال دفـاعاً عـن

مخيّمـه وبيتـه وأهلـه وعن كلّ اسـم فلسـطينيّ. ولهذا، رغـم القصـف والتّدمير، إلّا أنّـه كان هنـاك اسـتعداد عنـد كلّ واحـد منّـا لتقديـم أقـصى مـا عنـده للآخرين. لقـد تلاشـت لغـة الأنانيّـة نهائيّاً في بـيروت، وانتهت الألقـاب والمقامات، وسـادت المشـاركة والمحبّـة والـولاء لبعضنـا بعضـاً؛ فالـكلّ يدافـع عن الـكلّ، والفـرد يدافع عـن الـكلّ، والـكلّ يدافـع عـن الفـرد. لقـد صنـع الحصـار مجتمعـاً روحيّـاً مقاومـاً أخويّـاً شـفافاً مليئـاً بالحـب والعطاء.

وحـتّى اليـوم، عندمـا نلتـقي بأيّ مـن الإخـوة الّذين كانـوا في حصـار بيروت نشـعر بصلـة القـربى منه. كنّـا نتقاسـم كلّ شيء حـتّى أنّ تموين القـوّات والكمائن كنّـا نتقاسـمه مـع السّـكّان وعامّـة النّـاس... لـم يجع أحـد، بل كنّـا نشـعر أنّ هناك فائضـاً، ولا يمكـن للإسرائيليـين أن يتصـوّروا أنّنـا أدخلنا كلّ أنـواع الفاكهة إلى بـيروت المحاصرة.

لقـد اسـتطعنا إفشـال محاولـة الإنـزال في الحمّـام العسـكريّ، وانطلقـت مدافعنـا وراجمـات الصّواريـخ نحـو مواقـع العـدوّ في الشّرق مـن المطـار، وفي نفس الوقـت حفرنـا عشرات الآبـار تحت القصف الشّـديد من الجـوّ والبحـر، وافتتحنا مجموعـة مـن أفـران الخبز، بـل واشـترينا بعضهـا بمـا فيهـا مـن مخزون الطّحين، حيـث كانـت أكيـاس الخبز تُـرى فـوق المتاريـس وفي أيـدي الأطفـال، و كما كان هنـاك كميّـات في مواقع تجمّـع الهاربين من القصـف في حديقة الصنائع والشّـوارع والأزقّـة الآخرى.

كان التّكاتـف والتّكافـل في أرقى حالاتـه، ولا يمكـن أن أرى مثاليّـة واقعيّـة في العلاقـات الأخويّـة والإنسـانيّة والاجتماعيّـة، كما كانت في بـيروت أيام الحصار.

أمّـا كيـف تمّ تأمين الوقـود، فبالإضافة للمخـزون والاحتيـاط الّذي كنّا نحوز

عليـه فقـد قمنـا بـشراء بعـض المحطّـات المليئة مـن أصحابهـا، وتمّ الحصـول من بـاقي المحطّات على مـادتي البنزين والمـازوت (الدّيـزل) للمولّدات.

كانـت بـيروت الغربيّـة تضجّ بأصـوات المـولّدات في كلّ المواقـع والشّـوارع، وفي فـترة الحصـار. فـفي النّهـار كانـت الطّائـرات والرّاجمـات والبـوارج والدّبّابـات والمدفعيّـة تقصـف على مربّـع أو أكـثر، وفي الليـل تـرى شاشـات التّلفـاز تبـثّ مباريـات كـرّة القـدم، وتسـمع الصّراخ والحمـاس... لم يعـد للخوف مـن الطّائرات والقصـف أهمّيّـة إلّا لحظـة المـوت الحقيقيّـة.

هـا هي بـيروت الغربيّـة... كان في كلّ شـارع لجنـة شـعبية مـن سـكّانه، امـا القـوّات فلـكلّ فصيل اداريـوه الّذين كانوا يقومـون بتأمين الاحتياجـات له، لم تظهر أيّـة فـوارق أو امتيـازات بـين الفصائـل كافّـة وحـتّى الكتائـب السّـوريّة اسـتلمت احتياجاتهـا مـن عندنـا، وتفاعلت، وقاتلـت معنا... لك المجـد أيتّهـا البندقيّة الّتي جمعـت الشّـعبين اللبنـانيّ والفلسـطينيّ، وبعـض الإخـوة العـرب في مواجهـة لغـة المـوت لتحيا فلسـطين.

كان تفاعـل اللبنانيّـين والفلسـطينيّين في بـيروت عظيمـاً، وكانـت القيادات كلّهـا على السّـطح في المواقـع والشّـوارع... وكانـت الابتسـامات تتـلاقى بـين النّاس ووجـوه القـادة، وكان أبـو عمّـار سـيّد بـيروت وزعيمهـا بحضـوره وكوفيتـه وعصـاه المارشـالية. إذا التـقى بالنّـاس ترى بسـمته العريضـة وإذا ابتعد عاد اليـه التّفكير في الخطـوات التّالية.

كان يحسـب كلّ شيء، وكلّ صغـيرة وكبـيرة، وكان العـشرات مـن الصّحفيـين والإعلاميـين يلاحقونـه حيثمـا وجـد، فهـم يخبرون بعضهـم... وكانـت طائـرات الاسـتطلاع تلاحقـه، ولم تسـتطع اصطياده، وفي كثـير من الأوقـات كان بينه وبين

الشّهادة دقائق ولحظات؛ فعيون العدوّ وعملائه كانت موجودة، لكنّها كانت تفشل في كلّ مرّة.

لم يكن الحصار سهلاً، لكنّه كان مثيراً آنذاك. كأنّه دفق المعنويات كأنه نهر يتلاقى مع خوف النّاس البسطاء، فترفع إشارات النّصر عند حضور أبي عمّار.

أصبح الأمر واضحاً؛ فالعقل التّجاريّ اللبنانيّ يفوق أيّ عقل تجاريّ آخر فلدينا فريق من التّجّار مختصّ بقضايا التّموين من المعلّبات واللحوم والدّواجن والفواكه.

كانت بيروت الشّرقيّة تتقاسم العناوين التّجّاريّة، رغم وجود جيش الاحتلال، وكانت صهاريج المحروقات تتحرّك ليلاً قادمة من اتّجاه الشّرق وتملأ الصّهاريج الاحتياطيّة الّتي حفرنا لها بالأرض.

كانت الشّوارع مليئة بالقذائف والصّراخ والضّحكات... وكانت رياضة الرّكض هي الأروع في بيروت، يمشي كلّ واحد حسب موقعه وطاقته، وبدون الالتزام بقيود رياضة الرّكض وقوانينها.

لقد اكتمل حصار بيروت ووقف شارون عند قصر بعبدا بمنظاره، يفكر كيف سيستسلم قادة فلسطين له، وبثّت إذاعات شرق بيروت الأخبار المضلّلة... لكنّ مفعولها سقط وسط جماهير بيروت الغربيّة الّتي كانت تهتم بنتائج المباريات لكرّة القدم العالميّة. كان شارون يسابق الزّمن.. وقد طال الأمر رغم حضور ومشاركة ثلاثة أرباع الجّيش الإسرائيليّ بكلّ أسلحتهم الحديثة الّتي كان يمكن أن تسقط كلّ الجيوش العربيّة بسرعة كبيرة، وهي تعجز اليوم عن هزّ معنويّات أبسط المقاتلين فوق متاريس بيروت وخلفها وأمامها.

لقـد كنّا وحدنـا، وكانت أمريكا مع شـارون، لقـد كنّا وحدنـا وكان الصّمت العـربيّ يؤلمنـا... كانـت ألعـاب كـرة القـدم أهـمّ مـن مـوت كلّ فلسـطين، وأكـثر حضـوراً مـن تأثـير كلّ أشـكال القصف.

لقـد كنّـا وحدنـا في القتـال... كنّـا وحدنـا في الصّمـود... وحدنـا في مواجهـة القـوة العدوّانيّـة الشّريـرة الوحيـدة في العالـم.. لقد كنـا في مواجهة شـارون وبيغن وإيتـان وكلّ تلـك الوجـوه الشّريـرة المعقّـدة مـن روح الحياة.

لقـد كنّـا في مواجهـة أولئك الّذيـن تلبّسـتهم روح هتلر وكلّ من سـبقه ومن جـاء بعـده من مجـرمي العالـم... كنّا وحدنـا نأخذ قرار الحـرب والتّصـدّي والصّمود والمواجهـة والمشـاركة في الحيـاة... كان الألـم الصّامت يحوم حولنـا دون أن نصرخ.

كان (أبو عمّار) يقول شعاره:

«يـا وحدنـا»، وكان محمـود درويـش يـردّده في قصائـده... لكـنّ الفلسـطينيّ على كلّ شاشـات العالـم رغـم «الـمونديـال» كان هـو قلـب العالـم وروحـه المقاومـة والصّامـدة... لهـم المجـد أولئـك عشـاق الرّمـل والمتاريـس -كمـا تـمّ تسـميتهم-.

كان الحصـار مجـداً لنـا، وليـس للعسـكريين فقـط، بـل فتحـت أبوابهـا لكلّ سـكّان بـيروت لبنانيـين وفلسـطينيّين، وغطّـت بكفايـة نـادرة كلّ الاحتياجـات. ورغـم نقـص بعـض الأدويـة والمعـدّات، إلّا أنّنـا كنـا نقـوم بتأمـين مـا يلـزم مـن خـلال تلـك الطّـرق الّـتي سـبق وأشرت اليهـا، ففي زمـن الحـرب كلّ شيء ممكن، وفي زمـن بـيروت أنـت الأوّل والأوّل.

إنّ الحديـث عـن بـيروت أثناء الحصـار طويل، وسـنتناول الحديـث عن حياة الحصـار عسـكريّاً وسياسـيّاً واجتماعيّـاً... فبيروت كانـت مثل كلّ المـدن المحاصرة في التّاريـخ بـل في مقدّمتهـا؛ لأنّ كلّ شيء يختلـف في بـيروت المحاصرة.

وتسـتمرّ المعـارك في محيط بيروت في المطار وفي منطقـة المتحف الخط الفاصل بـين بـيروت الشّرقيّة والغربيّـة... كان شـارون يتميّز غيظاً، فالخسـائر خـلال الأيام والمعـارك الماضيـة أكـثر من خسـائرهم مع الجيـوش العربيّـة، وفي مناطـق مفتوحة، فكيـف لو دخـل بيروت، والـّتي كان فيها كلّ فلسـطينيّ مشروع شـهادة...!

لقـد أعطـت معركـة الدّامـور ومـن ثـمّ خـلدة وبعدهـا الأوزاعي عناويـن لشـكل المعـارك القادمـة في بـيروت فيما لـو تقدّمـت القـوّات الإسرائيليّـة. صحيح أنّنـا قدمنـا كوكبـة مـن الشّـهداء في كلّ المواقع، حـتى أنّنا فقدنا سـبعين شـهيداً في الأوزاعي وحـده، إلّا أنّنـا كنّـا على اسـتعداد دائـم للتّضحيـة، فأنـت لا تقاتـل عـن نفسـك وحـدك بل عـن مخيّماتك وأهلـك وعن كلّ لبنـانيّ وفلسـطينيّ... أنت تقاتل عـن تاريـخ فلسـطين، وتقاتـل وجـود هـذا الجيش الّذي هـو عنـوان كلّ الجيـوش الغازيّة السّـابقة لفلسـطين وسـيّدها.

كان الحصـار يمثّـل لي دورة عسـكريّة؛ فقـد تعرّفـت مـن خـلاله على كلّ الأحـداث والمعـارك العسـكريّة من خـلال وجـودي في كلّ مراكـز العمليّات حيث أبـو عمّـار: كنـت أخرج مـع أبي مـوسى على المحـاور، وفي نفس الوقت كنـت وزيراً للتّمويـن، أعـرف كلّ مـا لدينـا من احتياطـات، وما نحـن بحاجة اليـه، كذلك كانت (صامـد) بالنسـبة لي هي الفصيـل بـل الكتيبـة حتّى اللـواء المقاتـل الى جانب بقية القـوّات المدافعـة. كنـت ألتـقي مـع كادر صامـد في مواقعهـم، وفي شـارع عفيـف الطّيـبي بجانـب الإذاعـة، ومقـرّ العلاقـات الخارجيّـة حيـث كان يوجد أبـو إياد.

كان كادر صامـد مـوزّعاً على المعامـل الّـتي اغلقـوا أبـواب بعضهـا بالحجارة والطّـوب لحمايتهـا... وكانـت هنـاك مناوبـات لحمايتها، وضعـوا برنامجهـم وحدهم، لقـد تـوزّع معظمهـم على اللجـان وخاصّـة النّسـاء والفتيـات، كان عمـال صامـد جـزءاً مـن حياة بـيروت ولجانها ومقاتليها، وكنت أشـعر بالسـعادة عندمـا أراهم في

المواقـع الأماميّـة... كان اللقاء بهـم تغمره التّعليقـات المرحة.. كانـت (صامد) عائلة رائعـة، وكانـت (صامد) عائلـتي أيضاً.

الآن وبـكلّ التّقديـر أذكـر الهـلال الأحمـر الفلسـطينيّ الّذي اندمـج مـع الخدمـات الطّبيّـة وهي القسـم والجنـاح العسـكريّ الخـاصّ بالعنايـة بالجـرحى والمصابـين. كان الهـلال الأحمـر الفلسـطينيّ شـعلة مـن النّشـاط، ولقـد تـمّ تأمين العيـادات والمستشـفيات والأدويـة الأساسـيّة، والمـولّدات الكهربائيّـة والمياه. كانت مستشـفيات الهلال الأحمر الفلسـطينيّ مستشـفيات ميدانيّة تقـدّم خدماتها ليس للجـرحى فقـط، وإنّمـا تقدّمهـا لـكلّ النّاس.

صديقي أبو موسى /سعيد موسى مراغة

في أجواء هذا الجنون الإسرائيليّ والحقد الّذي لاحدود له.. يظهر معدن الرّجال.. ومن هؤلاء الأبطال الّذين لايمكن التّجاوز عن أسمائهم (سعيد موسى مراغة/ أبوموسى) قائد قوّات الجنوب، والضّابط الّذي التحق بِ (فتح) بعد الخروج الأوّل من الأردنّ مع العميد سعد صايل، وفريق الضّباط الّذين خدموا في الجيش الأردنيّ.

كان (أبو موسى) وفريقه من العسكريين المحترفين والمميّزين في الثّورة الفلسطينيّة، والّذين تركزّ معظمهم في قوّات اليرموك بكتائبها الثّلاث. لقد أبدع أبو موسى في مواجهة القوّات السّوريّة الّتي أرادت احتلال صيدا، وقد أشرنا لمعركته مع السّوريّين سابقاً.

لقد أرسل برقيّة للأخ (أبو عمّار) عبر جهاز اللاّسلكيّ رغم معرفته بقدرة الإسرائيليّين على التقاط كلّ الاشارات والأحداث الصّادرة عبر أجهزة اللاسلكي، والّتي قال فيها:

«صيدا أصبحت تضاء بصواريخ الاحتلال الصّهيونيّ الّتي تتساقط على شعبنا» في إشارة منه إلى كثافة النيّران والصّواريخ الّتي كانت تسقط على صيدا وأضاف:

«لقد كسرنا كلّ الأجهزة... تحياتنا لكم »؛ أي لاتعاودوا الاتّصال بنا، سنقاوم حتّى الاستشهاد.

هكـذا هم رجال فلسـطين وفدائيّوها، حيـث لم يذهب أبو مـوسى إلى البقاع بعـد صيـدا، بل تحـرّك باتّجاه بـيروت الصّامـدة، واسـتمرّ في أداء واجبه العسـكريّ مـن هناك.

كنّـا نذهـب برفقـة صديقي أبو مـوسى معـاً الى كلّ المواقع، كنّـا نرصد مراكز وجـود العـدوّ، سـواء أكان في محيـط مطـار بـيروت أو في منطقـة الحـدث وبعبـدا، حيـث كان أبـو مـوسى من هـذا الموقـع يوجـه الرّاجمـات والمدفعيّة.

الهجوم الإسرائيليّ -الاجتياح

لست خبيراً عسكريّاً لأحدّد المواقع والقوّات الإسرائيليّة المهاجمة وقدراتنا على المقاومة، رغم أنّه أصبح واضحاً أنّ الأمر يتطلّب ساعات محدودة. ومع كلّ ذلك كانت خارطة العمليّات ومحاور القتال ونقاط المواجهة مرسومة أمامي وأمام كلّ واحد منّا تماماً بدون تحديد العدد والمعدات؛ لأنّني أعرف كلّ هذه المواقع والقرى، وزرتها كثيراً أثناء بحثنا عن مقوّمات الصّمود لسكّان مخيّمات الصّمود: الرّشيديّة والبرج الشّماليّ والبّص وعيّن الحلّوة وغيرها. أعرف هذه المناطق، وكنت أزورها دائماً، وقد نجحنا في افتتاح فروع لمعامل التّطريز والأشغال اليدويّة أوّلاً؛ لكي تشارك نساء تلك المخيّمات في العمل، أمّا معظم رجال هذه المخيّمات فقد كانوا إمّا متطوّعون في العمل المقاوم أو عناصر في فتح والتّنظيمات الآخرى، ولهذا كنت أقدّر -كما غيري- نقاط هجوم العدوّ ومساراته ومواقع إنزالاته تقريباً، وحتّى أشكال المقاومة المتوفّرة لدينا بما في ذلك دور الحركة الوطنيّة اللبنانيّة، وسكّان تلك المناطق من لبنانيين وفلسطينيين.

لقد حضرت معظّم الاجتماعات الّتي كان الأخ أبو عمّار يدعو لها. كنت أستمع للمعلومات حول قدراتنا واحتياجاتنا، وكذلك قدرات العدوّ ومسارات حركته، بحيث يمكنني القول -وبدون مبالغة- أنّني أصبحت على معرفة كمعظم العسكريّين الّذين يشاركون في هذه الاجتماعات، ولم تقتصر هذه الاجتماعات على كادر فتح العسكريّ، بل وعلى كادر وقيادات التّنظيمات الفلسطينيّة الأخرى، وفي بعض الأحيان الحركة الوطنيّة اللبنانيّة.

ولهـذا كنـت أرى أنّ الأسـهل أمـام قـوّات العـدوّ هـو السّـاحل الممتـدّ من رأس النّاقـورة وحـتّى بيروت؛ لأنّها منطقة مكشـوفة، ويسـهل إجـراء إنزالات من خـلال المروحيّـات، ويمكـن تقطيع الطّـرق ما بين بـيروت والجنوب، وهـذا أيضاً تـمّ تأكيـده أثناء الاجتمـاعات. لكنّ الأهـداف الإسرائيليّة -كمـا أشرت- كانت أبعـد من احتـلال السّـاحل اللبنانيّ؛ فالقـوّات الفلسـطينيّة منتشرة من السّـاحل غربـاً وحـتّى جبـال بعلبك شرقـاً مـروراً بـ (فتـح لانـد) العرقوب. كذلـك وجود القـوّات السّـوريّة الّـتي يجـب أنّ تـنزل أيّضـاً لإعطـاء القـوّات اللبنانيّـة حرّيّـة الحركـة والتّأثير.

لقد نفّذ الإسرائيليّون خطّتهم على ثلاثة محاور:

- محور السّاحل اللبنانيّ كما أشرت، وهو المحور الغربيّ.
- المحور الأوسط ويمتدّ في وسط منطقة الجنوب لتصفية الوجود الفلسطينيّ، والخلايا والمجموعات الموجودة فيه.
- المحور الشّرقيّ الّذي يصطدم بالقوّات السّوريّة في منطقة البقاع ومنطقة جزّين وطريق دمشق بيروت.

إنّـني عندمـا أفكر اليـوم في المقاتـل الفلسـطينيّ الّذي حفر حفـرة، أو تلظّى بصخـرة مـن صخور الجنـوب، ينتظـر دبّابـة ومدرّعة وراجمـة صواريـخ إسرائيليّة، وبمعنويّـة عاليـة لا تتوفّـر إلّا بـين مـن هم أكـثر إيمانـاً وأعلى مرتبـة واسـتعداداً... إنّـني اليـوم أنحـني في داخـلي قبل جسـدي احترامـاً وتقديراً لهـم واعـتزازاً بهم.

بـدأت المدفعيّـة الإسرائيليّـة والدّبّابـات وراجمـات الصّواريـخ تقصف كلّ ما هـو في مرماهـا لتربـك كلّ مقاتـل في تلـك المواقـع، وتحرّكـت آليـات العـدوّ بثقة؛

نظراً لكثافة النّيران والقصف الجوّيّ المتواصل... ودار في خلدة معركة ضارية في مواجهة هذا العدوان الإسرائيليّ، وكانوا يحسبون أنّ المقاتلين سينهارون مع بداية الهجوم.

كانت حركة الدّبّابات الّتي اخترقت الحدود اللبنانيّة الجنوبيّة، وما يرافقها من مدفعيّة وراجمات صواريخ وناقلات جند تثير في النّفس الرّهبة، وهذا المقاتل الفلسطينيّ -مقاتل فتح- يواجه اليوم قوّة اسرائيلية توازي القوّة الّتي هاجمت سيناء والجولان عندما كانت في وضعيّة الرّدّ على القوّات المصريّة والسّوريّة سواء الآليات أو الأفراد.

كان القصف النّاريّ لآليات العدوّ عنيفاً... كان يهدف إلى التدّمير والقتل وبثّ الرّعب في كلّ شيء أمامه، وكان هذا القصف يهدف كذلك إلى إرباك أيّة قوّة أمامه وسحقها، لكنّ وما أن انتهت حملة الرمايّة الكثيفة حتّى استوعب الفدائيّون ذلك، وانطلقت المقاومة من خلف خطوط العدوّ، الأمر الّذي أربك اندفاعه، وتوقّف لمواجهة قوّات المقاومة الّتي لم تكن في موقع واحد، بل امتدّت من السّاحل الغربيّ حتّى النّبطيّة وقلعة (الشّقيف) في شرق خطوط الزّحف الإسرائيليّ الأول.

لم يتوقّف القصف الجوّيّ الإسرائيليّ على لبنان، في حين اشتركت سبعة ألوية في الهجوم الأوّل بقصد الإبادة، لكنّ هذه القوّة الإسرائيليّة واجهت مقاومة باسلة كسرت حدّة التّقدم السّريع نحو الشّمال... حتّى قلعة الشّقيف الّتي كانت معقلاً وقاعدّة فلسطينيّة تضمّ مقاتلين أشداء بواسل من «فتح» ومن الكتيبة الطلابيّة منذ وقت طويل، وهي قلعة بناها الصّليبيون، وتشرف على فلسطين والجنوب اللبنانيّ، كثيرة الدّهاليز والغرف والممرّات الداخليّة.

شكّل هذا المحور عقبة كبرى للزّحف الإسرائيليّ، وسقط عدد كبير من الجنود الإسرائيليّين في قلعة الشّقيف الّتي كان الفلسطينيّون يعرفون كلّ أسرارها ومداخلها، وقد جعلوها مصيدة للجنود الإسرائيليّين، وهذا الواقع دفع القيادة الإسرائيليّة ابتداء من بيغن وشارون حتّى آخر ضابط البحث عن مخرج من هذه القلعة الصّامدة والمصيدة.

قصف المدينة الرّياضيّة

كنّا نتابع الهجوم الإسرائيليّ من خلال أجهزة اللاسلكي الّتي تعطّل معظمها، وبشكلّ غير متوقّع كثّفت الطّائرات الإسرائيليّة من قصفها على المدينة الرّياضيّة بشكل كنّا نشعر فيه باهتزاز الأرض من تحتنا من شدّة القصف، فلقد اعتقد العدوّ أنّ مستودعاتنا في المدينة الرّياضيّة ومحيطها بجانب منطقة الفاكهاني حيث نقيم.

كان ذلك في يوم الجمعة ٤/ حزيران/ ١٩٨٢، حيث اختلط القصف الجوّيّ للمدينة الرّياضيّة بصوت المضادات الأرضيّة لكلّ الفصائل والتّنظيمات، وكانت كلّ الأسلحة موجّهة إلى السّماء لمواجهة طيران العدوّ الكثيف.

ورغم القصف الجوّيّ المرعب إلّا أنّ صوت المضادات كان يرفع المعنويات. لقد رافق ذلك هرج ومرج وضياع النّاس، كان الكلّ يتّجه بلا اتّجاه، وسيارات الإسعاف والدّفاع المدنّي والاطفائيّات تتّجه نحو المدينة الرّياضيّة، وبالمقابل كانت السيارات تتحرّك بالاتجاه المعاكس.

وكالعادة كانت الصّورة تقدّم لك الخائف والمستطلع الّذي ليس له عمل، أضف إلى ذلك تركيز وسائل الإعلام اللبنانيّة والعالميّة نحو المدينة الرّياضيّة. لم تغب الطّائرات طويلاً حتّى عادت أفواج أخرى منها لتقصف المدينة مجدّدا حيث الهلال الأحمر والنّاس والدّفاع المدنّي، وسقط إضافة إلى العشرات صحفيّ فرنسيّ، واشتعلت النّار كالبركان.

لقد تناثرت الجثث، لكنّ النّاس استمرّوا في إطفاء الحرائق، وإخراج القتلّى والجرحى من تحت الأنقاض.

في نفس الوقت لم يتوقف رجال المضادّات عن الرّماية حتّى بعد أن غادرت الطّائرات الأجواء. كنت أسكن على بعد بضعة أمتار من المدينة الرّياضيّة في الشّارع المقابل لجامعة بيروت العربيّة. كانت المنطقة كلّها مستهدفة، وكان النّاس يحملون من بيوتهم ما خفّ حمله وأطفالهم. وإذا توفّرت سيّارة فكنت ترى داخلها وسطحها ناساً من كلّ الأعمّار يتّجهون نحو شمال المنطقة... نحو فردان والحمراء والمناطق الدّاخليّة لبيروت، وذلك للابتعاد عن مراكز الثّورة وقياداتها في منطقة الفاكهانيّ، بل ذهب بعضهم إلى الحدائق العامّة، وأعدّوا ما يشبه الخيام، وناموا فوق الأعشاب وتحت الأشجار. ومن أشهر الحدائق كانت حديقّة الصنائع، إضافة إلى كورنيش البحر الممتدّ من الرّوشة حتّى عيّن المريسة، حيث كان أثرياء بيروت في عين المريسة يمارسون رياضة المشي. لكنّ هذا الهلع كان وسط المدنّيين الّذين لم يعتادوا أيّة حروب شبيهة كهذه، أمّا المقاتلون فقد امتصّوا ردّة الفعل الأولى، وبدأت أنفسهم تستقرّ شيئاً فشيئاً.

ومن مشاهد هذا الصّمود الفلسطينيّ اللبنانيّ في وجه أبشع هجمة إسرائيليّة على شعبنا وعلى الشّعب اللبنانيّ الّذي احتضن المقاومة الفلسطينيّة -ما كنا نسميه- «بسطة محمود اللبديّ» مسؤول الإعلام الخارجيّ، الّذي كان يجمع ما تطاير من الأسلحة والقذائف الإسرائيليّة وقنابل النابالم الحارقة على المنطقة، لعرضها للصّحافة العالميّة في مؤتمر صحفيّ يعقد يوميّاً لإظهار بشاعة هذا العدوان.

القوّات الفلسطينيّة والقوّات السّوريّة
في بدايّة العدوّان

- **القوّات الإسرائيليّة الأوّلى المشاركة في العدوّان عام ١٩٨٢:**

- **القوّات السّوريّة:**

١. الفرقة الخامسة مشاة آلية.

٢. لواء مشاه مستقلّ.

٣. كتيبتان من الصّاعقة.

٤. كتيبتان من الدبّابات.

- **القوّات الفلسطينيّة المدافعة:**

١. سبعة كتائب مشاة.

٢. كتيبتا دبّابات/ ت-٣٤.

٣. كتيبتا مدفعيّة صواريخ.

٤. خمسة كتائب مدفعيّة.

- **القوّات الإسرائيليّة على الجبهة اللبنانيّة:**

١. فرقة مدرّعة (لواء مدرّع + لواء آلي).

٢. فرقة مختلطة (لواء مدرّع+ لواء آلي+ لواء مشاة جولاني).

وهنا نذكر القوّة السّوريّة المواجهة للعدوّ في الجولان، أو القوّة الإسرائيليّة في مواجهة الجيش السّوريّ في لبنان.

كان من أهمّ المواقف في بداية المعركة تحييد الجيش السّوريّ في لبنان ككلّ، وقد قال ارئيل شارون في بداية المعركة في حديث إذاعي:

«إنّ الحشود الإسرائيليّة الضّخمة في الجولان تستهدف اقناع القيادة السّوريّة بأنّه ما من فرصة أمامها لخوض الحرب ضدّنا على أمل إحراز النصر، وأنّه منذ اللحظة الأوّلى الّتي بدأنا فيها بتخطيط العمليّة وضعنا أمام أعيّننا بذل كلّ جهد من أجل عدم الدّخول في حرب ضدّ سوريّا، كما أنّه ليس للسوريين سبب للتورّط في حرب لا شأن لهم بها، وأنّ إسرائيل لا تريد شنّ حرب ضدّ سوريّا... ولكن يتعيّن على سوريّا عدم عرقلة عمليّاتنا الخاصّة بالقضاء على فاعلية العمليّات الفلسطينيّة في لبنان».

وفعلا انسحب الجيش السّوريّ من مواقعه في الجبل، ومن منطقة جزّين الّتي تقع شرق صيدا حتّى لا يتمّ الاحتكاك مع الجيش الإسرائيليّ.

بعد غارات الطّيران الإسرائيليّ، والهلع الّذي انتشر بين سكّان منطقة المدينة الرّياضيّة ومخيّمي صبرا وشاتيلا ومنطقة الفاكهاني بدأ المقاتلون يجمعون أنفسهم، ويعدوّن الخطط للدّفاع الجوّيّ والبرّيّ عن مدينة بيروت، وكذلك

تجهيز المجموعات والسّرايا الّتي يتمّ توجيهها إلى صيدا ومناطق الصّدام البرّيّ المباشر مع العدوّ.

وهنا أقدّم البرقيات الّتي وردت إلى غرفة العمليّات المركزيّة من مواقع القتال ليوم واحد.

يوم السبت ١٩٨٢/٦/٥:

الساعة	
١٠:١٥	قام الطّيران المعادي الصّهيوني بقصف منطقة تبنين والجرمق والدّامور.
١١:٠٠	قصف العدوّ منطقة معاصير، والدّبية ومنطقة المعسكر، ومحطّة الزّهرانيّ بالمدفعيّة.
١٢:٢٠	يقوم الطّيران بالتّحليق فوق منطقة صيدا كاملة وبكثافة.
١٢:٢٠	أغار الطّيران على منطقة الدّبية والدّهميّة، وقصف ما بين الدّامور والسّعديّات.
١٤:٢٣	الطّيران يقصف مقرّ القيادة العامّة للجبهة الشّعبيّة، ومعمل غندور للأخشاب ويبعدوّن عنّا مسافة كيلومتر بحراً.
١٥:١٥	تمّ إسقاط طائرتين في منطقة النّبطيّة: الأوّلى سقطت في النّبطيّة والثّانية في القليعة.
١٥:٣٩	وردت معلومات تفيد أنّ هناك اهدافاً معادية مقابل منطقة مآر إلياس.
١٥:٥٧	قصف مدفعيّ على منطقة الرّشيديّة والنّبطيّة.

١٨:٠٤	الطّيران يقصف منطقة كفر تبنين.
١٨:٠٦	قصف مدفعيّ على بئر الزّهرانيّ.
١٨:٠٧	انفجر صاروخ مؤقّت في منطقة النّاعمة بقرب معمل غندور.
١٨:٠٨	قصف شديد على منطقة عرمون.
١٨:١٦	الطّيران المعادي يقصف منطقة الجرمق.
١٨:١٨	الطّيران المعادي يقصف الوادي الأخضر ومنطقة الجرمق.
١٩:٠٩	الطّيران المعادي يقصف التّلال الجرداء، أصيبت طائرة للعدوّ، وشوهد الدّخان يتصاعد منها، وسقطت في الأرض المحتلّة.
١٩:١٤	انفجر صاروخ دخانيّ في منطقة النّاعمة في معمل غندور للاخشاب.
١٩:٢٥	يوجد هدف بحريّ كبير برفقة طيران مروحيّ ويتّجه إلى الشّمال.
١٩:٣٠	الطّيران يقوم برماية قذائف اناره فوق الناعمة وكفر رمانه.
١٩:٥٠	الطّيران يقوم برماية قذائف فوق الدّامور.
١٩:٥٤	قصف مدفعيّ على منطقة حومين الفوقا.
٢٠:١٨	الطّيران المعادي يقصف منطقة الجرمق.
٢١:٣٢	الطّيران الحربيّ والبوارج البحرّيّة تقصف مواقعنا من الدّامور حتّى صيدا، دون تحقيق أهداف.

٢١:٣٦	مازال الطّيران المعادي يحلّق فوق المنطقة، والطّيران المروحيّ بقصف مناطق الجيّة، وهناك أهداف معادية تجوب الشّواطئ.
٢٢:١٨	الطّيران المروحيّ يقصف الجيّة، ولم يحقق أهدافاً.
٢٢:١٩	الطّيران المعادي يقصف مناطق قرب الدّامور، وتقوم القوّات الموجودة هناك بالتّعامل مع الطّيران المغير.
٢٢:٢٠	الطّيران المعادي يقصف أبو الأسود وجزّين، ويحلق فوق الدّامور.

إنّ ما تقدّم يشير إلى أنّ المعركة كانت متواصلة، وشملت كلّ مناطق الجنوب وحتّى بيروت، وكان ظاهراً دور الطّيران الّذي كان يمهّد للقوّات البرّيّة وكذلك لعمليّات الإنزال الّتي بدأت في الجنوب، ويجري البحث عن مواقع مناسبة له شمال صيدا حتّى بيروت. وفعلا تمّ إنزال قوّة كبيره في منطقة نهر الأولي شمال صيدا وقريبا من مركز القوّات المشتركة. وهذا ما دفع قائد القوّات المشتركة للإنسحاب إلى البقاع بأمر من الأخ (أبو جهاد) حتّى لا يقعوا في يد القوّات الإسرائيليّة. أمّا بقية الكوادر والعناصر فقد توزّعت في مجموعات داخل المدينة القديمة، وهي صعب اجتيازها أو الدّخول إليها بقوّات كبيرة، لأنّها زواريب مسقوفة وممرّات ضيقة عديدة، فلا يمكن لأيّة آليات وأيّة قوّات مشاة دخولها لأنّها ستكون معرضّة للإبادة.

شعر الأخ أبو عمّار أنّ العدوّ يريد تطويق مدينة صيدا من الشّرق والشّمال والجنوب، ولهذا طلب من كلّ الأجهزة في بيروت إرسال سرايا إلى صيدا للتّصدّي للعدوّ، وفعلا تمّ ذلك وساعد في وقف زحف العدوّ، ووضع الصّعوبات لديه في الحركة، حتّى بعد أنّ خرجت بعض قيادات القوّات المشتركة

الفلسطينيّة واللبنانيّة خارج الطّوق باتّجاه الشّرق، ومن ثمّ إلى البقاع... وواجه هؤلاء حملة لا يمكن احتمالها، وأطلقت عليهم ألقاب أسقطت كلّ حضورهم السّابق، ولهذا لم يكرّر غيرهم.

الإنزال في منطقة الأوّلي - حصارمدينة صيدا

قامت القوّات الإسرائيليّة بعملية إنزال كبيرة في منطقة نهر الأولي شمال مدينة صيدا، وبهذا الإنزال قطعت كلّ الإمداد للمدنيين عن الطّريق الرّئيس ما بين بيروت وصيدا، وقد قامت المروحيّات والبوارج الحربيّة بأكبر عملية إنزال، حيث أنزلت قرابة فرقة من المظلّيين.

كانت مهمّة القوّات المشتركة سحب الرّاجمات والمدفعيّة الثّقيلة من تلك المنطقة والمناطق المحيطة بمدينة صيدا ومخيّم عين الحلوة.

لقد تمّ توزيع المقاتلين في مجموعات صغيرة -كما أشرنا- لنصب الكمائن، وكان هذا الوضع يشير إلى العودة إلى حرب العصابات، واستعمال المضادات للدّروع (الآر بي جي) بشكل دقيق نظرا لمحدوديّة الكمّيّة المتوفرة من الذخائر لدينا آنذاك.

في هذا الوقت كانت المعارك تدور بين قوّاتنا وقوّات العدوّ في مدينة صور ومحيطها، ولقد أبدع الأشبال المقاتلون في إيقاف دبّابات العدوّ وإيقاع خسائر كبيرة فيها، ولهذا كان الحذر هو الّذي يحكم حركة العدوّ من التّوجّه بالآليّات والدّبّابات إلى الشّمال. لقد نجحت الكمائن الّتي نصبها المقاتلون في إيقاع خسائر كبيرة في صفوف القوّات الإسرائيليّة وآلياته.

وهنا يؤكّد شارون على ذلك في مذكراته بالقول:

«أبدت مجموعة م. ت. ف مقاومة ضارية في حين لاذت مجموعات أخرى بالفرار إلى صيدا وبيروت».

صور المدينة المقاومة

اعتقد العدوّ أنّه سيسهل تجاوز مدينة صور، والتّوجّه شمالا بمحاذاة السّاحل للقضاء على المقاومة في مناطق الخطّ السّاحلي، لكنّه واجه قتالا شرساً حتّى قبل الدّخول إلى صيدا، فكان يصطدم بالكمائن الفلسطينيّة في منطقة مخيّم الرّشيديّة، والّتي فرضت على العدوّ التّوقّف وعدم التّحرّك ليلا، ودمّرت له عدّة آليات، وكذلك في محيط مخيّم البرج الشّماليّ، وتورّطت آليات العدوّ مجدّدا في منطقة مخيّم البّص الملاصقة لمدينة صور، وفشل العدوّ في دفع قوته بسرعة نحو الشّمال (أي نحو صيدا).

في ١٩٨٢/٦/٦ ارتفعت معنويّات المقاتلين في الجنوب عندما أسقطت المضادّات الجوّيّة البسيطة طائرة إسرائيليّة، وأسر قائدها الّذي حملوه فورا إلى بيروت، وبالطّبع حاول الجميع أنّ ينسب لنفسه هذا الفخر، لكنّ الحقيقة هي أنّ كتيبة الجرمق هي الّتي أسقطت الطّائرة، أمّا الطّيّار الأسير فهو «أخيعاز أهارون».

شعر العدوّ أنّ قوته الضّخمة لم تنجز ما تمّ التّخطيط له، ويعود ذلك لصلابة الرّجال المقاومين أولاً، وتجديد حرب العصابات الّتي تأتي لمقاومة العدوّ من الخلف والأمام و الجوانب ثانياً، فكان لا بدّ لآلياته من التّوقّف والمواجهة مجدّداً.

يقول شارون في مذكراته: «برزت مشاكل أخرى، فقد واجهت قوّاتنا المتقدّمة على طول السّهل السّاحليّ في اتّجاه صور وصيدا وفي المنطقة عقبات جسيمة، فتكبّدت وحداتنا مزيداً من الخسائر، ولم تتمكّن من احترام مواعيد العمليّة».

وهنـا لا بـدّ من الإشـارة إلى أنّ مقاتلينا كانوا يحفظون المنطقـة عن ظهر قلب؛ فقـد سـاروا فيها مـتراً مـتراً، ويعرفون تضاريسـها وممراتهـا وصخورها وأشـجارها.. عكـس الجنـود الإسرائيليّـين الّذيـن كانـوا لا يعرفـون شـيئا مـن واقـع الأرض إلّا مـا تـمّ شرحـه لهـم شـفهياً أو على الخرائـط، وبالتّـالي فـإنّ الكمائـن الفلسـطينيّة ناجحـة في اصابـة الأهـداف بدقّـة، فكانـت آليّات العـدوّ مكشـوفة للمقاتلين غير المنظوريـن، وكان العـدوّ يسـتدعي الطّيران مـع كلّ هجـوم فـدائيّ، لكـنّ صيادي الآليّـات والدّبّابـات كانـوا يضربـون... ويختفون.

لقـد بلـغ الأمر والجـرأة أسر عدد من الضّبّـاط والجنود، لكـنّ عنف المعركة لـم يكن يسـمح الاحتفاظ بهم.

لقـد اعـترف قـادة الجيـش الإسرائيـليّ الّذيـن اشـتركوا في المعـارك بصعوبـة المواجهـة مـع المقاتلـين الفلسـطينيّين رغـم امتلاكهـم كلّ الإمكانـات على الأرض، وأحـدث الأسـلحة، والغطـاء الجـوّيّ الدائـم؛ فمثـلا: عندمـا شـعر العدوّ بسـهولة الإنـزال والتّقـدّم في منطقة نهر الأولي شـمال صيدا، حيث يوجـد الآن قوّة للجيش اللبنـانيّ وهي نقطـة تتحكّـم بالدّخـول إلى صيـدا- بـدء تقـدّم الجيش.

فعندمـا بـدأت الآليـات ودبّابـات القـوّة المكونـة مـن لـواء دبّابـات بالتقدّم شـمالا شـاعرين بالأمـان لم تواجهـم في نفـس الموقع أيّـة مقاومة، ووصلـت إلى ما بعد (كفر سـيل) شرق مدينة صيدا، وتحديداً في الشّـمال الـشّرقيّ للمدينة بعد نهر الأولي... وبعدهـا فـوجئ اللـواء بالكمائن الّتي واجهتـه، والّتي عرّضت اللواء لسـيل مـن قذائـف الأربي جي والصّواريـخ، فانقلبـت دبّابـة، وانفجـرت اثنتـين اشـتعلت النّيران فيهمـا، فتوقفـت بقيّة الدّبّابـات، بـل وتوقّف الهجـوم، وانهـارت معنويّات الجنـود، وعقد القـادة العسـكريّون الإسرائيليّون الاجتمـاع الليليّ، وقـرروا معاودة الهجـوم مـن جديد كمـا يقـول القائـد العسـكريّ الإسرائيـليّ (فـالد عمانويل) في

كتابه (انهيار نظرية الأمن)، وتحركوا ولم تكن هناك المقاومة السّابقة. ولكن جاءهم الرّدّ الفلسطينيّ القويّ، الأمر الّذي أوقع صدمة معنويّة أثرت كثيرا على حرّيّة الحركة لتلك القوّات (النّخبة). ويبرر إيتان في مذكراته هذا الفشل بقوله: «في هذه الحرب حالات كثيرة أصيب الجنود خلالها بصدمة الحرب. لقد سبق أن وقعت مثل هذه الحالات في حرب التّحرير، ومن اشترك في تلك الحرب لا بدّ أنّ يتذكر كم من الرّجال هربوا من ميدان المعركة، وكم منهم لم يرغب في الذّهاب إلى المعركة، وكم منهم فرّ خارج البلاد من الطّلقة الأوّلى».

أمّا (فالد عمانويل) فيقول:

«وأمام المقاومة لزحف القوّات الإسرائيليّة من الواجهة الغربيّة لتطويق صيدا من كلّ الاتّجاهات، والمقاومة الّتي واجهتها تلك القوّات الّتي اظهرتها القوّات المعادية صغيرة وفلسطينيون، لكنّ القوّة لم تنجح في التّغلّب عليهم في معظم الحالات. وقد نجحت القوّات الفلسطينيّة في القتال داخل المدن بشكل أظهر قدراتهم وخبراتهم، وهذا فرض على قيادة الجيش الإسرائيليّ تغيير أسلوب القتال من أجل عدم السّقوط في الكمائن الفلسطينيّة. ونظرا لعدم قدرة الدّبّابات والآليات الدّخول إلى المخيّمات والمدن فقد أمر القادة العسكريّون بالاستمرار في التّقدّم شمالا دون الدّخول إلى أيّة مناطق فيها أبنية». كان هدف القوّات الإسرائيليّة، بناء على أوامر شارون، الاستمرار في التقدّم على السّاحل نحو الشّمال إلى أبعد نقطة، وكان هدفه بيروت.

لكنّ الخطأ الكبير الّذي وقعت فيه القوّة الّتي أنزلت في منطقة الأولى شمال صيدا هو محاولة دخولها إلى مدينة صيدا، وكانت هذه فرصة رائعة للمقاومين في المدينة الّذين أمطروها بوابل من قذائف الآربي جي والرّشّاشات

المختفيـة في الأزقـة وخلـف المبـاني، وسـبّب هـذا الواقـع إربـاكا شـديداً للقـوّات المتقدّمـة، وهـو الأمـر الّذي فـرض عليهـا التوقّـف، والاسـتنجاد بالقـوّة المدرّعـة القادمـة مـن الجنوب.

لكـنّ القـوّة المدرّعـة الإسرائيليّـة الّـتي وصلـت صيـدا قادمة مـن الجنوب وقعـت في نفـس الخطأ، فما إنّ دخلت إلى الشّـارع الرّئيس للمدينة جنوب السّـاحة الّـتي تمّ فيها تدمير الآليات السّـوريّة سـابقا أي سـاحة النّجمة الّـتي فتحت عليها كلّ الأسـلحة الرّشاشـة وقاذفـات الصّواريـخ. تنبّهـت القيـادة الإسرائيليّـة، فقامت بإنـزالات على رؤوس التّـلال المحيطـة بمدينة صيـدا، ومنها سـيروب، والطّريق إلى جزّيـن، ومنطقـة الغازيـة المشرفـة على مخيّـم عيّن الحلـوة. وبالطبع حـاصرت غرب المدينـة في البحـر من خلال السّـفن والبـوارج الحربيّة... هـذا الواقع الجديد شـتّت القـوّات الفلسـطينيّة المقاومة؛ لأنّ قسـما منهـا توجّه لمقاومـة الإنزالات.

ومـع كلّ ذلـك فـإنّ هـذه المقاومـة والزّحمـة في المـدرّعات والدّبّابـات أربـك الخطـط الرّئيسـة في التّحـرّك شـمالا، وحـدث نفـس الـشّيء على المحـور الأوسـط والـشّرقي نتيجـة للمقاومـة البطوليّـة لقـوّات «فتـح».

لـم تسـتطع إسرائيـل تنفيـذ وعودهـا بإنهـاء العمليّة خـلال ٤٨ سـاعة، وهي اليـوم أكـثر مـن ٩٦ سـاعة، ولـم تنجـز شـيئاً ذا قيمـة عسـكريّة، وقـد ورد هـذا التّفصيـل في مذكـرات رفائيـل إيتـان الّـتي سـبق وذكرناهـا.

لقـد قـال رفائيل إيتـان: «إنّ الخطّة الّتي قامـت على انهاء العمليّة العسـكريّة كانـت تقـوم على احتلال مسـافة ٤٥كـم، وتدمير قـوّة م. ت. ف خلال ٤٨ سـاعة، وقطـع طريـق بـيروت دمشـق خـلال ٩٦ سـاعة كلّ هـذا فشـل، فمـا زالـت قواعد

فدائـيّ م. ت. ف موجـودة حـتّى في عمـق الجنـوب اللبنـانيّ وخاصّـة السّـاحل، ولم يكـن ممكناً الدّخـول إلى تلك الشّـوارع الضّيقة الّتي كان يخرج منهـا حملة (الار بي جي) والرّشّاشات».

ويقول: كنا نواجه أربع **مشكلات**:

- محور صور الرّشيديّة الّذي تمّ تطهيره بعد وجوب الدّخول إلى المثلّث الحديديّ.

- مشكلة النّبطيّة (بكثافتها السّكّانية).

- مشكلة البوقر/ قلعة الشّقيف.

- العديد من النّقاط الّتي لا يمكن الوصول إليها مباشرة لعدم وجود طرق، ويتمّ التّعامل معها بالمدفعيّة والطّائرات».

لقـد كانت الخطّـة تطويق القـوّات الفلسـطينيّة في كلّ هذه المناطـق وإبادتها، لكـنّ هـذه المواقـع قاومـت ببطولـة فـذة، وبـدون قيادتهـا الأوّلى الّـتي (انتقلت) إلى منطقـة البقـاع، بـل إنّ المقاومـة اشـتدت بعـد معرفـة أنّ رؤوس القيـادة غـير موجودة.

لقـد ظهـرت البطـولات الرائعـة في مخيّمـات الجنـوب: الرّشـيديّة والـبرج الشّـماليّ (وخاصّـة مخيّم البّص المحـاذي لمدينة صـور)، وكذلك في المواقع الشّـماليّة مـن صـور كقريـة شـبريحا، وأبـو الأسـود، والزّهـراني رغـم الإنـزال الإسرائيليّ على مثلّـث الزّهـراني الّذي يربط مدينة النّبطيّـة وجنوب صيدا إلى صـور إلّا أنّ المقاومة كانـت على معرفـة تامّـة بالمـكان، حيـث سـجّل المقاومون بطـولات رائعة، وسـقط العديـد من أفـراد العـدوّ، وتدمّـرت آلياتهـم في المكان.

معركة قلعة الشّقيف الخالدة

اعتقـد العـدوّ من خلال تجاربه السّـابقة وخاصّة اجتياحـه عام ١٩٧٨ لجنوب لبنـان بعـد عمليـة (دلال المغـربيّ باسـم القائد الشّـهيد كمـال عـدوّان) أنّ الأمر سـيكون سـهلا لتقدّمـه على السّـاحل اللبنانيّ، لكـنّ المقاومـة العنيـدة والبطوليّة دفعـت العـدوّ لتغيير خططـه في التقـدّم، وأصبـح الطّـيران العسـكريّ مرافقا لكلّ خطـوة تقـدّم، فلم يعـد يحتمل الخسـائر البشريّـة وخسـارة الآليات في هـذا الوقت القصـير مـن العمليّة على محـور واحد.

وهنـا أكـرّر استحالة أيّـة مقارنـة بـين قوّاتنـا وقـوّات العـدوّ كمـا ذكرت و أوضحت سـابقا.

لقـد عمـل القادة الإسرائيليّـون على تغير التّكتيكات الّتي اسـتعملوها سـابقا مـن خلال اسـتغلال الطّيران الحربيّ والمدفعيّـة والإنزالات في مفـارق الطّرق لقطع كلّ أشـكال الإمـداد العسـكريّ والتموينيّ وغيرها مـن الاجتياحات اللوجسـتية، إذ ثبـت في اعتقادهـم أنّ المقاومـة كالجيـوش، يمكـن أنّ ترتبـك أو تضعـف إذا مـا قطعـت طـرق الإمـداد، ولم يكـن العـدوّ على علـم أنّ (الأخ أبو عمّـار) و(القائد سـعد صايـل) والقائـد (الأخ أبو جهـاد) قد التقـوا بالقيـادات الوسـطى والصّغرى عـدّة مرّات قبـل اجتياح العـدوّ، وشرحوا لهـم كلّ الاحتمالات، وتخطيطـات العدوّ الّـتي تهـدف إلى تقطيـع أوصال الجبهـة الجنوبيّـة، وقطع الطّـرق ووسـائل الاتصال عـن مقاتلينـا، ومنهـا الذّخائر والمـوادّ التّموينيّـة، وبالتّالي حرص الجميـع على تزويد قوّاتنـا، والّـتي تـمّ تقسـيمها إلى مجموعات بكـلّ مـا يلزم بحيث تكـون كلّ مجموعة

مستقلّة، ولا تنتظر الأمر العسكريّ أو الاجتياحات، بل التّصرّف بشكل كامل بما يرونه وأنّ يكون قرارهم في واقع الأمر بيدهم. وهذا تماما ما حصل، وهذا ما أربك العدوّ وأعاق سرعته في التّقدّم، حتّى أنّ عددا من الخلايا والمجموعات استمرّت في القتال بعد تجاوز العدوّ مواقعها، وهذا ما حصل مع مجموعات بلال الأوسط وعزمي الزّغير وغيرهم.

في (قلعة الشّقيف) بلغ عدد المقاتلين الفلسطينيّين فيها ثلاثة وثلاثين مقاتلا، وهم من الكتيبة الطّلابيّة الّتي كان اسمها كتيبة الجرمق وقائدها معيّن الطّاهر.

أرسل هؤلاء الأبطال برقية إلى الأخ (أبو عمّار) تقول: «إنّهم سيقاتلون حتّى الاستشهاد، سيقاتلون حتّى آخر طلقة، وآخر قطرة دم».

وقد قامت قوّات العدوّ بقصف القلعة بكلّ أنواع الأسلحة بما في ذلك القصف الجوّيّ من الطّيران الحربيّ والمروحيّات بشكلّ متواصل ومركز.

أمّا أولئك الرّجال فقد كانوا يعرفون أنّ بعد كلّ هذا القصف هناك تقدّم الآليات والمشاه. واعتقد قائد القوّة الإسرائيليّة أنّ القوّة في القلعة بعد هذا القصف الهائل والمركّز انتهت، فاسرع كي يحصد الانتصار، لكنّ المفاجأة كانت أنّ القوّة في القلعة أوقعت العديد من القتلى في صفوف العدوّ، واستمرّ الاشتباك عدّة ساعات كانت خسائر العدوّ فيها كبيرة بحيث اضطر القادة للكذب حول موضوع القلعة.

ففي الإعلام يقولون: «إنّهم سيطروا على القلعة»، وفي التّقارير لقيادتهم كانوا يشكون صلابة المقاتلين. لقد كتب شارون في مذكراته أيضاً: «أدّى الهجوم على القلعة إلى مقتل ستّة من رجالنا من إحدى وحدات الاستطلاع،

ولسوء الحظّ أعلمنا رئيس الأركان قبيل زيارتنا بأنّنا استولينا على القلعة من دون وقوع خسائر أو أيّة اصابات في صفوفنا، فأعربنا أنا وبيغن عن فرحنا بهذا النّبأ خلال مؤتمر صحفيّ عقد في القلعة، فسبّبنا دون علم منّا ألماً في قلوب عائلات الضحايا».

لكنّ قائد الهجوم «المقدّم دوف» يؤكّد في حديثه لمجلة هعولام هزيه في ٧ تموز ١٩٨٢ أنّ القوّة الّتي كانت بإمرته عند تلقيه أمر الهجوم تتكوّن من (٩) دبّابات، و(١٧) ناقلة جنود، ومجموع قوته في حدود (٩٠) جندياً وضابطاً، وجميعهم أبيدوا، ولم يبق منهم سوى سبعة جنود، وتمّ القضاء على جميع الدّبّابات وناقلات الجند.

ويضيف في شهادته بعد أنّ حضرت إليه قوّات كبيرة أنّهم دخلوا القلعة (الحصن)، ووجدوا ثلاثة وثلاثين فلسطينياً من فتح قد قتلوا جميعاً، ويضيف مؤكدا: «ولم نأسر أيّ فلسطينيّ»، ويؤكّد ذلك الجنرال شاؤول مزراحي قائد لواء المدرّعات المكلّف باحتلال مدينة النّبطيّة، فيقول: «بعد الخسائر الكبيرة في الأرواح الّتي منيت بها قوّاتنا الّتي دخلت قلعة الشّقيف، فقدت فيها عدداً من زملائي كبار ضبّاط الفريق اعتبرهم من خيرة المقاتلين، وأكثر القادة المتمرسين كفاءة في الجيش الإسرائيليّ».

أمّا الملازم عميرام سبغف الّذي اجرت معه إذاعة الجيش الإسرائيليّ مقابلة اذيعت بعد يوم ١٩٨٢/٧/٢٢م، وموثّق ذلك أيضا في كتاب (أحاديث الغزاة)، وكان هذا الملازم قد بترت ساقه في المعركة، فيقول:

«كانت وحدتنا بقيادة المقدّم جوني هرنيك، فقد صدرت الأوامر إليّه بالتوجّه شرقاً لاحتلال قلعة الشّقيف، وكنّا نعلم أنّ طائرتنا قد قامت خلال اليومين الماضيين بقصفها وإلقاء عشرات الأطنان من القنابل فوقها».

أنـا شـخصياً كنت على قناعة أنّهـا أصبحت منتهية، ولكنّ حـين اقتربنا من القلعـة كانـت تبدو شـامخة، وبينمـا كنّا نتقـدّم نحوها لم تكـن هنـاك أيّ مقاومة، ولـم يعـترض الفلسـطنيون طريقنـا، وعلى بعـد (٢٠٠) مـتر مـن القلعـة تقدّمنـا على مجموعتـين كبيرتـين: **الأوّلى** تهاجـم من جبهـة الجنـوب، **والثّانية** تسـتمرّ في التّقدّم جبهـة الغـرب، وصدرت لنـا الأوامر بقصـف القلعة قبـل مهاجمتهـا، وألقينا عليها (٨٠) قذيفـة دبّابة.

وفي السّـاعة الثّانيـة والنّصـف بـدأ الهجـوم الفعـليّ على القلعـة، فمـا كدنـا نصـل على بعـد (٤٠) متراً مـن القلعة حـتّى فتح الجحيـم أبوابه ليبتلعنـا، فقد صبّ الفلسـطينيون علينـا نيرانـاً مـن مختلـف الأسـلحة، وقـد أصبحت المنطقـة الّتي دخلنـا إليهـا مكشـوفة، وكانـت أوّل الدّبّابـات الّـتي اصيبت مبـاشرة دبّابـة القائد هرنيـك، وقـد قتـل هو واثنـان مـن الضّبّـاط معه، وعـيّن الرّائـد إسرائيـل باروخي قائـداً خلفـاً له، ولـم يكـن بإسـتطاعتنا إخـلاء القتـلى والجـرحى بسـبب النّـيران الفلسـطينيّة، لقـد جرى القتال في الشّـقيف على ثلاث مراحـل، وفي المرحلة الثّالثة تـمّ احتـلال القلعـة في العاشرة مـن صباح اليـوم التّالي، أمّـا القـوّات الّتي خاضت المرحلـة الأوّلى فقـد أبيـدت، وينهي حديثـه قائلاً:

«إنّـني أعتقـد بـأنّ عـدد الّذيـن قتلـوا حول وفـوق قلعـة الشّـقيف يصل إلى ٢٦٠ ضابطـاً وجنديّـاً، وإنّ ضعـف هـذا العـدد أصيبـوا بجراح».

لقـد صمـد أولئـك لابطـال في وجـه هجـوم شرس دمروا فيـه سريّـة دبّابات وناقـلات، واسـتمرّ القتـال داخـل القلعـة بعـد أنّ قـام العـدوّ بإنـزال بوسـاطة المروحيّـات فـوق القلعـة مبـاشرة، وقـد سـقط قائد الهجـوم -كمـا أشرنـا- المقدّم هرنيـك، وكذلـك اثنـين مـن الضّبّـاط المرافقـين، وسـتّة ضبـاط آخرين مـن وحدة سـايريت متـكال، وهي الوحـدة الّتي تسـمى (الوحـدة ٢٦٩)، وهي وحدة اسـتطلاعيّة

مرتبطة مباشرة بهيئة أركان الجيش الإسرائيليّ، وتختلف عن الوحدة المسماة (سايريت هادروزيم) الّتي يتكوّن أعضاؤها من الدّروز ومنهم محمّد ملا، وقد نشطت في الضّفّة الغربيّة وغزّة بحكم أنّهم يتكلّمون اللّغة العربيّة.

أمّا قتلى الوحدة الاستطلاعية (سايريت متكال) فمنهم العقيد الركن أفنير شماعيا، والمقدّم جوني هرنيك، والمقدّم يتسائيل مزراحي، والرّائد بفتاح بن حاسو.

إنّ مراجعة أقوال الضّبّاط والجنود الإسرائيليّين الّذين اشتركوا في معركة قلعة الشّقيف تعكس عظمة أولئك الأبطال الشّامخين الممجّدين شهداء السّرّيّة العظيمة من كتيبة الجرمق/ الكتيبة الطّلّابيّة، أولئك الثّلاثة والثّلاثين قائداً فدائيّاً شهيداً خالداً في وجداننا أبداً، والّذين أرسلوا للأخ (أبو عمّار) قبل بدء المعركة: «سنقاتل حتّى آخر قطرة دم في عروقنا»، ولم ينسحبوا ولم يهربوا.

لقد قال الصّحفيّ الإسرائيليّ يوري أفنيري:

«لقد فقدت إسرائيل في قلعة الشّقيف في جنوب لبنان ما يزيد عن (٢٠٠) قتيل ما بين ضابط وجندي».

المقاومة الباسلة في مخيّم عيّن الحلوة

لـم يكـن بإمكان العدوّ التّوجّه شـمالاً دون القضاء على القوّات الفلسـطينيّة في مخيّـم عيّن الحلوة، وقـد أطبق العدوّ على المخيّـم في ١٩٨٢/٦/٩ من خلال القصف الجـوّيّ والمدفـعيّ وراجمـات الصّواريـخ ونـيران البـوارج الإسرائيليّـة على كلّ احياء المخيّـم، وتقـدّم بأرتـال مـن الدّبّابـات والمشـاة على ثلاثـة محـاور قادمـاً مـن محور سـيروب عـيّن الحلـوة، وسـيروب هي المنطقـة الجبليّـة المحاذيـة لمخيّم عـيّن الحلوة من جهـة الشّرق.

- **محور الميّة ميّة/عيّن الحلوة.**
- **محور صيدا/ عين الحلوة.**

لقـد أعطت القدرات العسـكريّة الهائلـة للعدوّ إمكانية الدّخول إلى الشّـارع الرّئيـس للمخيّـم فقـط، فقد واجهـت القـوّات الإسرائيليّة مقاومـة تجلّت في عدد مـن الاستشـهاديين الّذيـن كبّدوا العـدوّ خسـائر فادحة، وكان الأشـبال قـد أبدووا بطولـة نـادرة على غرار أشـبال مخيّـم البّصّ الّذيـن أربكـوا حركـة العدوّ.

صيدا ثورة ومقاومة

هجـوم وراء الآخـر من العدوّ للدّخـول إلى صيدا بكلّ القدرات العسـكريّة الإسرائيليّـة الجوّيّـة والبحريّة والبرّيّة، ويقول في هذا الشّـأن النقيـب أفرايم عروس قائـد وحـدة الدّبّابـات في مقابلة مع إذاعـة الجّيش الإسرائيلي، كمـا وردت في كتاب أحاديـث الغـزاة لخليـل السـواحري: «لقـد حاولنا دخـول صيـدا (١٣) مـرّة، و كنّا نضطـر إلى التّقهقـر، والتّراجـع وراء دبّاباتنا وناقـلات جنود تأكلها النّـيران، وأؤكد أنّ العديـد مـن جنودنـا حاصرتهم النّيران داخـل دباباتهـم ومصفّحاتهم، واحترقت أجسـادهم فيهـا». أمّـا وضـع القـوّات الفلسـطينيّة وأماكـن انتشـارها في الجنوب اللبنـانيّ وصيـدا وعـيّن الحلوة فقـد كان على النّحو الآتي:

- **كتيبـة القطـاع الأوسـط**: مقرّهـا مخيّـم البرج الشّـماليّ شرق مدينـة صور، وكان انتشـارها يمتـدّ مـن البحـر حـتّى المخيّم ومحيطـه، وقائدها هو الشّـهيد بلال.

- **كتيـب الجرمـق**: وجـدت في منطقـة النّبطيّة وحـتّى جسر الخـردلي بما فيها قلعـة الشّـقيف، وكان يقودها معـيّن الطّاهر.

- **كتيبـة بيت المقـدس**: كانت تنتشر في منطـة عدلون وريـف النّبطيّة ومطار أنصـار الّذي أعدّتـه فتـح لاسـتقبال الدّعـم قبـل الاجتيـاح أثنـاء محـاصرة السّـوريّين لمطـار بـيروت وطريق بيروت -دمشـق.

- **كتيبـة شـهداء أيلـول**: انتشرت في منطقـة عبرات وبركة أنـان، وكان يقودها كمال الشّيخ.

- **كتيبة أبو يوسف النّجار**: انتشرت في منطقة القليليّة في شمال مخيّم الرّشيدية، والبّص، وحتّى القاسميّة وصور. وكانت قيادة الكتيبة ثنائيّة بين كايد ونائبه عزمي الزّغير.

- **أمّا قيادة هذه القوّات فقد كانت في مدينة صيدا.**

- **هناك المليشيا من حركة فتح كانت داعمة للقوّات في المدن والمخيّمات وكذلك مقاتلي الحركة الوطنيّة والفصائل الفلسطينيّة.**

كان مجموع هذه القوّات (٢٠٠٠) مقاتل تقريباً، يقاتلون على امتداد السّاحل اللبنانيّ من رأس النّاقورة وحتّى صيدا. أمّا ما نشره العدوّ عن قوّاته وما جاء على لسان الجنرال يهوشواع سيفي رئيس الاستخبارات العسكريّة الإسرائيليّة، ونشرته الصّحف الإسرائيليّة إبّان الحرب فقد أكّد أن القوّات الإسرائيليّة قد وصل عددها في بعض الاحيان إلى (١٧٠) ألف جندي و (٢٨٠٠) دبابة ومدرعة، وسلاح البحريّة بكامله بدون ذكر عدد المدافع والرّاجمات والأدوات الحربيّة والمروحيّات.

أتوقّف هنا لأنظر إلى الأرقام الّتي شاركت في المعارك من قوّاتنا، أو من قوّات العدوّ، ورغم هذا الفارق الهائل وغير القابل للمقارنة إلّا أنّني لا استطيع في هذه اللحظة اعطاء المبرر لبعض قيادة القوّات مغادرة صيدا إلى البقاع بالرّغم من أنّ (الاخ أبو عمّار) كان لا يريد أنّ تحاصر القوّات كاملة، ويسهل للعدوّ القضاء عليها.

معركة الشّوف

لـم توجـد قـوّات الثـورة الفلسـطينيّة في مناطق الشّـوف، فقد كانـت الحركة الوطنيّـة -وخاصّـة الحزب التقـدّميّ الاشـتراكيّ- هو الموجـود فيها دائمـاً لأنّها منطقة درزيّـة في معظمهـا. لكـنّ قوّاتنا بدأت الاسـتعدادات للمعركة، وتـمّ فرز مجموعات قتاليّـة على الجبـال المحادية للسّـاحل شرقاً، وعلى النّقاط المشرفـة على مدخل بيروت مـن السّـاحل، وكذلك لمنـع أيّـة إنـزالات إسرائيليّة من البحـر على النّقـاط الهامّة، ومفـارق الطّـرق المؤديّة إلى الجنـوب وإلى الجبل.

قـام العـدوّ بالتّحـرّك مـن جسر الأولي شـمالاً معطيّـاً حرّيّة بقصـف جوّيّ كثيـف باتّجـاه شرق الرّميلة الواقعة شـمال صيـدا مباشرة بعد جـسر الأوّليّ، وشرق الجيّـة، وسـفوح الدّلهميّـة والنّاعمـة، وخـلدة، وكان تقـدّم العـدوّ على محوريـن باتّجاه الشّمال:

- محـور جـسر الأولي -بـلدة جـون- غريفـة وبعقلـين، وهي مناطـق درزيـة، ومعاقـل لهم.
- محور جسر الأولي الرميلة -السّعديّات-.

وصـل العـدوّ مـن خـلال المحـور الـشّرقيّ إلى بـلدة بعقلـين، وهي مـن أهـمّ معاقـل الدّروز، وقريبـة مـن المختـارة معقـل وليـد جنبلاط، وشـيخ عقـل الطّائفة الدّرزيّـة وبيـت الدّين.

كانـت قـوّة العـدوّ الّتي وصلـت إلى مركـز الدّروز في المختـارة وبعقلين وبيت

الدّيـن فرقـة ميكانيكيـة، وفي هـذا الوقـت انسـحبت القـوّة السّـوريّة الّـتي كانـت موجـودة في جزّيـن. وبهـذا أصبـح العدوّ موجـوداً في الشّـوف وبـدون مقاومة لعدم وجـود قوّاتنـا في المنطقـة إلّا النّقـاط الّـتي أشرت إليهـا سـابقاً، والّـتي كانت مشرفة على شـارع بـيروت صيـدا أو السّـاحل الممتـدّ مـن بيروت حـتّى صيدا.

لـم يكـن العـدوّ يتحـرك خطـوة إلى الأمـام إلّا ويسـبقه قصـف الطّـيران الحـربيّ الّذي اسـتمرّ مرافقـاً البـوارج والقطـع البحريّـة على الشّريـط السّـاحلي، واسـتطاع العـدوّ القيـام بإنـزال بحـريّ في منطقـة السّـعديّات حيث قـصر كميل شـمعون الّذي أشرنـا إليـه سـابقاً. ومـن تلـك النقطـة انطلـق إلى بـلدة الدّبيـة والدّلهميّـة ومتوجّهـاً شـمالاً وشرقـاً، لكنّـه توقّـف مرغمـاً جنـوب بـلدة الدّامـور حيـث واجـه مقاومـة عنيفـة.

حـاول العـدوّ القيـام بإنزالات بوسـاطة المروحيّات، وفشـل في معظمهـا، وتمّ تدمـير٣٤ آليّـه للعـدوّ وجـرح اكـثر من خمسـين مـن الجنـود الإسرائيليّـين، وقدّم خسـائر أخـرى أثنـاء الإغارات في الليـل، لكن... ومـع الصّباح بدأ يتقدّم شـمالاً، وسـيطر على مدخـل بـلدة الدّامـور الجنـوبي والمرتفعـات الّـتي تقـع شرقهـا، وتقدّم كذلـك إلى بـلدة بعورتـا ونحو بلدة خـلدة الّتي تقـع على مفرق طرق بـيروت -صيدا، وبـيروت الجبـل -دمشـق، وهي مشرفـة على مطار بـيروت الدّوليّ.

وفي هـذه المعركة اشـتركت جميـع فصائـل المقاومة، وشـنّت غارات ليليّة على قـوّات العـدوّ في منطقـة الدّامـور. ومـع اسـتمرار تقـدّم العـدوّ نحو خـلدة، حيث وقعـت معركـة كبـيرة تـمّ فيهـا تدمـير أربـع آليـات للعـدوّ، كمـا أسرت دبّابـة وقتـل جميـع مـن فيهـا. لكـنّ العـدوّ اسـتطاع السّـيطرة على مثلّث قبر شـمعون يـوم ١٩٨٢/٦/١٠، وكذلـك على مرتفعـات بعورتـا، وحـاول إنـزال قوّات مـن البحر نحـو منطقـة الدّوحـة وفشـل، وكانـت له محاولة أخـرى مقابـل مدينة الزهـراء وتمّ

صده، لكنّه استطاع السّيطرة على مثلّث قبر شمعون، واختار العدوّ التّحرّك في الجبل لعدم وجود مقاومة فلسطينيّة، فوصل إلى كيفون وبيصور وشملان وسوق الغرب، لكنّه لم يستطع الاستمرّار باتجاه الشّمال حيث بعبدا وبيروت بسهولة، فلقد تحرّكت مجموعات من حركة فتح بأسلحة (الآر بي جي) من قوّات الكرامة، واشتبكت مع العدوّ في محور كيفون -بيات ورأس الجبل، لكنّ العمل الليليّ والإغارات على قوّات العدوّ في أماكن لم يكن سهلاً له التّحرّك فيها، إضافة للتنسيق مع القوّات السّوريّة، الأمر الّذي أوقع عدداً كبيراً من القتلى والجرحى في صفوف العدوّ رغم القصف الكثيف من الطّيران والمدفعيّة على بلدة المنصوريّة. استمرّت المعارك في منطقة رويسات النّعمان والمنصوريّة حتّى ٦/٢٦، وسقط العديد من جنود العدوّ.

السّوريّون يدخلون المعركة دفاعاً عن دمشق

لـم يكـن للسـوريين قـوّات عسـكريّة على السّـاحل الغـربيّ مـا بـين رأس النّاقـورة، مـروراً بصـور وصيـدا حـتّى بـيروت، لكـنّ كان لهم في بـيروت قـوّة تعدّ بلـواء، وتتـوزع قـوّة اللـواء هـذه شرق صيـدا في جزّيـن وفي المناطـق الجبليّـة الّتي توصـل إلى جبـل البـاروك غرب البقاع، وتسـيطر على طريق بيروت -دمشـق، لكنّ القـوّة الأساسـيّة كانـت موجـودة وأكثر حضـوراً في القطـاع الـشّرقيّ، وعلى **محورين**:

- **المحـور الأوّل**: يمتـدّ مـن العيشـية، الرّيحـان، وجزّيـن، ومشـغرة حتّى قب إليـاس ومدينة شـتورا.

- **المحـور الثّـاني**: وهـو يمتدّ مـن قرية المصنـع وعيتـا الفخار، ويقطـع العديد مـن القـرى حتّى مرجعيـون والخيام، وبالطّبـع كان من ضمنها قـرى العرقوب وحاصبيّـا، و يشـمل سـهل البقاع الواقع بين سلسـلة جبل البـاروك في الغرب وسلسـلة الجبـال الشّرقيـة للبنـان المحاذيـة للحدود مـع سـوريا. وقد نشرت القـوّات السّـوريّة مـا يقـارب الفرقـة في هـذه المناطـق تحت حمايـة بعـض صواريـخ سـام الّـتي كان لها صدى كبـير آنـذاك، وهي روسـيّة الصّنع.

لقـد عمـدت إسرائيـل إلى إبلاغ رسـائل عـدّة للسّـوريين أنّهم ليسـوا هدفاً للقـوّات الإسرائيليّـة، وأنّ لديهـا تعليمـات بعـدم الاشـتباك مـع القوّات السّـوريّة. وقـد أشرنـا سـابقاً إلى التّخطيـط الإسرائيـليّ الّذي أبلغـه شـارون لبشير الجميّـل والّذي أوضـح فيـه أنّهـم مسـيطرون على القـوّات السّـوريّة في لبنـان، وكان ذلـك قبـل المعركـة بفترة وجيـزة، لكـنّ القيادة السّـوريّة الّتي مـرّت بتجارب عسـكريّة

مـع الإسرائيليّـين عندمـا راقبـت حجـم القـوّات الإسرائيليّـة الّتي دخلـت لبنان أظهـرت أنّ الهـدف ليـس القـوّات الفلسـطينيّة فقـط، بـل والسّـوريّة لإخـلاء السّـاحة لبشـير الجميّل كمـا أشرنا، ولهـذا تعاملت القوّات السّـوريّة بحذر شـديد، ولـم تظهر القوّات السّـوريّة لمراقبـة الإسرائيليّين إدخـال أيّة قوّات جديـدة للبنان، وذلـك لطمأنـة الإسرائيليّين لوضع السّـوريّين بعـد خضوعهم بكلّ أشـكال المراقبة والاسـتطلاع سـواء جوّيّـة أو بريّـة من خلال عملائهـا في لبنان، وقد علّق شـارون في مذكراته:

«نحن نعلم أنّنا سنصطدم مباشرة مع السّوريّين».

لقـد بـدا واضحـاً للسّـوريين أنّ الإسرائيليّـين يريـدون خلـق واقـع جديـد في لبنـان، وبالتـالي حرصـت القيـادة السّـوريّة على حمايـة طريـق بـيروت -دمشـق، وعـززت وجودهـا في منطقـة ظهـر البيـدر ومفـرق حمانا وفالـوغا، ولـم تتوقّف عند عبـارات الإسرائيليّـين أنّهـم لا يريـدون الاشـتباك مع السّـوريّين.

لقـد أدارت القـوّات الإسرائيليّـة الهجوم مـن ثلاثـة محـاور كما أسـلفنا في نفـس الوقـت، وكانـت أصعـب تلـك المحـاور في مواجهـة القـوّات الاسرائيليـة في منطقـة السّـاحل حيـث القـوّات الفلسـطينيّة، وقـد وقع عـدد كبير من خسـائرها في كلّ محطّـة ومنطقـة سـواء في محيـط مخيّمـات الجنـوب أم في صـور وصيدا.

تلـقّى العـدوّ ضربات قاسـية في صيـدا، فركّز حركتـه في المحور الأوسـط بعد سـيطرته على مدينـة النّبطيّـة وقلعـة الشّـقيف الّـتي تكبّـد فيهـا خسـائر كبيرة، وفي نفـس الوقـت اشـتبك مـع قوّة من قـوّات اليرمـوك في منطقـة العيشـية، ولكنّه اسـتمرّ في تقدّمـه، وأطبـق على مدينـة جزّين الّـتي كانت مقفلـة للقوّات السّـوريّة، وقـد تحّـرك رتـل مـن الآليـات مـن صيدا ليلتـقي مـع القـوّة القادمـة مـن النّبطيّة

والعيشـية. هـذا الوضـع الجديـد للقـوّات الإسرائيليّـة وضعهـا في مواجهـة القوّات السّـوريّة الّـتي كانـت تراقب.

اسـتطاعت الكتيبة الأولى من كتائب قوّات اليرمـوك إعاقة التقدّم الإسرائيليّ على المحـور الأوسـط مدة يوم وليلة، وخاضـت هذه الكتيبة قتالاً بطوليّاً، واستشـهد عـدد مـن الإخـوة هنـاك، وتحرّكـت مجمـوعات أخرى مـن الكتيبـة شرقاً وشـمالاً، والتقـت مع القوّات السّـوريّة في منطقـة عيدون ومشـغرة وبركة جيور.

وهنـا أدركـت القيـادة السّـوريّة أنّ الصـدام واقـع مـع القـوّات الإسرائيليّة، فدخـول جزّيـن والالتفـاف حـول الدّامـور الّـتي أوقـع فيهـا الفدائيـون خسـائر فادحـة في صفـوف هـذه القـوّات ومقتـل الجـنرال ادام في هـذه المعركـة دلّ على أن الهـدف الفلسـطينيّ حيث شـاهدوا البسـالة الفائقـة للمقاتلـيّن ولا سـيّما القائد عبـدالله صيام الشّـهيد البطـل الّذي قاتل بجسـده عندما نفذت ذخيرتـه. فتوجّهت القـوّات الإسرائيليّـة نحـو الـشّرق مـن خـلال تلك الجبـال الوعـرة باتّجاه الشّـوف.

وعندمـا قـام سـلاح المدفعيـة الإسرائيـليّ بتدمـير الصّواريـخ السّـوريّة في البقـاع ومطـار رياق فتحت القوّات السّـوريّة النّـار في كلّ المواقع الموجـودة فيها على القـوّات الإسرائيليّـة. ولهـذا يمكـن القول أنّ تمركز القيادة السّـوريّة والاسـتحكام في منطقـة ظهـر البيدر كان قـراراً صحيحاً؛ لأنّ القيادة السّـوريّة اسـتطاعت تقدير الخطـوات الإسرائيليّـة اللاّحقـة، وأهمّهـا تطويـق القـوّات السّـوريّة وقطـع طريق دمشـق بـيروت، وفرض الشّروط على سـورية بالانسـحاب من لبنان. سـاعد الجّيش الإسرائيـليّ وجـود طائرة بـدون طيار راقبت حركـة الجّيش السّـوريّ في منطقة ظهر البيـدر، وترجمـت حركتهـا على أنّها انسـحاب مـن ظهر البيـدر إلى منطقة الشّـمال، وهـذا سـاعد في أن قامـت هـذه القـوّات بإغـلاق المحـور الّذي تتقـدّم منـه قوّات العـدوّ، وهذا مـا ورد في كتـاب عمانويـل «انهيار نظريّـة الأمن».

لقد قامت الطّائرات الحربيّة الإسرائيليّة بتدمير كلّ مطار رياق وصواريخ (أرض-جو) السّوريّة، والّتي كانت آنذاك أحدث أنواع الصّواريخ المضادة للطّائرات، وهذا جعل الإسرائيليّين يشعرون أنّ تقدّمهم سيكون سريعاً، بحيث أنّ شارون كان يخطط لاحتلال زحلة ويصل إلى مطار رياق العسكريّ، حيث يكون الإسرائيليّون بهذا قد أكملوا حصار بيروت، وقطعوا طريق بيروت دمشق، وأصبحت أيضاً تحت مرمى نيران الجيّش الإسرائيليّ، ويقول شارون في مذكراته: «لقد قلت في غرفة العمليّات المصغّرة في القيادة الشّماليّة أودّ أنّ أكون في الوضع الآتي: «أنّ تكون جميع منطقة الطّريق من زحلة وحتّى مداخل بيروت بأيدينا، وأن تكون على اتّصال مع المسيحيين».

إلّا أنّ السّوريّين فهموا أنّ تقدّم القوّات الإسرائيليّة في منطقة البقاع وسلسلة الجبال الشّرقية وجبل الباروك يعني عزل دمشق، وبالتّالي تجميد حركة الجيّش السّوريّ. وردّاً على هذا الواقع دفعت القوّات السّوريّة بفرقة لمنع التقدّم الإسرائيليّ الّذي تجاوز القوّات الفلسطينيّة الّتي كانت متمركزة في حاصبيا وخط مشغرة وعيّن، وذلك من خلال ثلاثة محاور هي:

- **المحور الأوّل**: مشغرة - قب الياس- شتورا.
- **المحور الثّاني**: مشغرة - القرعون- جب جنين- دير زنون.
- **المحور الثّالث**: عزّ العرب- السّلطان- يعقوب- المنارة- المصنع.

بعد اكتشاف العدوّ الإسرائيليّ لخطة السّوريّين هاجم المواقع السّوريّة بشراسة، وبشكل لم يسبق أن قام به وخاصّة القصف الجويّ الّذي أجبر السّوريّين على التّصديّ للطّائرات الإسرائيليّة من خلال طائرات الميغ والسوخوي وسقط العديد من الطّائرات السّوريّة؛ لأنّ الطائرات الإسرائيليّة كانت أحدث،

وتتوفـر فيهـا كلّ التكنولوجيا اللازمـة، كما قامت القـوّات الإسرائيليّة بالاشـتباك مـع القـوّات السّـوريّة في المحـاور الثّلاثـة الّـتي ذكرنـا، وأوقعـت خسـائر كبيرة في معـدات الجيّـش السّـوريّ الّذي اضطر لإدخال الفرقـة الثّالثة في القتـال. لقد عمل الإسرائيليّـون على تجـاوز القـوّات الفلسـطينيّة في المحـور الأوسـط والـشّرقيّ، وكان السّـوريّون يراقبـون الوضع، فاطلقـوا كلّ مدافعهم باتّجاه القـوّات الإسرائيليّة، الأمر الّذي أعاق القـوّات المتقدّمـة، وهذا سـاعد على تمّوضـع الفرقة الثّالثـة، ووضعها في جاهزيّـة القتال.

أقامـت الفرقـة موقعاً جاهـزاً يسـتطيع مواجهة القـوّة الإسرائيليّـة المتقدّمة في قريـة عـين زحلتا على شـكل كمـين محكم.

أصـدر قائـد القـوّات السّـوريّة الموجـودة في عين زحلتـا أوامره بعـدم الحركة وإصـدار أيّـة أصوات أو إضاءة.

وطلـب عـدم إطلاق أيّـة طلقـة او قذيفة حتّى يأمـر بذلك... وفعـلاً تقدّمت القـوّات الإسرائيليّـة داخـل القريـة. وبعد تعمّقهـا في التقـدّم أمر القائد السّـوريّ بفتـح النّـيران على القـوّات الإسرائيليّـة مـن كلّ مـكان وبـكلّ أنـواع الأسـلحة. كان كمينـاً ناجحـاً أوقع خسـائر كبـيرة، ودبّـت الفوضى وسـط القـوّة الإسرائيليّة، واسـتدعى قادتهـم الطّـيران لإنقاذهم وللانسـحاب، ويذكـر شـارون المعركة بدون أن يدخـل في تفاصيلهـا لتغطيـة حجم الخسـائر في معركة عـيّن زحلتـا. لقد بلغت خسـائر السّـوريّين في هـذا المحـور (٣٤٥) دبّابـة منهـا (٢٠ت-٧٢) و(٦٢- ١٢٥ت) و(٥٥ ت) و(حـواليّ ٧٠ ناقلـة جنـد ومدرّعـة نـوع BM و١٨٦٠ جريحاً و٤٠٠ قتيل).

لقـد كان للطّـيران الحـربيّ الإسرائيـليّ الدّور الأكـبر في هذه الخسـائر، وتجدر الإشـارة إلى أنّ السّـوريّين أوقعوا خسـائر جسـيّمة في صفوف القـوّات الإسرائيليّة.

وكالعـادة -وعلى لسـان شـارون- لا تعـترف اسرائيـل بخسـائرها حـتّى لا تؤثـر في قـرارات الحكومة الإسرائيليّـة أو في الرّأي العـامّ الإسرائيليّ. فلقد أوقع السّـوريّون الإسرائيليّـين مجـدّداً في كمين السّـلطان يعقوب عندمـا تمركز الجيّش السّـوريّ في منطقـة محصـورة وضيّقـة بـين السّـلطان يعقـوب وبـلدة حمـاة والطّريق المـؤدي إلى طريـق بيروت -دمشـق.

نجحـت القوّات السّـوريّة في صـدّ القـوّة الإسرائيليّة الّتي كانـت تريد تحقيق هـدف شـارون في الوصـول إلى زحلة ومطـار رياق شرقـاً، وأوقعوا في صفـوف القوّة خسـائر كبـيرة في الأرواح والمعدّات، وتـرك الجنود دبّاباتهم -كمـا حصل في معركة الكرامـة- و لـم يسـتطيعوا حمـل قتلاهـم مـن أرض المعركـة، وتراجعـوا. وبالطّبـع يكـذب شـارون وعندمـا قـال في مذكراته:

«فقـد دخلـت كتيبـة دبّابـات سـهواً إلى وسـط الخطـوط السّـوريّة في قريـة السّـلطان يعقـوب، وفي نهايـة المطـاف خرجـت مـن المـأزق بعـد أنّ وقع عـدد من الدّبّابـات وخمسـة رجـال في أيـدي العـدوّ».

لقـد سـاهم الجيّـش السّـوريّ في حمايـة دمشـق رغـم الخسـائر الكبـيرة في صفوفـه، وأعاق تقـدّم الجيّـش الإسرائيـليّ بالسّرعـة المخطط لها، ووضـع أوّل وقف لإطـلاق النّـار موضع التنفيـذ بعد (١٢٠) سـاعة من القتـال، في حين كانـت القيادة الإسرائيليّـة قـد خطّطـت (٩٦) سـاعة كمـا ابلغـت هيج وزيـر خارجيـة الولايات المتّحدة.

معركة الدّامور

توقّـف الزّحـف الإسرائيليّ في منطقة الشّـوف عند مشـارف عـين زحلتا كما أشرنـا وهـذا يعـود إلى دور القوّات السّـوريّة في إعاقة التّقـدّم للقـوّات الإسرائيليّة، وإذا كانـت القـوّات الإسرائيليّـة قـد توقّفـت إلّا أنّهـا كانت قد وصلت إلى الشّـوف الأعلى والأوسـط في ١٩٨٢/٦/٩، ومن جبهة السّـاحل وصلت إلى السّـعديّات متوجّهة نحـو الدّامـور، وقـد اشـتركت قـوّات العـدوّ البحريّـة والجوّيّـة والمدفعيّـة في قصف بنايـات الدّامور والمنطقـة المحيطة.

وجـدت في الدّامـور معظـم الفصائـل الفلسـطينيّة، إلّا أنّ القـوّة الأساسـيّة كانـت «لفتـح»، أمّـا القـوّات الموجـودة في منطقـة الدّامـور، فـهي:

- القوّة المحمولة الّتي كان يقودها عبدالمعطي السّبعاويّ.
- سريّة دبّابات بقيادة ضياء.
- سريّة محمولة مشاة بقيادة طارق.
- فصيل مدافع (١٠٦) ملم بقيادة سفيان.
- فصيل مدافع (٨٢ ملم) بقيادة يوسف عبد.

كانـت هـذه القـوّة موجـودة في التّـلال شرق الدّامـور، وفي نفـس الوقـت كان هنـاك مقاتلـو القيـادة العامّـة/ الجبهـة الشّـعبيّة الّذين كانـوا موجوديـن في الأنفاق الّـتي أقاموها في بـلدة النّاعمة الواقعة شـمال بلدة الدّامور وفيها مسـتودعات ضخمة

هي خاصّـة بتسـليح الجبهـة الشّـعبيّة/ القيـادة العامّـة، وتتوفّـر فيهـا كميّـات مـن الصّواريـخ وراجمـات الصّورايخ ومـدّرعات ودّبابات، وتـمّ إقناع المسـؤولين بالعمل المشـترك، وفي نفـس الوقـت لـم يتوقف القصـف الجـويّ والبحـريّ الإسرائيليّ على بـلدة الدّامـور ليـلاً ونهـاراً، وكان القـرار إيقـاع أكبر قدر مـن الخسـائر في العدوّ في حـال تقدّمه.

كانـت البـوارج تـرمي حممّهـا بشـكل كبـير، وأصبحـت قريبـة من السّـاحل، وكان الـرّدّ عليهـا وضـع أربـع راجمـات صواريخ مـن نـوع BM٢/، حيـث كان لكلّ راجمـة أربعـون فوهـة، وبدأ قصـف البـوارج في البحر الّـتي تراجعت إلى مسـافات بعيـدة بعـد اسـتهدافها، وتعدّت المسـافة مـدى وصـول صواريـخ الرّاجمات.

وكمـا أشرنـا فـإن التّقـدّم السّريع لآليـات العدوّ لم يمنـع اسـتمرار المقاومة في المناطـق الخلفيّـة كلّهـا، ووصلـت معلومـات في نفس هـذا الوقـت أنّ الدّبّابّات الإسرائيليّـة أحرقـت على مداخـل مخيم البصّ المحـاذي لصور، حيـث أعطى هذا معنويّـات كبـيرة لمقاتـلي الدّامـور الّذيـن خـاض معظمهـم المعـارك في تـلّ الزّعتر، ومنهـم محسـن الزّعـتر، وأدهـم الزّعـتر وخـالد سـلطان، وضيـاء وعبـد الله صيام الّذي جـاء بقـوّة محمولـة على سـيارتين، وكذلـك مـازن مطريّـة، وعمـر الجربوني، وأبـو العبـد العريان.

ونتيجـة للتّوافـق والتّنسـيق بـين الفصائـل فقـد اسـتطاعوا توجيـه ضربات متلاحقـة للعـدوّ، أوقعـت خسـائر فادحـة في الأرواح والمعـدات، حيـث كان بينها قائـد القـوّات الإسرائيليّـة في لبنان الجـنرال يكوتئيـل آدم.

إنـنّي أرى أنّ مـن حقّ هؤلاء الأبطـال الشّـهداء والأحياء أن نذكرهـم؛ لأنّهم نبـع حيـاة شـعبنا، ورمـزه وعنفوانـه، وسرّ قـوة هـذا الشّـعب الّذي يقاتـل بصـدور

عاريّـة أعـتى قـوّة في الـشّرق الأوسـط بـل إنـه كان نـداً للعديد مـن جيـوش العالم الكـبرى، فقـد اسـتطاع هؤلاء الأطفـال في البـصّ، ومخيّم عين الحلـوة، وعلى مدخل الدّامـور الّذي يقطنـه لآجئـو مخيّم تـلّ الزّعتر إيقاف زحـف العدوّ، وإيقـاع العديد مـن القتـلى والجـرحى في صفوفـه. ولهـذا فـإن الفلسـطينيّ ينحـني لهـذه البطولات الّـتي تصنـع وصنعـت تاريـخ الفلسـطينيّ المتجـذّر في عمـق التّاريـخ وحـتّى اليوم والسّـاعة واللحظة.

وهنـا لا يمكـن نسـيان مكالمـّة الشّـهيد عـزمي الزّغـير، لـلأخ (أبوعمّـار) بقـوله: «إن دبّاباتهـم تحـترق على مفـرق مخيّـم البـصّ، لـن يدخلـوا المخيّـم إلّا على أجسـادنا»، وبعدهـا لـم يتّصـل.

«وعـن معركـة الدّامـور يتحـدّث الجـنرال أفرايـم ابيـدان الّذي أصيـب أيضاً بجـراح خطيرة في جريدة دافـار ٦/أب/١٩٨٢م فيقول: «إنّني أعتقد أن الفلسـطينيين لـم يكونـوا يريـدون قتلنـا، وإنّما أسرنـا جميعـاً، وقد كنّا الجـنرال يكوتئيـل آدم، والجـنرال يسـتون وأنا، وكلّ مـن العقيد الرّكن شـمعون تسـدافيا، والعقيد الرّكن إسرائيـل بلـوخ، والعقيـد أمنون سـيلع، والمقدّم إيـلاني وملازم أوّل يدعى موشـيه، وكان المهاجمـون خمسـة فلسـطينيين يحملـون أسـلحة خفيفـة، اثنان منهـم يحملان مدافـع آربي جي، اسـتمرّ الفدائيـون ينظـرون إلينـا مـدّة اسـتغرقت ثـواني معدودة، وعندمـا مدّ الجنرال آدم يده يتحسّـس مسدسـه، أطلق الفلسـطينيون النّـار علينا، وسـقطنا جميعـاً نسـبح في دمائنـا»، ويضيـف: «أفقـت في المستشـفى، وقيـل لي بـأنّ الجـنرال آدم قـد قتـل، ومعه العقيـد الرّكـن حاييم سـيلع والمقدّم إيـلاني في حين كانـت إصابـة الباقين خطـرة جداً».

وعـن معركة الدّامور يقول الجـنرال أفرايم ايبدان: «أنّ بـلدة الدّامور حوصرت بثلاثـة ألويّـة مـن المشـاه والدّروع، إلى جانب عشرين طائرة تقصفها، وتسع سـفن

حربيّة تشارك في القصف من البحر، وكذلك المئات من الدّبابات والمدفعيّة الثقيلة والمتوسطة تقصف من البرّ». ويقول الجنرال في مذكراته في جريدة دافار: «إنّ قوّة مثل هذه سهل عليها تحويل أيّة مدينة إلى أنقاض»، ويضيف «ما أزال حائراً، إذ كيف استطاع الفلسطينيون الوصول إلى ذلك المقرّ دون أن يراهم جنود الجيش؟! وإذا كانوا يتمترسون داخل ذلك المبنى، فكيف يحدث أنّ قوّات الجيش لم تقم بتمشيط ذلك المبنى تمشيطاً دقيقاً قبل السّماح بعقد مثل هذا الاجتماع الّذي يضمّ كبار ضباط الجيش الإسرائيليّ في القطاع الأوسط».

إنّ من المهمّ القول هنا أنّ جميع عناصر الفصائل الفلسطينيّة اشتركوا في هذه المعركة، ولا يستطيع أيّ فصيل القول إنّ هذه العمليّة البطوليّة الّتي أذهلت الجيش الإسرائيليّ و أوقعت فيه هذا العدد من القتلى والجرحى في صفوف القادة أن ينسبها لنفسه. أمّا شارون فقد كتب في مذكراته:

«وفيما كانت مدافع منظّمة التّحرير الفلسطينيّة تهدر كنت مع بيغن في مقبرة كريات شاوول نشارك في مراسم دفن مساعد رئيس الأركان كوفي آدم، الّذي قتل على يد الفلسطينيين في الطّريق السّاحليّة».

وتفادياً للمزيد من الخسائر في الدامور قرّر العدوّ الالتفاف على بلدة الدّامور، واتجه شرقاً نحو علمين مع العلم أنّ القوّات الفلسطينيّة انسحبت من الدّامور مع اشتداد القصف الجويّ والبحريّ دون معرفة العدوّ، وتوجّهت القوّات نحو خلدة.

إنّ اعتراف القيادة الإسرائيليّة بفشلها في معركة الدّامور وعلى لسان شارون الّذي قال: «أن صبيحة اليوم الثّامن من يونيو تقدّمت قوّاتنا على طول السّاحل مخلّفة وراءها الدّامور، ثمّ أخذت الشّمال الشّرقيّ في اتّجاه عالٍ لقطع طريق دمشق

بـيروت». إنّ هـذا الإعـتراف يدلّ على الخسـائر والفشـل الكبير لقـوّات العدوّ الّذي تـرك الدّامور لمرحلـة تطهير لاحقة.

أمّا الرّقيب داني نيون فيقول:

«إنـنّي لم أشـهد طـوال حياتي قتـالاً كالّذي وقـع في الدّامور، ولقـد حمدت الله على أنّ بقاءنـا في تلـك المنطقة لـم يطل، وإلّا قتلنـا جميعاً».

كانـت هـذه المعركة مـؤشّراً قويّـاً للعـدّو في المرحلـة اللاّحقة لحصـار بيروت بعـد قطع الجيـش الإسرائيـليّ لطريق بـيروت دمشـق في منطقـة عاليّـة، والتّحرّك باتّجـاه بعبـدا ومناطـق الجبهـة اللبنانيّة في بـيروت الشّرقيّـة، ولتقليص الخسـائر في صفوفـه طلب شـارون مـن بشـير الجميّل أن يدخـل بقوّاتـه إلى بيروت كمّـا أشرنا.

حِصار / بيروت

توفـرت المعلومـات لدى الأخ (أبـو عمّـار) عـن الأهـداف الأخيرة لشـارون عـن طريـق السّـادات قبـل اغتيـاله، وأيضـاً عـن طريـق الرّئيـس حسـني مبـارك. وأرسـل كوهـين ممّـثـل المنظّمات اليهوديّـة في الولايـات المتّحدة -مقـرّر لجنة اليهود الأمريكيّـين- الّذي أبـدى رغبـة في مقابلـة الأخ أبي عمّـار، وفعـلاً تـمّ ذلـك من خـلال إرسـال طائرة عسـكريّة مصريّـة إلى مطار بـيروت في أبريـل- ١٩٨٢م، وأثناء المقابلـة أوضـح سـتيفن كوهين ما سـيجري في الأشـهر اللاحقة، ومنهـا: الاجتياح، وإنهـاء الوجـود المسـلّح الفلسـطينيّ حتّى مـن بيروت... وسـبق ذلك تحذيـر الرّئيس حسـني مبـارك مـن الأمـر، والاقـتراح بسـحب أسـلحة المقاومـة لسـحب أعـذار شـارون كمـا أشرنـا، وكان الـرّدّ هو الاسـتعداد لمـا هو آت.

هنـاك الكثـير الكثـير مـن تفاصيـل المعـارك مـع العـدوّ، مـن رأس النّاقورة حتّى خـلدة جنـوب مطـار بـيروت الدّوليّ.

وحاولـت اختصـار التّفاصيـل رغـم ذاك الكـمّ الهائـل من لحظـات البطولة والعطـاء والتّفـاني، لكـّن اتّسـاع الموضـوعات والأحـداث فرضـت عليّ الإيجـاز، ومـع كلّ ذلـك فقـد كانت تلـك الأيـام تسـطّر ملحمّة الصّمـود والبطولـة والحضور الفلسطينيّ.

تقدّم الجيش الإسرائيليّ على مشارف بيروت

لقد أشرنا أنّ الأخ أبا عمّار هو الوحيد الّذي كان يشعر بأنّ شارون لن يترك بيروت. فبالإضافة إلى المعلومات الّتي وصلته من ستيفن كوهين والقيادة المصريّة كان إحساسه الشّخصيّ أنّ إسرائيل لن تتقدّم على محور واحد وهو محور الساحل المعتاد الممتدّ من رأس النّاقورة إلى بيروت مروراً بصور وصيدا. لقد أبلغ رجال الحركة الوطنيّة ومنهم وليد جنبلاط أنّ شارون سيحاربنا أيضاً في عاليه.

كانوا غير معتادين على هذا الوضع؛ فإسرائيل كانت تضرب الجنوب اللبنانيّ دائماً، وتصل لنهر الليطاني مصب الأولي شمال صيدا، وربما تستمرّ حتّى شمال صيدا وعلى الساحل، لكنّ المحاور الّتي فتحتها القوّات الإسرائيليّة شملت الوسط والشّرق لتصطدم مع الجيش السّوريّ بهدف قطع طريق بيروت دمشق.

وفي خلال ستّة أيام، وبتاريخ ٩/ ٦/ ١٩٨٢م وصلت القوّات الإسرائيليّة إلى السّعديّات وحدود بلدة الدّامور، ووصلت الآليات الإسرائيليّة إلى الشّوف، حيث توقّف الجيش الإسرائيليّ في منطقة الشّوف الأعلى عند مشارف بلدة عين زحلتا، ووصلت الآليات والدّبّابات إلى القرى القريبة، ووصلوا إلى بلدة شحيم وكفر حيم. وتوقّفت القوّات الإسرائيليّة -كما أشرنا- في حدود بلدة الدّامور، وتجاوزتها نحو الشّرق الشّماليّ إلى عاليه. وتعبيراً عن الفشل في الدّامور قامت القوّات الجويّة والبحريّة الإسرائيليّة بدكّ الدّامور وكلّ المناطق المجاورة كالنّاعمه وعرمون والدّوحة وخلدة، كما ضاعفت من قصفها للمخيّمات الفلسطينيّة شاتيلا وصبرا وبرج البراجنة، وضاحية بيروت الجنوبيّة. وتكرّر كذلك قصف المدينة الرّياضيّة بعنف جديد، كما تناول القصف محيط مطار بيروت الدّوليّ.

في مطلع الأسبوع الثّاني بتاريخ ١٩٨٢/٦/١١م تمّ الإعلان عن وقف إطلاق النّار في تمام السّاعة الثّامنة فجراً، وأعلنت م. ت. ف قبولها به، لكن -وكالعادة - استمرت إسرائيل بالقصف دون الالتزام بقرار وقف إطلاق النار، ووصل القصف إلى كلّ المناطق السّاحليّة بما فيها خلدة، والأوزاعي، وبرج البراجنة، والشّويفات، والطّريق الممّتد إلى سوق الغرب -عاليه. وبعد ثماني عشرة ساعة من القصف المتواصل أعلنت إسرائيل التزامها بوقف إطلاق النّار، وطبعاً لم تطل فترة توقف القصف والإعلان الإسرائيليّ، فلقد تقدّمت الآليات والقوّات الإسرائيليّة في ١٣/ ٦/ ١٩٨٢م، واحتلّت بعبدا والمجمّع الحكوميّ (السّراي) والمستشفى الحكومي في بيروت الشّرقيّة. وتحرّكت من عاليه نحو الحدث وحتّى مشارف الشّويفات، حيث كان شارون على رأس القوّة المتقدّمة، وحاصر القصر الجمهوريّ في بعبدا، وحوّله إلى نقطة مراقبة.

في هذا الوقت تصاعد القصف المدفعيّ على طريق الأوزاعي وخلدة بكلّ الوسائل العسكريّة من الجّو والبحر والبرّ، وشمل ذلك كلّ المناطق الجنوبيّة من بيروت: المطار والمخيّمات الفلسطينية. وهنا أصدر الأخ أبو عمّار تعليماته بتحصين بيروت، وتأمين كلّ المستلزمات والمواد، واتّخاذ الإجراءات اللاّزمة للصّمود. وبناء على ذلك فقد أعطيت أوامري بجرد المواد الغذائيّة وغيرها في قسم الموادّ التّموينيّة التّابعة لحركة فتح ولمؤسّسة صامد... وترتيبها لاستخدامها عند الحاجة في معركة الصّمود.

أمّا في الجانب العسكريّ فأصبح للعمليّات المشتركة أكثر من موقع لمتابعة الأنشطة العسكريّة والاحتياجات كافّة، ومنها توزيع الأسلحة الفرديّة على العناصر والمتدرّبين.

وفي هذا الوقت طلب العقيد سعيد موسى(أبو موسى) أن نعمل شيئاً

نظـراً لسرعـة التّقدّم للقـوّات الإسرائيليّة، وكان يعـني تجهيز أنفسـنا لمعركة بيروت. وبنـاء على ذلـك فقـد عقـد كلّ مـن الأخ (أبـو جهـاد) و(الأخ سـعد صايـل/ أبـو الوليـد) اجتمـاعاً حـضره الأخ أبو عمّار، وتمّ تقسـيم بـيروت إلى قواطـع، وكل قاطع له قائـد وقـوّات خاصّة.

وهنا تجدر الإشـارة إلى مشـاركة جيش التّحرير الفلسـطينيّ في هـذه العمليّة بالاضافـة إلى انضمـام القـوّات المشـتركة الفلسـطينيّة -اللبنانيّـة، وهـذه القواطـع هي:- القاطـع الممتـدّ مـن مـار مخايـل حـتّى المتحـف بقيـادة جمـال أبو زايـد، وكان معـه قوّات القادسـيّة، وقوّات المليشـيا والحركـة الوطنيّة، ومن المتحـف حتّى البحر بقيـادة العقيد نجيـب زهران ومعه قـوّات حطّين، وفي كلّ هـذه الأماكـن كان يوجد جيـش التّحرير الفلسـطينيّ... وهـذه القوّات كانت بامرة رئاسـة الأركان السّـوريّة، ثـمّ وضعوا أنفسـهم تحت قيـادة الرّئيـس أبي عمّار. كانت هـذه عمليّـة توزيع قوّات جيـش التّحرير الفلسـطينيّ القـادم من سـوريا ومن مصر، أمّـا بقيـة القواطع الّتي كانـت فيها القـوّات المشـتركة الفلسـطينيّة اللبنانيّة، فهي:

- **القاطـع الأوّل**: الممتـدّ من خـلدة -الأوزاعي وحتّى بئر حسـن بقيـادة محمود النّاطـور ومعه قـوّات الـ ١٧.

- **القاطـع الثّـاني**: مـن خـلدة حـتّى الرّيفـيرا مـروراً بثكنـة هـنري شـهاب حـتى السّـفارة الكويتيّـة بقيـادة العقيد محمّـد جهـاد، ومعه قـوّات أجنادين والوحـدات الملحقـة بهـا.

- **القاطـع الثّالـث**: مـن ثكنـة هـنري شـهاب -السّـفارة الكويتيّـة حـتّى الشّـاليهات مـع الرّملـة البيضـاء بقيـادة العقيـد محمـود أبـو مـرزوق.

- **القاطـع الرّابـع**: مـن السّـمرلاند على السّـاحل حـتّى الرّوشـة بقيـادة العقيد

(أبـو مجـدي/ محمّد البـدر) ومعه مديريـة التّدريـب الّـتي كان مديرها، وهي في شاتيلا.

- **القاطـع الخامـس**: مـن شـارع المطـار إلى بـرج البراجنـة والرّويـس حـتّى حـدود حيّ السّـلم الجنـوبيّ والليلـكي شرقاً، وحـدود المطـار الشّـماليّة بقيادة عارف خطّـاب (أبـو العبـد) ومعـه بركـه أبـو عريبـان، ويدافـع عنـه قوّات المنطقـة الجنوبيّـة، وكادر مدرسـة القتـال الّـتي كان مشرفـاً عليهـا.

- **القاطـع السّـادس**: وهـو القاطـع المركـزيّ الّذي كان يشـمل الفاكهـاني، والطريـق الجديـدة، وبـرج أبـو حيـدر، وحي أبـو شـاكر، وكان بقيـادة المقدّم غازي مهنـا(أبـو حسـن)، ومعـه قـوّة مشـتركة فلسـطينيّة لبنانيّـة.

- **القاطـع السّـابع**: ويقع في المنطقـة الممّتدة من كورنيش المزرعـة شرقاً وحتّى البحـر غرباً، وكذلك العمق شـمالاً وجنوبـاً، وكان بقيادة منـذر أبو غزالة.

لقـد كان صمـود بيروت عمليّـة متكاملة ومتراكمة، ولم تكـن في مجال واحد بل شـملت الجانب العسـكريّ الّذي خضـع لعمليّات تدريب مكثفة على الأسـلحة كافّـة، وكذلـك تزويـد كلّ مجموعة بـكلّ احتياجاتها مـن الذّخيرة والتّمويـن أيضاً، وأصبحـت اللغـة لغـة عسـكريّة، والإجـراءات المتّخـذة صارمـة وقاسـيّة في بعض الأحيـان، وكان من هـذه الإجراءات:

- وضع خطّة كاملة لتأمين المحروقات للآليات وأيضاً للأفران.

- تأمين الكمّيّات اللآزمة من المواد التّموينيّة ومادّة الطّحين.

- تـمّ حفـر العديـد مـن الآبـار في مناطق مختلفـة وكذلـك تأمـين الصّهاريج لنقـل الماء.

- قيام الهلال الأحمر الفلسطينيّ بتأمين كلّ الاحتياجات والمستلزمات الطّبية للمقاتلين وللسّكّان، وقد تمّ التّنسيق بين الخدمات الطبيّة العسكريّة والهلال الأحمر الفلسطينيّ، وتمّ تأمين الأدويّة والموادّ والمعدّات الطّبيّة. وسبق كلّ ذلك تأمين الأسحلة والذّخائر المناسبة بكميات كبيرة من عدّة دول عربيّة حتّى من اليمن.

لقد كتب شارون في مذكراته: «وراحت م. ت. ف بعد أن أدركت الّذي يهدّدها، تأمين إرسال الإمدادات، وشهدت هذه المرحلة عمليّات تسلّل واعتداءات قام بها الفلسطينيون من الجبال. وبسبب مرابطة القوّات الإسرائيليّة اعتراني تخوّف أن تصحو م. ت. ف من الصّدمة الّتي أصابتها، وأن تشرع في تحصين نفسها استعداداً لمعركة طويلة».

لقد تطلّب الصّمود استخدام كلّ الخبرات وكل العلاقات، وكان الأخ أبو عمّار دائماً في مقدّمة الإدارة والمتابعة والسّؤال المتواصل وتقديم الاقتراحات والحلول لكلّ الموضوعات. وكان يستعمل طريقة الدّفع عندما لا تتوفر الموادّ اللآزمة، لقد كنّا نعرف أن هذه معركة كلّ واحد فينا ندافع بها عن أنفسنا وأهلنا وعائلاتنا وثورتنا وقيادتنا، وكان الأخ أبو عمّار عنوان المعنويات العاليّة؛ ففي كلّ مكان تجده وبسرعة مذهلة تنتهي مشاكل أي موقع يوجد فيه.

لقد سألني مئات الأسئلة عن كلّ شيء تقريباً، وكانت تنفرج اساريره عندما أخبره بتوفر كلّ ما يطلبه أو أنّه في طريق الوصول... لقد كنّا جميعاً نشاركه في روح الصّمود وعدم تمكين العدوّ من اقتلاعنا، بل وكان عندنا الطّموح بإيقاع أكبر الخسائر في القوّات الإسرائيليّة الغازية وإفشال مخطّطاتها. في هذه الأثناء وسّعت إسرائيل نطاق احتلالها لمشارف بيروت، وعملت على عزل منطقة الجبل عن بيروت أو التّواصل بينهما.

لقد وصلت القوّات الإسرائيليّة إلى عين سعادة، وتحرّكت القوّات الّتي سبق وتمركزت في بعبدا إلى ثلاثة اتّجاهات:

- اتّجاه ظهور الشّويفات ومفترق عرمون، وقطعت الجسر الّذي يفصل مفترق عرمون عن مفترق بشامون، وعزّزت أوضاعها على طريق المعروفيّه -بسابا، وهذه مناطق كان يتمركز فيها الدّروز.

- عبرت القوّة طريق دمشق -بيروت، وتحرّكت من الحازمية إلى الفياضة واليرزة، وأقامت مراكز ثابتة قبالة ثكنة الجيش اللبنانيّ في الفياضة، وقوّة أخرى قرب منزل قائد الجيش العماد فيكتور خوري.

- أمّا القوّة الثّانية فسلكت طريق الحازميّة -جسر الباشا، وتوجّهت إلى المكلس ومنها إلى المنصور، ثمّ تمركزت على الطّريق الّذي يربط المتن الشّماليّ بالمتن الأعلى... وهكذا شكّلت القوّات حزام الحصار الأوّل.

أمّا ذكري لهذه الأماكن الّتي نسلتها من مخزون الذّاكرة، فقد كان الهدف من ذلك ذكر مَن وُجِد في بيروت؛ لأنّهم يعرفون طرقها وأحياءها وجسورها، ولا زال الحنين والذّكرى تشدّهم إليها شدّاً عنيفاً لتلك الأسماء... أمّا من لم يزرها، فسيربط المواقع، ويتصوّر قوّات الطّرفين.

ولاستكمال الطّوق وقطع كلّ الامتدادت البشريّة والعسكريّة فقد واصلت القوّات الإسرائيليّة في ١٥/ ٦/ ١٩٨٢م تقدّمها، واحتلّت بيت مري في المتن الشّماليّ ودير القلعة، واقتحمت بلدة بعبدا كاملة ومنطقة الحدث، والحازميّة وبلدة الشويفات. وفي هذه المواقع قامت بالقصف الكثيف من الدّبّابات والمدافع والرّاجمات للمواقع الفلسطينيّة في محيط المطار، وكذلك خلدة الّتي كانت تعيش معركة ملحميّة.

معركة بوابة بيروت -خلدة

كان واضحاً أسلوب تقدّم العدوّ في أيّة منطقة يحتلّها، وهو أن يقوم بالرّمايّة المكثّفة على تلك النّقطة أو الموقع او القريّة والبلدة بكلّ الأسلحة من البرّ والبحر والجو. وكان يقدّم آلياته ومدرعاته الّتي تسبق حركة الجنود للتّطهير والقضاء على الكمائن بعد إرباكها، بحيث لا يمكن للكمائن الانتظار طويلاً أمام تقدّم قوّات العدوّ والمصائد الّتي كان ينصبها.

لكنّ هذا الأسلوب فشل فشلاً ذريعاً في منطقة خلدة، فبعد أن تجاوز العدوّ بلدة الدّامور باتّجاه الشّرق الشّمالي وحتّى بلدة عاليّه أمطر مثلث خلدة ومحيطه باتّجاه النّاعمه نحو الجنوب من المثلث وكذلك مطار بيروت المحاذي شمالاً لمثلث خلدة ومنطقة الدّوحة -وعرمون، حيث توجد كمائننا وكمائن الحركة الوطنيّة اللبنانيّة المشتركة.

وقد تمّ قصف منطقة الأوزاعي على البحر بكلّ أنواع الذّخائر من كلّ الجهات؛ لأنّه كان يعدّ الطّريق الواصل بين بيروت والجنوب اللبنانيّ، حلقة الوصل مع مثلث خلدة الّتي يتفرغ منها طريق إلى دمشق ومناطق الجبل بحمدون على محور الأوزاعي ومدّرجات مطار بيروت الدّوليّ. كان العدوّ يواجه مقاومتنا الشّديدة في منطقة كلّيّة العلوم في ضاحيّة كفر شيما جنوب شرق بيروت، وهي المنطقة الّتي إذا سقطت فإنّها تعني فتح المجال لوصول القوّات الإسرائيليّة إلى المداخل الجنوبيّة لمخيّم برج البراجنة ومدرّجات مطار بيروت.

ومع تصاعد المواجهة قام العدوّ بالتّحالف مع قوّات في الجبهة اللبنانيّة

بـضرب خطـوط ومحطـات الكهربـاء، وخزانـات الميـاه ممّـا زاد مـن تفاقـم الأزمة. أمّـا على السّـاحل ومثلـث خـلدة، فقـد تواجـدت سريّـة دبّابـات سـوريّة (T.55)، وهي دبّابـات ذات هيـكل ضخـم، ودفعنا نحن بعدد مـن دبّاباتنـا ت-٣٤ الّتي أشرت إليهـا فاصطدمـت بالدّبّابـات الإسرائيليّـة في معركة حاميّـة، ثمّ تمّ سـحب دبّاباتنا إلى الخلـف لإعطـاء الفرصـة للكمائـن الّـتي تمّ وضعهـا على طول طريـق الأوزاعي، والمكوّنـة مـن ثمانيّة عنـاصر يحملـون إضافة للرّشّاشـات قاذفـات الآربي جي.

ومـع تقـدّم العـدوّ واعتقـاده أن سـحب الدّبابـات يعـني أنّـه حقّـق انتصاراً فسـارع في التّقـدّم، وكان العقيـد عبـد الله صيـام هـو قائـد تلك المجمـوعات، وقد أمرهـا بالصّمـت المطبـق حـتّى تتقـدم دبّابـات العـدوّ، وتصبـح كلّ دبابـة في مرمى الأربي جي مبـاشرة ومـن مسـافة قريبـة حـتى تحـدث تفجيرهـا، ومـا أن وصلـت الأهـداف إلى ما أشـار إليه حـتّى انطلقت قذائـف الأربي جي من الكمائـن بغزارة، وبـدأت الدّبّابـات تنفجـر من كثافـة القذائـف، والجنود يهربـون منهـا، فتلاحقهم الرّشّاشـات، وحاولـت قـوّات العـدوّ سـحب الدبابـات المحترقـة فلـم تسـتطع، فانسـحبت إلى الخلـف لتعيـد تنظيـم نفسـها بعـد أن صدمتهـا المفاجأة.

وفي ١٣/ ٦/ ١٩٨٢م عادت دبّابـات العـدوّ للتّقـدّم باتجـاه خـلدة، فتصـدّى لهـا المقاومـون مـن كمائنهـم مجـدّداً، وتـمّ تدمـير سـبع دبّابـات، ونجـح المقاومـون في الاسـتيلاء على دبابـة وناقلـة جنـد نقلوهـا إلى العمـق باتّجـاه بـيروت.

لقـد وقعت خسـائر كبيرة في صفـوف العدوّ وسـقط من عندنا شـهداء كانوا يواجهـون العـدوّ وجهـاً لوجـه، لقـد اعتقـد العـدوّ أنّ سياسـة القفز عـن المناطق، والتّقدّم شـمالاً سـتوقف المقاومة، لكنّه فشـل في ذلك فشـلاً ذريعـاً أولاً في الدامور وثانيـاً في خـلدة، كما فشـلت كلّ محـاولات الإنزال، ومجـدّداً دفع شـارون قوّاته نحو الشّرق باتّجـاه بعبدا.

لقـد أعطـت المعارك في خلدة ومحيطها درسـاً قاسـياً للعدوّ الّذي كان منتشـياً باحتـلاله مناطق الشّـوف وبعبدا وتواصله مـع قوّات الجبهـة اللبنانيّة شرق بيروت، لكنّ الفشـل في خـلدة أعطى صورة لقـوّات العـدوّ وضباطه، وخاصة شـارون، أنّ الدّخـول إلى بيروت وأزقتها وشـوارعها سيشـكّل تدمـيراً للقـوّات الإسرائيليّة. ولهذا كان القصـف الّذي شـمل كلّ بـيروت الغربيّة، حيـث تمّ تقطيعهـا إلى مربّعات، وكان كلّ مربّـع مـن بـيروت يتلـقى الآف القذائـف من الـبرّ والبحـر والجوّ، واسـتعملت إسرائيـل في هـذه الحـرب الآلآف مـن القنابـل العنقوديّـة وبأنواع مختلفـة. كان كلّ خـزّان منهـا يحمـل في جوفـه المئات مـن القنابـل العنقوديّـة الّتي كانـت تنتشر على مسـاحات واسـعة، وكان أيّ احتـكاك فيهـا يجعلهـا تنفجـر... وكانـت هـذه إحـدى عُقَـدِ المعركة مـع العدوّ.

إنّ مـن المهـمّ هنـا معرفـة مـا كان يقـوله جنـود العـدوّ عـن معركـة خـلدة، حيـث يقـول الرّقيـب داني نبـوت مـن سريـة الدّروع: «القتـال الّذي دار في خـلدة كان انتحاريـاً، كنـت أراهـم بوضـوح يحملون فـوق الأكتـاف تلك المدافـع اللعينه الأر بي جي، والطّريـف في الأمـر أنّهـم كانـوا يحملـون مـع قاذفـات الأر بي جي رشّاشـات خفيفـة، فمـا إن يطلق القذيفـة نحو الدبابة حـتّى يلحقها بنيران رشاشـه؛ لاصطيـاد الجنود وأفـراد وطواقم الدّروع الّذيـن يقفزون ويتدحرجون عـن الدّبّابات والمـدرّعات المشـتعلة. لقد أحسسـت بأنّني دخلت منطقة أشـبه بجهنـم، لقد دمّرنا لهـم (٢٠) دبابـة خـلال معـارك الدّبّابـات، لكنّهـم بذلك السّـلاح اللعين دمّـروا لنا خـلال نصـف سـاعة مـا يقـرب مـن (٥٠) دبّابـة ومدرعة وآليـة ونصـف مجنزرة. كنـت لا أسـمع سـوى أصـوات انفجـارات هائلـة وصرخـات جنـود يبحثـون عن ملجـأ، أو جنـود يسـبحون في دمائهـم»، ويضيـف الرّقيـب داني بنـون في مقابلة مع مراسـل الإذاعـة الإسرائيليّة:

«لـن أنـسى مـا حييـت معركـة خـلدة هـذه، ومنظـر الجنـود الّذيـن انتشرت جثثهـم فـوق تلـك الأرض».

لقـد أكـدّت الخطـوات اللاحقـة والمرتبكـة لقـادة العـدوّ، حيـث وصلـت حـالات الـتّردّد في التّقـدّم إلى كل الضباط والجنـود في المواجهة القريبـة. ولم يكـن الليـل في صالـح القـوّات الإسرائيليّـة، فكانـت الكمائـن الّـتي خرجـت لمواجهتهم قـد أصابتهـم في مقتـل و دون توقّـع مـن العـدوّ، وأصبحـت القـوّات الإسرائيليّـة الموجـودة في محيـط خـلدة بحاجـة إلى تعزيـزات نتيجـة الخسـائر الفادحـة. فلقـد فقـدت القيـادة عـدداً كبيراً من الضّبّـاط في معركـة الدّامور، والآن سـقط لهم أكثر مـن مائـة قتيـل بين ضابـط وجنـدي كما يقـول المـلازم مئـير ترايـنـين، ويضيف: «فقدنـا في ذلـك اليـوم عـشرات الدّبّابات والمـدرعات الّـتي دمّـرت أو أعطبت. كان كلّ مـتر احتللنـاه في تلـك المنطقـة قـد كلّفنا ثمنـاً وأرواحـاً. ويضيف المـلازم أول مئـير ترايـنـين مـن سـلاح الدّروع والّذي أصيب بجـروح في معركة خـلدة الأوزاعي يـوم ١٩٨٢/٨/١م لمراسـل إذاعـة الجيـش الإسرائيليّ والّذي تـمّ إذاعته يـوم ١١/ آب-١٩٨٢ بقـوله: «أريـد أن أوضـح الأمـر بصـورة أكثر دقّـة، كان الفلسـطينيون خلال الليـل يسـيطرون تمامـاً على الوضـع في حين كنّـا نسـيطر على الوضع خـلال النّهار، ماكنّـا نفعلـه خـلال النّهـار كانوا يثـأرون له خـلال الليل، حجـم الخسـائر الليليّة الّـتي منيـت بهـا القـوّات الإسرئيليّـة اضّطـرت القيـادة العليـا الإسرائيليّـة لأخذ قـرار حاسـم في سـاعات المسـاء، توقـف اسـتمراريّة الحـرب، وهـو خطأ تكـرّر في جميـع الواجهـات الحربيّـة وفي جميع الليـالي، وذلك عندمـا أعطت القيـادة القطريّة للقـوّات في الواجهـة الأوامـر بعـدم التّقـدّم طيلة سـاعات الليل».

لقـد أدّى قـرار عـدم تحـرك القـوّات الإسرائيليّـة ليـلاً إلى رفـع معنويّـات مقاتلينـا، وهكذا اسـتطاع فدائيونا من زيـادة عدد الكمائـن والهجمات على مراكز

العـدوّ ليـلاً، وفي نفـس الوقـت أدّى هـذا القـرار إلى إضعـاف معنويّـات الضّبّـاط والجنـود الإسرائيليّـين، وشعورهم بالخطـر في كلّ لحظـة.

لقد تردّد قول في أوساط العدوّ:

«إذا كانـت هذه الخسـائر في موقع شـبه مكشـوف في منطقة خـلدة والاوزاعي فكيـف إذا دخلـت هـذه القـوّات إلى بيروت لاحقـاً»، وبالتّأكيد سـتكون الخسـائر أكـبر! وهـذا ما دفـع العقيد إلي جيفـع لترك منصبـه، ورفضه تنفيذ الأمـر باحتلال بـيروت مـع العلم أنّـه قائد اللـواء الرّئيس في احتـلال خلدة، وكان شـاهد عيان على سـحب الفدائيين للدبابـة الإسرائيليّة.

ويقول رفائيل إيتان في قضية العقيد جيفع:

«أوردت ثلاثـة أسـباب أخـرى غير مسـألة رفضـه احتلال بـيروت، كنت قد علمتها مـن قادته»، وهي:

- **الأوّل**: انضمـت إليـه كتيبـة مظلّيـين في مداخـل صـور ضلّـت طريقها في معركـة قاسـيّة في منطقـة المخيّمـات، وتكبـدت خسـائر فادحـة، وقتـل قائدها.
- **الثّـاني**: إنّ دبّابـة تركهـا طاقمهـا في مداخـل بـيروت، وحاول الفلسـطينيون سـحبها، ولذا أمـر اللواء جيفع بشـن هجـوم لتخليص الدبابة، ويعتقد شـيفع بأنّـه المسـؤول عن هـذه العمليّـة، وتألم لها.
- **الثّالث**: أنه يعاني من أزمة دائمة في بيته وقيادته.

ويضيـف رفائيـل إيتـان: «أثنـاء اجتماع حسـم الأمـر في قرية جنـوب خلدة قـال لي جيفـع: «يجب أن تكـثر من اسـتخدام المدفعيّة والطّائرات حـتّى تحول دون

وقـوع إصابـات كثـيرة في القـوّات الإسرائيليّـة». هكـذا كان يعتقـد آلي جيفع قبل تركـه لجنـوده بوقـت قصير، مدّعيـاً أنّه لا يسـتطيع تنفيذ أمر باحتـلال بيروت، وقد ورد هـذا في مذكـرات رفائيل إيتان.

ويقـول عمانوئيـل فـالد في كتـاب انهيـار نظريّة الأفـق: «كانـت معركة خلدة معركـة قاسـية على الجانبـين الفلسـطينيّ والإسرائيـليّ معـاً، لكنّهـا أفـادت الجانب الفلسـطينيّ بشـكل كبير، حيـث وضعت الأسـاس المعنـويّ للمعـارك اللاحقة؛ لأنّ الأحداث الّتي دفعت في الواجهة الوسـطى تشـير إلى فشـل عسـكري، حيث تمكّنت سريتـان للعـدوّ -أي الفلسـطينيين- مـن صـدّ تقـدّم المجموعـة الّـتي عجزت عن إثبـات قدرتهـا والإسـتفادة من كافة قوّاتهـا، لا يمكـن أن نعـزي إضاعة الأرض إلى التّأخـيرات الّـتي حدثت بسـبب تضاريـس المنطقة الجبليّـة الصّعبة وقلّة المسـالك، لكـنّ العجـز الواضـح في التّغلّـب على المقاومـة الّـتي قامـت بهـا قـوّات كوماندو صغـيرة هـو سـبب في التّأخير الّذي سـاهم في عـدم الاسـتفادة من القـوّة كلّها».

في معركـة خـلدة سـقط الشّـهيد البطـل العقيد عبـد الله صيـام الّذي أصبح إسـمه يـتردّد في كلّ خليّـة ومجموعـة، وفي معنويّـات كلّ كادر وعنصر مقـاوم للعدوّ.

لقـد سـقط عـدد كبير مـن الشّـهداء في تلـك المعركـة الملحمة الّـتي كلّفت العـدوّ خسـائر ماديّـة وبشريّـة اعترف بهـا، وخلقت حالـة من التّمـرّد في صفوف الضّبّـاط والجنـود الإسرائيليّـين، والّذيـن لـم يعـد لديهم الحافـز للقتـال والدّخول إلى بيروت.

معركة الأوزاعي - امتداد لمعركة خلدة

كانت معركة خلدة صادمة للقيادة العسكريّة الإسرائيليّة، وسقط فيها الكثير من ضباط العدوّ وجنوده، وكذلك سقط العديد من الأبطال الفلسطينيين. وحاول قادة العدوّ التّعويض عن خسائر خلدة بالتّقدّم شمالاً إلى منطقة الأوزاعي، وهي المنطقة المحاذية لمطار بيروت من جهة السّاحل، وتقع مباشرة على البحر، ويقطنها فقراء الشّيعة الّذين قدموا من مناطق مدينة بعلبك وقراها، وقاموا ببناء بيوت من الطوب على سطح واسع من الرّمل البحريّ، وسميّ الأوزاعي نسبة إلى الإمام الأوزاعي، ومقامه في شمال المنطقة مع ملعب الغولف، والرملة البيضاء ومخيّم برج البراجنة، وكذلك مع الضّاحية الجنوبيّة لبيروت.

في صباح ٢٩/ ٦/ ١٩٨٢م بدأ الهجوم الإسرائيليّ على منطقة الأوزاعي بكلّ الأسلحة الإسرائيليّة الجويّة والبحريّة والبريّة كالعادة، وحاولت القوّات الإسرائيليّة التّقدّم من منطقتين:

- من مثلّث خلدة الّذي تمركزت فيه القوّات الإسرائيليّة بعد المعارك الطّاحنة، متوجهة نحو الشّمال على إمتداد السّاحل.

- من المرتفعات المشرفة على مطار بيروت من منطقة الدّوحة وعرمون وطريق بيروت دمشق، وكذلك من امتداد المرتفعات في الحدث والكحالة والحازميّة، حيث أصبحت مراكز للجيش الإسرائيليّ بالتّعاون مع الجبهة اللبنانيّة.

لقد حاولت القوّات الإسرائيليّة التّقدّم لعدّة أهداف أهمّها:

- رفع معنويّات الضّبّاط والجنود بعد معركة خلدة.

- اختراق الدّفاعات الفلسطينيّة الّتي تمّ توزيعها ككمائن مكوّنة من ثمانيّة عناصر وقائد، ولديها كلّ الأسلحة الفرديّة من الرّشّاشات والأر بي جي.

- محاولة الاقتراب من منطقة المقاومة والمخيّمات الفلسطينيّة دفع العدوّ بعد القصف الكثيف إلى الدفع بقوّات كبيرة على طريق الأوزاعي آملاً من هذا الهجوم إرباك القوّات الفلسطينيّة. لكنّ هذا الهجوم فشل فشلاً ذريعاً، حيث تمكّن المدافعون من تكبيد العدوّ خسائر فادحة في الأرواح والمعدّات من بينها تدمير ثماني دبّابات.

وبعد هجوم استمرّ ثلاث ساعات انسحب العدوّ إلى الخلف لتعزيز مواقع القتال بالجديد من العناصر، وتمّ تأمين الذخيرة اللآزمة، والتّنسيق مع الأسلحة الموجودة في منطقة الرّمل العالي المشرفة على الأوزاعي والمطار، وكذلك مع المدفعيّة الثقيلة والرّاجمات في العمق.

كانت معركة الأوزاعي هي الأولى داخل حدود بيروت، ورغم أنّ المنطقة لا يوجد فيها بنايات عاليّة أو قويّة إلّا أنّها كانت مليئة بالكمائن والخنادق والحفر الّتي كان يسهل حفرها. كانت قوّات الثّورة الفلسطينيّة الموزّعة في كمائن في منطقة مصنع شمعون، ومثلث خلدة، وكفر شيما، وراديو أورنيت، ومنطقة الآثار، واشترك في هذه الكمائن قوّات ألـ ١٧، وقوّات أجنادين، وسريّة من دبّابات ٣٤، لتعزيز مواقع الكمائن.

وكانت النّتائج الأولى للهجوم قد أربكت العدوّ الّذي قام بزّج قوّات كبيرة، وفتح نيران من **ثلاثة محاور** في وقت واحد، وهي:

- **الكوكـودي - الحسـينيّة**: وهي على طريـق المطـار غـرب عين السّـكة وبرج البراجنـة (البلد).

- **مدرسة السّواقة.**

- **الحرش**: وهو معروف لسكان بيروت حيث حلبة سباق الخيل.

كان الهـدف مـن هذا الهجـوم والاندفـاع تجاوز الدّفـاعات الفلسـطينيّة كما في المعـارك السـابقة، لكـنّ هذه الهجمات فشـلت كلّها، ولم يسـتطع الوصـول إلى ثكنة هـنري شـهاب أو السّـفارة الكويتية في المنطقـة المرتفعـة والمحاذيّة للمدينـة الرياضيّة وعلى المدخـل الـشّرقي الجنـوبيّ لمخيم شـاتيلا...لكنّ خـبرة المقاتلين بأسـاليب العدوّ مكنتهـم مـن الإغارة على قوّات العدوّ، والانسـحاب إلى مناطق جديدة لمواجهة جديدة.

اسـتمرّت المعـارك على طريـق الأوزاعي حـتّى ٣/ ٨/ ١٩٨٢ تكبّد فيهـا العدوّ خسـائر كبـيرة يقول عنهـا المـلازم أوّل مئـير ترايـنين من سـلاح الدّروع:

«في ذلـك اليـوم قتـل أربعة من كبـار الضّبّـاط: ثلاثة منهم عقيـد ركن وأربع برتبـة مقـدّم، في ذلـك اليـوم فقدنـا (٦٢) جنديّاً وضابطـاً، ووصل عـدد الجرحى إلى (٩٤) ضابطـاً وجنديـاً بينهـم العقيـد الركـن الياهـو زرغـون، وأخـيراً نجـح الجنرال يسرائيـل طال في السّـيطرة على الأوزاعي»،

ويضيف:

«في السّـاعات الأولى للهجوم لـم تكـن هناك مقاومة فلسـطينيّة تذكر، وذلك لأنّ القصـف الجـوي والبحـري العشـوائي الكثيـف جعـل الفلسـطينيين يغادرون مواقعهـم ويختبئـون في الأنفـاق، كمـا أنّهـم أصيبـوا بصدمة جـراء القصف، خمس قذائف في الثانيّـة الواحدة»،

ويضيف:

«في حوالي السّابعة والنصف من صباح ذلك اليوم بدأ تراجع لنا، لقد اضطررنا إلى إخلاء المواقع الّتي سيطرنا عليها والتقهقر إلى الخلف بسبب النيران الفلسطينيّة المجنونة، يبدو أنّ الفلسطينيين يتمتّعون بشجاعة عاليّة جدّاً، وأكثر الأسلحة الّتي كانو يجيدونها هي تلك المضادة للآليات الأربي جي، وأعتقد أنّ لديهم الكثير منه، وكانوا مدّربين جيداً على استخدامه. حتّى الساعة التّاسعة من صباح ذلك اليوم كنّا قد أخلينا جميع المواقع الّتي وصلنا إليها، والخطير في الأمر أنّنا كنّا نخلف وراءنا أعداداً من القتلى والجرحى، وكانت طائرات سلاح الجوّ والسّفن الحربيّة تهرع لنجدتنا، وبعد قصف لمدة ساعة تقريباً كنّا نقوم بمحاولة أخرى للتّقدّم، وفي حوالي السّاعة الثّامنة مساء من ذلك اليوم كانت منطقة الأوزاعي قد سقطت في أيدينا، وكلّ جندي شارك في هذه المعركة القاسيّة أدرك بأنّه ليس من السّهل دخول بيروت الغربيّة...

ويمكن تلخيص أسباب فشل القوّات الإسرائيليّة وكثرة خسائرها وعدم قدرتها على التّقدّم أكثر بما يلي:

- الاندفاع والسّباق في التّضحيّة بين الفلسطينيين واللبنانيّين مقابل الجيش الإسرائيليّ.
- تحوّل الرّوح الفرديّة في القتال إلى الرّوح الجماعيّة في التّصدي للآليات والمدرّعات والدّبّابات الإسرائيليّة.
- استخلاص العبر من التّجارب في المعارك السّابقة كالدامور وخلدة.

- توفر الذخائر والمواد اللازمة كافّة، فالتّسليح الجيّد والثّقة المتبادلة بين العناصر وقياداتها وبين المجموعات أعطى هذه المعنويّات العاليّة.

- الإيمان والصّبر والمثابرة في هذه المعركة الشّرسة في مواجهة العدوّ، ومحاولة إيصال رسالة إليّة أنّه لن يستطيع التّقدّم الا بخسائر كبيرة. لقد كانت معركة الأوزاعي مؤشّراً ومفصلاً للمعارك اللآحقة، وقد قدّمنا فيها خيرة شبابنا الّذين وصل عددهم إلى سبعين شهيداً.

وتجدر الإشارة هنا أنه كان هناك منافسة بين الشّباب العسكريين من الفلسطينيين واللبنانيّين من حركة أمل الموجودة في وسط سكان الأوزاعي، وكأنّهم يبلّغون الإسرائيليّين أنّكم لن تمرّوا من مناطقنا، وكانت هناك عمليّة كرّ وفّر، ولم يسيطر العدوّ على كلّ الأوزاعيّ بل على مناطق منه.

بيروت بين القصف الإسرائيليّ وتفجيرات العملاء

كان التّنسيق قائماً بين العدوّ الإسرائيليّ وعملائه في القوّات اللبنانيّة، وكان دور العملاء تفجير السّاحة الدّاخليّة، وارهاب اللبنانيّين والفلسطينيين من خلال التّفجيرات في مناطق عدّة، ومنها:

- وقع انفجار عنيف في بناية جورج روزلي المؤلّفة من سبعة طوابق لمجلة المنارة، أدّى إلى تهديم جزء منها، ومقتل سبعة من سكّانها، وإصابة ستّة عشر آخرين بجروح، ومعظم سكّان البناية كانوا من المهجّرين، وذلك في ١١/ ٦/ ١٩٨٢م.

- انفجرت سيّارة ملغومة في السّاعة الثّامنة من مساء ١٤/ ٦/ ١٩٨٢م في محلة ساقية الجنزير قرب بناية الكعيلي، وقد نتج عن انفجارها إصابة ثمانية عشر شخصاً بجروح، وأحدثت أضراراً جسيمة. وفي نفس اليوم انفجرت سيّارة ملغومة أمام مقرّ اللّجنة الأمنيّة في محلة الزهريّة، فأوقعت عدداً من القتلى والجرحى.

- وقع انفجار في الباخرة (ترانزيت) في طرابلس أدّى إلى مقتل ١٢ شخصاً وفقدان ١٣ آخرين، وتبيّن أنّ الانفجار ناجم عن عبوتين زنة كلّ واحدة منها ٢٥ كغم من مادّة أل ت. ن. ت، وذلك بتاريخ ١٨/ ٦/ ١٩٨٢م.

- في ١٩/ ٦/ ١٩٨٢م انفجرت عبوة ناسفة تحت سيّارة في محلة الوطواط في الظّريف، فاحترقت عدّة سيّارات.

- انفجرت سيّارة ملغومة السّاعة الخامسة في تاريخ ٢٢/ ٦/ ١٩٨٢م في شارع فردان عند المفرق المؤدّي إلى ساقية الجنزير على بعد أمتار من مركز سّيارات قوى الأمن الدّاخليّ اللبناني، وأوقع الانفجار قتيلين وأربعة جرحى، وحطّم عشرات السّيّارات. وفي نفس اليوم انفجرت عبوّتان ناسفتان في وقت واحد: **الأولى** في سيّارة نقل كبيرة، **والثّانية** داخل مبنى بجانب نادي الضّباط في محلّة الزّيتون وأدّيتا إلى مقتل أربعين مواطناً وجرح ١٢٣ آخرين، وتدمير المبنى، وإلحاق خلل في المباني المجاورة، وقدّرت زنتهما بـِ ٣٠٠ كغم من مادة ت. ن. ت.

- في السّاعة الثّانية عشرة والنّصف من يوم ٢٤/ ٦/ ١٩٨٢م انفجرت عبوة ناسفة تحت سيّارة من طراز رينو تابعة لوكالة الصّحافة الفرنسيّة، وقد أوقعت قتيلين وعدداً من الجرحى.

- بتاريخ ٣٠/ ٦/ ١٩٨٢م دوّى انفجار قويّ في منطقة رأس بيروت، وتبيّن أنّ عبوة ناسفة انفجرت على مدخل دار طّائفة الدّروز في شارع فردان، وقدّر وزن العبوة ب ٢٠ كغم من مادّة ال ت. ن. ت، و٢٠ كغم من مادّة الهوكسجين، وأدّى الانفجار إلى تدمير المدخل وزجاج المبنى والمباني المجاورة.

- في ١٣/ ٧/ ١٩٨٢م وفي السّاعة السّادسة واثنين وعشرين دقيقة مساءً وقع انفجار في بؤرة تقع وراء مركز الأبحاث الفلسطينيّ في نزلة أبو طالب في رأس بيروت، حيث أدّى إلى سقوط ثلاثة وأربعين جريحاً، وألحق وأضراراً جسيمة، واحترقت (١٢) سيّارة.

- في ٦/ ٨/ ١٩٨٢م انفجـرت سـيّارة مفخّخـة في محلّـة الصنايـع أمـام المدخل الجنـوبيّ لمبنى الإذاعة اللبنانيّة ووزارتيّ الإعلام والسّـياحة السّـاعة الخامسـة وعشريـن دقيقة بعد ثلاث سـاعات من تدمير مبنى عسـكري مـن الطّائرات الإسرائيليّة، أدّت إلى إصابة ١١ شـخصاً.

معركة المطار ومعركة المتحف آخر معارك ما قبل التّدخّل الأمريكيّ

حصار بيروت - الاستعداد والصّمود

توالت الاجتماعات بين قادة الفصائل الفلسطينيّة، والقيادات العسكريّة، ووضعت الخطط لتأمين الاحتياجات كافّة كما أشرنا، وكان أكثر من نصف المهمّات الخاصّة بالتّموين والكهرباء والمولّدات والمياه تقع على عاتقنا. أمّا الجانب العسكريّ فقد تمّ ترتيب القوّات الّتي كانت تستعدّ لمواجهة الإنزالات من البحر كما حصل في منطقة الحمام العسكريّ الواقعة شمال منطقة الرّوشة، والّتي فيها النّادي الخاصّ بالضّبّاط اللبنانيّين، وتمّ تركيز كتيبة كاملة كانت قد استطاعت الانسحاب من صيدا إلى بيروت أثناء حصار منطقة صيدا، حيث نجحت هذه الكتيبة في صدّ عدّة محاولات إنزال قام بها العدوّ رغم القصف الجوّيّ والبحريّ.

لقد شارك الجميع في صمود بيروت وعوامل الصّمود في الوقت الّذي كان يرى فيه شارون أنّه بقطع الكهرباء والماء عن بيروت ومنع دخول أيّة مواد تموينيّة عنها سيضّعف المقاومة، لكنّه لم يكن يعرف أنّ هدفه اقتلاع م. ت. ف ليس سهلاً.

أتذكّر أنّنا استطعنا تأمين الكثير من المواد الضروريّة، بل وكان يتوفّر في بعض المناطق كلّ أنواع الفاكهة، والمياه الصّحيّة، وكان بعض الأهالي يضعون

أجهـزة التّلفـاز فـوق سـيّاراتهم، ويشـاهدون المباريـات الدّوليّـة لكـرة القـدم الّتي شـدّت انتبـاه العالـم، وأبعدتهم عـن رؤيـة الجرائـم الإسرائيليّة.

كان شـارون يريـد اسـتباق كلّ شيء ليحقّـق أهدافـه، لكـنّ المعـارك في الدّامـور وخـلدة والأوزاعيّ، وسـقوط عـدد كبـير مـن القتـلى مـن الضّبّـاط والجنود الإسرائيليّـين ومئـات الجـرحى منهـم دفـع القيـادة الإسرائيليّـة للتّفكـير مليّـاً في عـدم اقتحـام بـيروت.

كان شـارون يدفـع حلفاءه في الكتائـب اللبنانيّة بقيادة بشـير الجميّل، وقوّات الأحـرار الّـتي كان يقودهـا دوري شـمعون نجـل الرّئيـس السّـابق وزعيـم حـزب الأحـرار اللبنانيّ للدخـول إلى بيروت بدون دخـول الجيش الإسرائيليّ، لا سـيّما وأنّ الجيـش السّـوريّ قد الـتزم باتّفاق وقـف اطلاق النّـار الأوّل.

ولجسّ النّبـض ومعرفـة القـدرات غـير المعروفـة للمقاتلـين الفلسـطينيين فتـح الجيـش الإسرائيـليّ معركـة المطـار ومعركـة المتحف.

معركة المطار

اعتقد العدوّ أنّه بالقدرات العسكريّة المتوفّرة لديه يمكن أنّ يسيطر على المطار بسهولة، فالمطار منطقة مكشوفة بحكم مدرّجاته لإقلاع الطّائرات وهبوطها.

لكنّ مراقبة العدوّ لم تستطع تحديد القوّة المواجهة له، وبالتّالي اندفعت الدّبّابات والمدرّعات الإسرائيليّة بسرعة كبيرة في مدرّجات المطار. ولمزيد من الخداع فقد استعمل سيّارات الدّرك اللبنانيّ وآلياته في التّقدّم نحو مبنى المطار الرّئيس، ورافق ذلك قصف بريّ وبحريّ وجويّ مكثّف. ومن أجل إحباط المقاومين والتّلاعب بمعنوياتهم أعلن العدوّ أنّه احتلّ المطار، لكنّه فوجئ بالتّنسيق القويّ بين القوّات المشتركة في منطقة المطار، والكمائن المتعدّدة الّتي استعملت فيها قنوات تصريف المياه في المطار كمراكز فرديّة وجماعيّة، إضافة إلى مواقع المدفعيّة وراجمات الصّواريخ في منطقة التلّ العالي أو (الرّمل العالي).

لقد أربك هذا الواقع قوّات العدوّ الّذي لم ينتظر مثل هذه المقاومة، بل ولم يستطع رؤيتها في بداية تقدّمه، وهذا أوقف اندفاع العدوّ في مدرّجات المطار والمناطق الّتي انّطلق منها؛ لأنّ قاذفات (الأر بي جي) وراجمات الصّواريخ والمدفعيّة في المناطق الخلفيّة، والرّشاشات الثّقيلة عملت في وقت واحد، وشكّلت كثافة ناريّة قويّة فرضت عليه التّراجع، حيث عمد عندها إلى استعمال الجرّافات لبناء سواتر ترابيّة لحماية ما تبقّى من دبّاباته وآلياته.

لقد كان للتّنسيق بين الكمائن، والقوّات المدافعة في منطقة الرّمل العالي،

وشراسة القتال في مخيّم برج البراجنة دور هامّ في إرباك حركة العدوّ الّذي فوجئ أيضاً بكثافة النيران ودقّتها.

لقد أذهل العدوّ الاستعداد الجيّد للكمائن وقوّة قوّاتنا. وأخطأ عندما اندفع نحو المبنى الرّئيس للمطار، والّذي كان يعتقد أنّه إذا ما سيطر عليه فسيكون قد سيطر على كلّ منطقة المطار.

كانت دبّاباته وآلياته مكشوفة رغم وصوله إلى المبنى الرّئيس إلّا أنّ قناصينا استطاعوا ايقاع العديد من القتلى والإصابات في صفوفه. لقد استمرّ القتال بيننا وبينه أكثر من ثمان وأربعين ساعة، ورغم احتلاله لأجزاء من المطار إلّا أنّ قوّاتنا بقيت محتفظة بالعديد من المناطق والمباني والنّقاط الدّفاعيّة المشرفة على طريق المطار الرّئيسة. لقد أصبح هناك تداخل بين مواقع مقاتلينا وقوّات العدوّ، وهو الأمر الّذي استمرّ على هذه الحال حتّى نهاية القتال.

أدّت هذه المعركة إلى ارتفاع معنويّات مقاتلينا الّذين كانوا يتسابقون لإيقاع أكبر عدد من القتّلى في صفوف العدوّ؛ فلقد تمّ تدمير أكثر من ثماني عشرة آليّة، وسقوط مئتيّ قتيل وجريح من الضّبّاط والجنود، أمّا نحن فسقط لنا ثلاثة وعشرون شهيداً، وجرح ثمانية وثلاثون، كما دمّر لنا مدفع ١٠٦ ملم وثلاثّ دبّابات (ت ٣٤) وصهريج.

وعن هذه المعركة أرسل الأخ أبو عمّار رسالة إلى الاقاليم كافّة بتاريخ ١٩٨٢/٨/١ قال فيها:

«بالرّغم من المعركة الشّرسة إلّا أنّ العدوّ تمكّن من السّيطرة على الأجزاء الرّئيسة من المطار، ولا تزال المعركة محتدمة، وإنّ هذا يكشف بصورة لا

تـدع مجـالا للشّـك بـأنّ هـدف المؤآمـره والمتآمريـن هـو إبـادة الشّـعبين اللبنـانيّ والفلسـطينيّ، و تدمـير بـيروت وحرقهـا، وتصفيـة الثّـورة الفلسـطينيّة».

لقـد كانـت معركـة المطـار مـؤشّراً مكشـوفاً لشـارون وخطّطـه الّـتي كانـت تقـضي: بــ (دخـول بـيروت) بـأيّ ثمـن؛ فعندمـا يشـارك أكـثر مـن ثلـثيّ الجيش الإسرائيـليّ في هـذه الحـرب، فـإن شـارون والقيـادة الإسرائيليّـة لـم تتوقّـف عنـد الخسـائر الجسـيمة الّـتي منيـت بها، ولهـذا فقد كانـت معركـة المطـار عمليّة جسّ لنبـض المقاومـة الفلسـطينيّة وقدرتهـا على الصّمـود.

لقـد اعتقـد الإسرائيليّـون أنّ المقاومين الفلسـطينيين سـتضعف إمكاناتهم وتنقـص ذخائرهـم خاصّـة الرّاجمـات والمدفعيّة، لكنّهـم فوجئوا بهذا الكـمّ الهائل من القذائف تسـقط عليهم وعلى آلياتهم، فاسـتدعوا الطّيران الحربيّ الّذي اسـتعمل كلّ أنـواع الذّخائـر ضـدّ المقاومين بمـا في ذلـك القنابـل العنّقوديّة، ولـم يكن من المتصـوّر أن يقـوم العـدوّ برمي أكثر مـن (١٥٠٠) قذيفـة في الدّقيقـة على مربع واحد.

ونظـراً لمعرفـة مقاتلينـا بـكلّ شـبر مـن أرض المطـار ومحيطـه فقـد كانـت إصاباتهـم دقيقـة ومؤثّرة، ولم تسـمح لقـوّات العـدوّ بالتّقدم أكثر مـن تلك الحدود الّـتي وجـد فيهـا، يقـول الجـنرال بـن تسـيون شزايـدر الّذي كان مشـاركاً في معركة المطـار، عـن المعركة:

«لقد كلّفنا كلّ متر في هذه المعركة عشرة جنود».

لقـد اعتقد العدوّ أنّه سـيخترق بيروت من محـور المطار والضّاحيـة الجنوبيّة، لكـنّ حجـم الخسـائر أجـبره على الوقـوف وعدم التقـدّم، وكانـت محاولتـه الثانية من محـور منطقـة المتحف.

معركة المتحف الصّخرة الثّانية في وجه العدوّان

أراد شارون أن يكثّف من قوّة نيرانه ضدّ قوّات م. ت. ف ليفاوض من موقع قوّته العسكريّة لإرغام القيادة الفلسطينيّة على الرّضوخ لشروطه. فقد أصبحت بيروت محاصرة بعد تواصل جيش العدوّ مع قوّات الجبهّة اللبنانيّة في منطقة بعبدا، واعتقد شارون أثناء الخلافات المعمّقة في أوساط الإسرائيليّين، والانتقادات الموجّهه إليه نظراً للخسائر الكبيرة في صفوف الجيش الإسرائيليّ، وطول فترة المعارك... اعتقد أنّ بإمكانه اقتحام بيروت، سواء من المطار أو من منطقة المتحف، بالشّراكة مع حلفائه من الجبهة اللبنانيّة، فهو اليوم يحاصر بيروت الغربيّة، وهو يعتقد بعد تحييد الجيش السّوريّ أنّه لم يعد بإمكان الفلسطينيين الحصول على أيّة إمدادات أو ذخائر أو أسلحة، حيث اعتقد أنّ ذخيرة الفلسطينيين قد نفذت، ولهذا لن يمكّنهم ذلك من الصّمود طويلاً. ومن خلال إقامته في منزل جوني عبدو رئيس مخابرات الجيش اللبنانيّ بحراسة الجيش اللبنانيّ والكتائب كان شارون يدير المعارك من المكان الّذي يقع فيه القصر الجمهوريّ ووزارة الدّفاع اللبنانيّة.

لقد اعتقد، وهو يشير بيديه إلى المناطق الفلسطينيّة بدون خرائط طرق، أنّه يمكن الهجوم على بيروت الغربيّة. وأصبح مدركاً أنّ معركة بيروت هي المعركة الحاسمة لتحقيق أهدافه، وهكذا هي القيادة السّياسيّة والعسكريّة الإسرائيليّة دائما فهي لا تفكّر بالخسائر وإنّما تفكر في أمور تحقّق مكاسبها الشّخصيّة أوّلاً.

إنّ الضّبّاط الّذين خاضوا المعارك السّابقة عدّوا معركة بيروت معركة موت

محقّق، وقد حذّروا من خطورة دخول بيروت، وبلغ بهم الأمر أنّ قاموا بتوصية بعضهم بعضاً بإيصال رسائل متبادلة لأسرهم في حال وفاتهم، حيث ظهرت أمامهم خسارة كتيبة كاملة في معركة خلدة الّتي خاضها لواء جيفع.

ولهذا طلب هؤلاء الضّباط عدم الدّخول إلى بيروت، بل قصفها من الجوّ والبحر حتّى ينهك المدافعون عنها... ودارت نقاشات متواصلة، ولم تستطع القيادة الميدانيّة الإسرائيليّة اتّخاذ قرار واضح، وانعكس ذلك على أصحاب القرار في الدّاخل، وهو الأمر الّذي دفع مناحيم بيغن إلى الدّعوة لعقد اجتماع لمجلس الوزراء بقيادته لمناقشة الخيارات الممكنة، وهنا يقول شارون عن ذلك:

«شكّل الخيار القائم على الهجوم الجوّيّ مدار بحث منّا، وقد سبق وقصفنا مواقع (م. ت. ف) قصفاً عنيفاً، لكنّ بعض الوزراء أبدوا معارضة شديدة في وجه استخدام الطّيران، وراحت وطأة الضّغط الّذي مارسه الأمريكيّون على هذا الموضوع تقلّ أكثر فأكثر، أمّا بيغن، فقد أكّد ضرورة اللّجوء إلى الطّيران حتّى تحول دون إدخال قوّاتنا إلى بيروت، لكنّ في حال لم نجد سبيلاً غير اقتحام بيروت، فإنّ على جيش الدّفاع الإسرائيليّ أن يقوم بالمهمّة». لقد كنت أعلم انّ رؤساء م. ت. ف لن يرحلوا طالما لم يقتنعوا بعد بخطر إبادتهم، لذا كان لا بدّ من ممارسة ما تيسّر من ضغوطات لإجبار قادة م. ت. ف على اتّخاذ قرار».

و أمام صمود الفلسطينيين، والضّغوط الدّوليّة، ووضوح التّواطؤ الأمريكيّ أمام العالم، فقد بدأ الضّغط الأمريكيّ يأخذ منحى آخر، وفي نفس الوقت بدأت الضّغوط من الجبهة الدّاخليّة. ويقول شارون أنّ بيغن قال أمام مجلس الوزراء:

«ستحلّ بنا مصيبة إذا ما بقينا على أبواب بيروت كما هي الحال الآن، فإذا لم ندخل بيروت سيكون النّصر من نصيب م. ت. ف، عندها سيتمكّن

عرفات من التّأكيد أنّ م. ت. ف هي في أحسن أحوالها وتحتلّ مركزاً جيّداً، ومسلّحة خير تسليح».

ومن المعروف أنّ وزير خارجيّة الولايات المتّحدة الأمريكيّة آنذاك ألكسندر هيج كان قد تواطأ مع بيغن في احتلال بيروت، وطلب منه منتصف ١٩٨٢ الإسراع في عمليّة الاجتياح بحيث لا تأخذ وقتاً طويلاً، وقد أبلغ بيغين شارون بما اتّفق عليه وهيج من دخول بيروت، لكنّ المقاومة الشّرسة الّتي لم يتوقّعها الإسرائيليّون في كلّ المواقع أربكت عامل الزّمن لديهم، وأخّرت تنفيذ خططهم، وكسرت حلم شارون وبيغن.

يقول شارون في مذكراته: «خلال الجلّسة الّتي عقدتها الحكومة الإسرائيليّة في الأوّل من آب/ أغسطس ١٩٨٢ أعلن بيغن أنّ الفلسطينيين لا ينون المغادرة، وفي حال إرسال قوّات متعدّدة الجنسيات لتفصل بين قوّاتنا لن يرحل هؤلاء الأوغاد عن بيروت أبداً».

في ظلّ عدم وضوح شكل اتّخاذ القرار المباشر من القيادة السّياسيّة والعسكريّة الإسرائيليّة، أخذ شارون على عاتقه اقتحام بيروت، لكنّ خسائره في معركة المطار جعلته حذراً في الخطوة التّالية.

في هذا الوقت وصلت للأخ (أبو عمّار) والأخ (أبو الوليد) والأخ (أبو جهاد) معلومات مؤكّدة عن موقع المعركة القادمة الّتي يشرف عليها شارون، وهي منّطقة المتحف الّتي ستكون بوّابة جديدة له لاقتحام بيروت بعد الفشل في معركة المطار الّتي حسب لها أنّ أيّ خطوة يتقدّم فيها من المطار سيواجه بمراكز المخيّمات الفلسطينيّة والقوّات المتمركزة فيها.

لقد أصبح واضحاً للأخ (أبو عمّار) أنّ المعركة القادمة ستكون شديدة،

والصّمـود فيهـا ضروريّ مـن أجـل تحسـين شروط المفاوضـات، وأنّ هـذه المعركـة هي الأخيرة الّـتي تحـدّد المراحـل اللآحقة سـواء العسـكريّة أو السّياسـيّة. وبالتّالي أعطيـت الأوامـر للاسـتعداد الكامـل؛ فعلى معظـم البنايـات المرتفعة وجـد ضبّاط مراقبـون للتّواصـل مـع غرفـة العمليّـات حيـث الأخ أبـو عمّـار وأبـو الوليـد. أمّا الأخ أبـو جهـاد فـكان ينتقـل من موقـع لآخر لجمـع الملحوظـات والمعلومـات عن قـوّات العـدوّ، حيـث ثبـت لديه أنّ محـور منطقة المتحـف هو الّذي سـيكون هدف شـارون وبوابتـه، وهنـا كلّـف المراقبة بالإبلاغ عـن أيّة حركـة للعدوّ فـوراً. في هذا الوقـت قـام العدوّ بتجديـد خطواته ليقسـم بـيروت الغربيّة إلى قسـمين من خلال اقتحامـه منطقـة المتحـف مبـاشرة باتّجـاه الغـرب حـتّى البحـر، وذلك مـن خلال شـارع المتحـف وطريـق فـردان -المزرعة حـتّى الرّوشـة والرّملة البيضـة أيّ البحر.

ولإنجـاز ذلـك فقد أعطيـت أوامـر القيـادة الإسرائيليّـة إلى القـوّات الجوّيّة والبحريّـة والبريّـة كافّـة بـضرب جميـع المواقـع في بـيروت الغربيّـة، وذلـك في موعد الهجـوم الّذي تقـرّر يوم ٤/ آب- أغسـطس/١٩٨٢. وأعطيت الأوامر أيضـاً بزجّ لواء مـدرّع لمواجهـة القوّات الفلسـطينيّة الموجـودة في مرفأ بيروت، والّـتي كانت جاهزة للتّصـدّي لأيّـة عمليّـة إنـزال محتملـة في منطقة الميـناء، وفي نفس الوقـت تحرّكت قـوّة مكونـة مـن (٨٠) دبّابة وناقلـة جند مدرّعـة لاقتحام منطقـة المتحف ومنطقة سـباق الخيل في وسـط بيروت.

لقـد أصّبـح واضحاً للقيادة الفلسـطينيّة أهـداف العدوّ وخططه العسـكريّة الأنيـة، واسـتلم الأخ أبـو عمّـار القيـادة، والأخ أبو جهـاد الاسـتطلاع، والأخ أبو الوليـد الإدارة، وحينئـذ قال الأخ أبـو عمّار:

«هبّت روائح الجنّة».

ولمواجهة خطّة العدوّ عملت القيادة على:

- ترتيب اجتماع لقادة المحاور جميعهم؛ ليكونوا على أهبة الاستعداد لمواجهة أيّ طارئ وتحديد المهام والاتّفاق على خطّة النّيران على الأهداف المحتملة.

- اجتماع لقادة الفصائل برئاسة الأخ (أبو عمّار) ليكونوا عند مسؤولياتهم، وتحمّل جزء من الأعباء القادمة، وتوجيه عناصرهم.

- حشد كلّ القوّة العسكريّة الاحتياطيّة من مدفعيّة وراجمات وذخائر.

- تعزيز مواقع القتال كافّة، والمواجهة بالمقاتلين والمتطوّعين.

- التّركيز على الانّضباط الشّديد، والدّقة لضمان مفاجأة العدوّ.

- عدم إطلاق أيّة نيران من الرّاجمات والمدفعيّة إلّا بأمر من (الأخ أبو الوليد) شخصيّاً.

في هذه الأثناء كانت المعلومات تأتي تباعاً للأخ (أبو جهاد) من المنطقة الشّرقيّة عن كلّ حركة للجيش الإسرائيليّ، من خلال نقاط المراقبة المتقدّمة الّتي كان يشرف عليها. لقد كان في موقعه هذا كأنّه القائد الميداني الأوّل، حيث كان المقاتلون يشعرون بالسّعادة وترتفع معنوياتهم عند رؤيته على نقاط القتال.

لقد وضع الأخ أبو جهاد عدّة عناصر في أعلى البنايات، وزودهم بمناظير ليليّة لمراقبة تحرّكات العدوّ، و إعلامه بأيّة حركة له، فقد كان هو والأخ أبو عمّار يريان أنّ هذه المعركة المنطلقة من منطقة المتحف -البربير هي المعركة الأساسيّة الّتي ستحدّد لغة المفاوضات القادمة مع العدوّ، ورسم خطوط الإنجاز المعنويّ والسّياسيّ.

إضافـة إلى تجميـع المعلومـات عـن العـدوّ والاسـتطلاع الدّقيـق، كلّف الأخ أبـو الوليـد كادراً خاصاً بزراعـة العديد من حقـول الألغام على كلّ المواقـع الأماميّة والطّـرق الّـتي من المحتمـلّ أنّ يدخلهـا العدوّ، ووضـع أعداد جديدة مـن المقاتلين في نقـاط محكمـة بتلك الشّـوارع مـن كلّ الفصائل.

كان القـادة الثّلاثـة يدرسـون كلّ الاحتمـالات والخطّـط الّـتي يضعهـا قـادة العـدوّ للهجـوم، فتـمّ بالمقابل تجميـع ما يقارب مئة وخمسـين قطعـة مدفعيّة وراجمة صواريـخ، وتـمّ تزويدهـا بكميّـة مضاعفة مـن الذّخائـر... وبدأ العـدّ العكسيّ في انتظـار هجـوم العدوّ!!

أطلقـت نقـاط المراقبـة والمواقع معلوماتها عـن تحرّك دبّابات العـدوّ وخلفها الجنـود الإسرائيليّـون يسيرون بحـذر. كان الأخـوة في غرفـة العمليّات الّـتي بدأت تزدحـم بالقيـادات قـد صمتـوا جميعـاً بانتظـار أيّـة معلومـات جديـدة أو خبر من هنـا أو هنـاك... كانـوا في حالـة مـن التوتّـر والاطمئنـان في نفس الوقـت؛ فقـد تمّ اتّخـاذ خطـوات الاحتيـاط اللآزمـة لمواجهة العـدوّ، أمّا العـدوّ فقـد كان يعتقد أنّ المفاجـأة بيـده؛ لأنّ هنـاك صمتـاً كاملاً مـن الطّرف الفلسـطينيّ.

اعتقـد شـارون أن المفاجـأة بيـده، وأنّ القوّة العسـكريّة الهائلة لديه ستحسـم المعركـة، لكنّـه لـم يحسـب أنّ في الطّـرف المقابـل رجـالاً عاهـدوا الله على النّـصر أو الشّـهادة، وهي القـوّة الأكثر قـوّة من الآليـات والدّبّابات والطّيران الحـربيّ والرّاجمات.

كان المتحـف -كمـا أشرنا- هو النّقطـة الفاصلة بين بـيروت الغربيّة وبيروت الشّرقيّـة حسـب الاصطـلاح المتعـارف عليّه إبان الحـرب الأهليّـة، وكان إلى جانبه منطقـة ميـدان سـباق الخيـل والحـرش الملاصـق للضّاحيـة الجنوبيّـة، وهي منطقة مفتوحة تسـهل الحركـة فيها.

كانت السّاعات حاسمة بل الدّقائق واللحظات حساسة جدّاً فيمن سيبدأ بإطلاق النّار.

كان حلم شارون إرغام عرفات على الاستسلام والخروج من بيروت ذليلاً ضعيفاً، أمّا الأخ أبو عمّار فكان يريد كسر عنجهيّة شارون وغطرسته، وتلقينه درساً في عظمة الفلسطينيّ، وقدرته على الصّمود والمواجهة والتّحدّي حتّى ولو بصدر عارٍ..كانت تلك لحظات من عمرنا ومن عمر شعبنا... ومن تاريخنا ومجدنا.

كانت أيدي الرّجال على الزّناد... وجاءت لحظة الحقيقة بعد أنّ أصبحت قوّات العدوّ الصّهيونيّ تحت مرمى كلّ الأسلحة، وأبلغت نقاط الاستطلاع غرفة العمليّات بذلك.

ابتسم (أبو عمّار) في وجهيّ أبي جهاد وأبي الوليد، وأعطيت إشارة إطلاق النّيران من خلال كلمة السّرّ الخاصّة بالأخ أبو عمّار «هبّت روائح الجنّة»، والّتي عاشها كلّ من يحمل بندقيّة.

كانت الجنّة قريبة، فهي العنفوان الفلسطينيّ وهذه الشّهادة هي بوابة الجنّة، وهي كرامة العربيّ المهدورة، والّتي منعت إطلاق شعار أو صراخ أو مظاهرة عندما كان الفلسطينيّون يردّدون «يا وحدنا».

ومرّة واحدة... ومن كلّ الأسلحة المتوفّرة، من المسدّس حتّى راجمة الصّواريخ انطلقت النّار نحو العدوّ ودبّاباته وآليّاته، وبعون من الله، وإيمان أبناء الثّورة الفلسطينيّة، واستعدادهم للشّهادة كانت الملّحمة الّتي جعلت العدوّ يسقط في يده؛ فلا هو قادر على التقدّم. ولا هو قادر على التّراجع، فاستدعي كلّ طيران العدوّ ليساعد قوّاته في التّراجع والهرب، واتّت البرقيات إلى غرفة العمليّات عبر الأجهزة..:

«لـن يمـرّوا إلّا على أجسـادنا»، وكان هذا شـعار كلّ مقاتل في تلـك اللّحظات، وتوالت أوامـر القائد سـعد صايل:

«لا توقفوا النّيران، وبكلّ الأسلحة سلمت أيديكم».

وعـن هذا المشـهد يقول الرّائـد مئير عميتاي مـن سـلاح الدّروع الاسرائيلي في مقابلـة نشرتها عل همشـمار في ٢٥/ آب/ ١٩٨٢:

«إنّـني متأكّـد بـأنّ ليـس هنـاك طائرة واحـدة في سـلاح الجـوّ الإسرائيليّ لم تشـارك في هـذه الحـرب. كان الطّيار الإسرائيـليّ خلال هـذه المعـارك الطّاحنة يقوم بمـا يزيـد عـن (٢٠) طلعـة جوّيـة يوميّـاً. إنّـني أتسـاءل لـو لـم يكن لدنيا سـلاح جـوّ متطـوّر ومتفـوّق، فكيف سـيكون حالنـا؟! لقد كانـت المعارك قاسـية وعنيفة، لكنّـني أسـتطيع القول بـأنّ أعنف تلـك المعارك هي الّـتي خاضتها قـوّاتي في بيروت «منطقـة المتحف».

لا أخـفي عليك أنّني أحـاول دائما نسـيان الأمر، فكلّما تذكّـرت تلك المعارك اضطـررت إلى النّظـر إلى حالـتي وإلى مـا أصابـني، إنّني لم أعـد رجلاً عاديّـاً كبقيّة الرّجـال... لقـد تمزّقت في هذه الحـرب». تقهقر العدوّ إلى الخلف بمسـاعدة الطّيران الحـربيّ، وتوقّفـت المعركـة... وكمـا وعد الرّجـال، لم يتقـدّم العدوّ خطـوة إلى الأمام، وظهـر واضحـاً لشـارون أوّلاً وللقيادة العسـكريّة من بعـده أنّ أيّـة محاولة لاقتحام بـيروت سـتكون مغامرة خـاسرة، وسـيدفع أثمانـاً غالية جـدّاً من ضباطـه وجنوده وآليّاتـه... وسـيدفع أيضاً خسـارة داخليّة لا يسـتطيع احتمالها لا هـو ولا بيغن؛ لأنّ القيـادة الصّهيونيّـة هكذا تبني أمجادهـا على الحروب والتطـرّف والهمجيّة.

وفي هذا السّياق يقول شارون:

«هـذه الحـرب لم تلـق ترحيباً شـعبيّاً، فقد واجهـت تهجّمات وسـائل الإعلام والإعـلان، وتعالـت أصـوات المتظاهريـن في الشّـوارع. وفي اختصـار راح الوضـع يتغـيّر يومـاً بعـد يـوم إلّا أنّ النّـار لـم تكـن توجّـه للحكومـة، فكانت تسـتهدف رجلـين همـا: مناحيـم بيغـن وأنا».

ويقول شفيق الحوت في كتابه بين الوطن والمنفى:

«هكـذا كانـت عـبرة الرّابـع مـن أغسـطس- آب /١٩٨٢واضحـة وجليّة يوم تحطّمـت آلـة العـدوّ الإسرائيـليّ، و(تشرشـحت) غطرسـة جنرالاتـه الصّهاينـة على مدخل بـيروت».

البحث عن مخارج من خلال التّدخّل الأمريكيّ المباشر

لـم يفِ شـارون بوعـده لوزيـر الخارجيّة الأمريكيّـة بأن تكـون الحرب ضد الفلسـطينيين قصيرة وسريعة، فقد طالت الفترة الزمنيّة من ٤٨ سـاعة إلى سـتّة أيام ثـمّ عشريـن يومـاً وازدادت عن شـهرين، وكانـت الخسـائر كبـيرة لدى الإسرائيليّين واللبنانيّـين والفلسـطينيين وأغلبهـم مـن المدنيـين، ولـم يسـتطع شـارون وهيج من إخفـاء تورطهمـا في إتّفاق خـارج معرفة الحكومـة والرّئيس الأمريكـيّ. ولهذا أخذ المستشـارون للرئيـس ريغان موقفـاً حازماً من الغـزو الاسرائيلي لعدّة أسـباب منها عـدم معرفتهـم بالاتّفـاق بـين شـارون وهيـج واتّخـذ أربعة مـن المستشـارين ووزير الدّفـاع كاسـبر واينبرجـر والقاضي جيمـس كلارك، وكلاً من جيمس بيكـر، وادوين مـيز وميشـال وافـير... وبـقي ألكسـندر هيـج على موقفـه الدّاعـم والسّـافر للجيش الإسرائيـليّ. وفي هـذه الأثنـاء أجرى الأمين العام للحزب الشّـيوعيّ السـوفياتي مكالمة هاتفيّـة عـبر الخط الأحمـر مع الرّئيـس الأمريكـيّ، وبنـاء على هـذه المكالمّة أوفدت الحكومـة الأمريكيّـة فيليب حبيـب إلى لبنان.

كان ذلـك مفاجأة للحكومـة الإسرائيليّة، وبالتّـالي قرّر مناحيم بيغن السّـفر إلى الولايـات المتّحـدة في ١٥/ ١٩٨٢/٦، حيـث التـقى وزيـر الخارجيّة ألكسـندر هيج الّذي أبلغـة تسـهيل مهمّة فيليب حبيـب، ودعمه للوصول إلى اتّفـاق يضمن خروج الفلسـطينيين سـالمين مـن بـيروت، وكذلـك الدّفـع باتّجاه وقـف لإطلاق النـار، مع

الاتّفـاق الثّنـائيّ الضّمـنّي بأن تقـوم القـوّات الإسرائيليّـة بالتّخلّص مـن م. ت. ف والدّفـع بتسـليم الجبهـة اللبنانيّة المرافـق والمواقع والسّـلطة في بيروت.

وطلـب بيغـن مقابلـة الرّئيس الأمريكـيّ وبإلحاح، الّذي وافـق على مقابلته بمضـض، وكالعـادة في فجـور الكـذب، قـال بيغـن أنّـه يحـارب في لبنان دفـاعاً عن نفسـه مقابـل الإرهـاب العـربيّ المدّعـوم مـن الاتّحـاد السّـوفياتيّ، لكـن ريغـان رفـض هـذا التبرير المكـرر، وأبلغـه أن إسرائيـل عرّضت موقـع الولايـات المتّحدة في العالـم الغـربي للشّـك، وأيضـاً خلقت وضعاً غـير مريح مـع الاتّحاد السّـوفياتيّ، بـل وكادت أن تخلـق أزمة وطالبـه في وقت قريب الانسـحاب من كلّ لبنـان... وبناء على هـذه اللغـة الجديـدة مـن الإدارة الأمريكيّة طلـب بيغن من شـارون بضرورة الإسراع في تصفيّـة م. ت. ف في بـيروت بنـاء على حديثـه مـع وزيـر الخارجيّة هيج وذلـك بـإشراك القـوّات اللبنانيّـة ودعم الجيـش الإسرائيليّ.

بـدأت تحـركات فيليـب حبيـب للتّواصل مـع جميع الأطـراف، ومنهـا أنّه قام وبصحبـة السـكرتير الأول في سـفارة الولايات المتّحدة ريان كروكـر والوزير مروان حمـادة بزيـارة إلى المختـارة، حيـث منزل وليـد جنبلاط للقـاء بـه في ١٧/ ٦/ ١٩٨٢م الّذي أعتبر نفسـه سـجيناً سياسـياً بعـد إقتحام الجيـش الإسرائيليّ منطقة الشّـوف كلهـا، بمـا فيها المختـارة حيث فرض على وليـد جبنـلاط الإقامّة الجبريّـة، وبالطبع فـإن الإسرائيليّـين لـم يقومـوا بأعمال عدائيّـة في مناطـق الدروز، وكانـوا حريصين بشـكل إيجـابيّ حتّى لا تكون هنـاك ردة فعل لدى دروز فلسـطين المحتّلـة، وخاصّة أنّهـم يخدمـون في الجيـش الإسرائيـليّ، ووصـل بعضهـم إلى مراتب عاليـة فيه، وكان جنبـلاط قـد أجرى مقابلة مـع فريق تلفزيـونيّ إسرائيليّ معتصمـاً في قصره... ونحن نعـود إلى الـوراء بالتّاريـخ لتوضيـح الإهتمام الإسرائيـليّ بوليد جنبـلاط والدروز في جبـل لبنـان حـتّى لا تكـون هنـاك ردود فعـل مـن الدّروز في فلسـطين المحتلّة عام

١٩٤٨م مع أنّنا نشهد أن جنبلاط ظلّ مسانداً للفلسطينيين لم يمارس أيّ عدوان ضدّ فلسطينيّ لبنان أو م. ت. ف وفي كتاب «سيرة حياة بيرس» يقول بيرس خلال إجتماعه في عام ١٩٨٢م:

«الجنبلاط الّذي لم يغادر قصره في المختارة، تنقّل بحريّة وبإمكاننا القضاء كلياً على الجيش السّوريّ خلال ساعات».

وفي الفصل الّذي تناول فيه بيرس حرب لبنان عام ١٩٨٢م يؤكّد بيرس، رفضه لخطة وزير الأمن (الحرب) أرئيل شارون آنذاك الّتي تقول بالقضاء على أكبر عدد من الفلسطينيين، ودفعهم للهرب إلى الأردن، لإقامة الدّولة الفلسطينيّة هناك، الأمر الّذي يخفف من الضغوطات على إسرائيل في الضّفّة الغربيّة وقطاع غزّة المحتلتين عام ١٩٦٧م.

ويقول بيرس في الكتاب أنّه وأعضاء لجنة الخارجيّة والأمن التّابعة للكنيست قام بزيارة إلى جنوب لبنان، وأنّه أي بيرس أبلغ شارون أن المنظّمة الإشتراكيّة العالميّة أرسلت له برقيّة تحتج فيها على حبس وليد جنبلاط منزليّاً... ووعده شارون بإلغاء الحبس المنزلي، لكن بيرس أصر على لقاء جنبلاط في بيته، وهذا ما كان، وأقلته طائرة مروحيّة إلى جبال الشّوف، وهناك دخل قصر الزعيم الدرزي واجتمع إليّه. وبعد أن تصافحا، دخلا إلى البيت ودار الاجتماع بينهما، وفي بدايّة الاجتماع قال بيرس لجنبلاط وبموافقة شارون، أنّه حرّ في التّنقّل أينما شاء، وأنّ إسرائيل لن تصادر الأسلحة الّتي يملكها وعناصره، بما في ذلك الدبّابات، كما أكد له أنّ إسرائيل ليست معنيّة بالمرّة بالبقاء في لبنان، وأنّها ستفعل كلّ ما في وسعها لتّقصير تواجدها في بلاد الأرز، وأضاف بيرس: لبنان يجب أن يكون نقيّاً من الوجود العسكريّ لجيوش أجنبيّة، وفي مقدمتها الجيش

السّـوريّ. وشـدّد على أنّـه مـن واجـب إسرائيل طـرد منظّمـة التّحرير الفلسـطينيّة من لبنـان، لأنّهـا أقامـت دولة داخـل دولة.

وأضـاف: إنّ إسرائيـل سـتعمل من أجـل أن يكون لبنـان بلداً سـياديّاً، حراً وبـدون جيـوش تحتلـه، وبالتّالي على السّـوريّين الإنسـحاب من لبنان.

وعـبر جنبـلاط أمـام بـيرس عـن رفضـه لخطـة تـل أبيـب القاضيّـة بدعـم الكتائـب اللبنانيّـة وتنصيـب بشـير الجميّل رئيسـاً، كمـا أكد أنّه مـاض على طريق والده المرحـوم، في دعـم سـوريا ومنظّمـة التّحرير، أمّا بـيرس فقد ذكـر أنّ جنبلاط لا يعـرف شـيئاً عمّـا يـدور في أرض المعركـة، وعـن الخسـائر الّـتي ألحقهـا الجيـش الإسرائيـليّ بالجيـش السّـوريّ، وردّ على جنبـلاط قائلاً:

«سـوريا تلقـت منّـا ضربة موجعـة ومؤلمة، وباتـت غير قـادرة على الدّفاع عن نفسها»، وتابع:

«أنصحـك بعـدم التعويـل على سـوريا فبإمكاننـا القضـاء كليّـاً على الجيـش السّـوريّ خـلال سـاعات وليـس أيامـاً».

واستناداً إلى ملاحظات بيرس أنّه قال لجنبلاط:

«العالـم العـربيّ مشـلول، لـم يقـم أحـد بتقديـم المسـاعدّة لمنظّمـة التّحرير الفلسـطينيّة، وحـتّى الضّريبـة الكلاميّـة مـن الدّول العربيّـة كانـت مقتضبـة جدّاً وضعيفـة أكثر».

انتـهى الاجتمـاع وغادر بـيرس جنبـلاط، وفي مـرّة أخـرى التـقى بيريـس بجنبـلاط في مؤتمـر الإشـتراكيّة الدّوليّة، لكنّ جنبـلاط أدار له ظهـره، ولم يطرح عليـه السّـلام وكأنّـه لا يعرفـه... ويذكـر بـيرس في كتابـه أنّـه بعـد الاجتمـاع مع

جنبلاط في المختارة اجتمع بيرس مع شارون ومع قائد هيئة الأركان العامّة الجنرال رفائيل إيتان وناقشوا قضيّة مصير عرفات، وأكد بيرس لهما أنّه يؤيد السماح لعرفات بالخروج من لبنان حيّاً، وأنّه يرفض اغتياله، لأن عمليّة من هذا القبيل ستحوّل عرفات إلى شهيد، كما أبلغهما أنّه يعارض دخول الجيش الإسرائيليّ إلى غرب بيروت.

أما فيليب حبيب فقد نقل رسائل من الرّئيس ريغان والرّئيس سركيس يطالبون جنبلاط الانضمام إلى لجنة السّلامة العامّة، واقنع فيليب حبيب جنبلاط الانتقال إلى بيته في منطقة المصيطبة غرب بيروت، وكان في انتظاره قادة الأحزاب والحركات الوطنيّة اللبنانيّة الّتي وجهت إليّه انتقادات كثيرة سابقاً لعدم مشاركته في القتال ضدّ الإسرائيليّين رغم توفّر كلّ أنواع الأسلحة لديه، فردّ عليهم:

«لم يكن بمقدوري مواجهة القوّة العسكريّة الإسرائيليّة ومهمّتي الحرص وحماية طائفتي والدّفاع عنها لا أن أعدّد عدد شهدائها»...

وبالطبع فلقد تناسوا كل تلك الإتهامات وكلفته الحركة الوطنيّة بنقل شروط الحركة الوطنيّة إلى الجهة المقابلة.

في هذا الوقت وفي ١٨/ ٦/ ١٩٨٢م قامت كتيبة الدبّابات السّوريّة المتبقيّة والمحاصرة، والّتي لم تستطع الانسحاب نحو البقاع قد غيّرت مواقفها من منطقة الكوكودي وهي منطقة ذات أغلبيّة شيعيّة ومحاذيّة لمخيّم برج البراجنة وتقع مباشرة شمال مطار بيروت الدّوليّ.

وأيضاً يمكنها التّعامل مع أهداف بحريّة أو أية إنزالات، فقد قامت هذه الكتيبة بتغيير مواقعها وانسحبت من مواقع المواجهة مع العدوّ رغم أن تموينها واحتياجاتها أمنّتها لها قيادة حركة فتح.

وفي اليـوم الثّـاني -بتاريـخ ١٨/ ٦/ ١٩٨٢م- قـام وزيـر الخارجيّة السّـوريّ عبد الحليـم خـدام، وهـو في موقـع المختلـف مـع كل مـا هـو فلسـطيني تاريخيّـاً، وكان مسـؤول الملـف اللبنـانيّ في الحكومـة السّـوريّة بلقـاء وفديـن من حـزب الكتائب اللبنـانيّ ضـمّ كلاً مـن كريـم بقـرادوني، وجـورج سـعادة، وجوزيـف أبـو خليـل (وهمـا مـن المقربـين للقيـادة الإسرائيليّـة والّذين كانـوا أهمّ منسـقيّن بـين الجبهة اللبنانيّـة وإسرائيـل)، بهدف اسـتطلاع الموقف السّـوريّ من وجـود (م. ت. ف) في لبنـان، ويقـول جوزيـف أبـو خليل في كتابـة (قصة الحـرب في لبنـان): «طلب عبد الحليـم خـدّام منـا الانتظـار لاستشـارة الرّئيـس حافـظ الأسـد، فعـاد وأخبرنا أن دمشـق تنظـر بعـين الرّضا إلى تشـكيل حكومـة إنقاذ وطـنيّ يمكن لهـا أن تطلب انسـحاب القـوّات السّـوريّة، إلّا أنّـه يتمـنّى أن لا تجـري هـذه المناقشـات تحت الضّغـط الإسرائيليّ».

معركة المتحف وضعت م. ت. ف على طاولة الحوار

أعقب الفشل الإسرائيليّ الذريع على محور المتحف غضباً عند كل قيادات الجيش الإسرائيليّ من شارون وحتى رفائيل إيتان فأعطيت الأوامر لكلّ أسلحة العدوّ وأوّلها الطيران الحربي يقصف دون توقف لبيروت الغربيّة، وفعلاً انهالت على بيروت كل أنواع القذائف ومنها العنقوديّة المختلفة الأنواع والقنابل الفراغيّة وغيرها من القذائف المحرّمة دولياً، واستمرّ القصف أيام ١٠، ١١، ١٢ أب/ أغسطس ١٩٨٢م، حيث جاء هذا القصف تعبيراً عن الحقد والقهر والعجز النّاجم عن فشل اقتحام منطقة المتحف، ووضوح عدم قدرتهم على اختراق بيروت، وأن ذلك سيكون انتحاراً للجيش الإسرائيليّ.

إنّني عندما أذكر تلك الأيام أذكر أنّنا كنّا ما أن نترك غرفة عمليّات أو موقعاً حتّى يأتي الطّيران في ذات الوقت وليس بيننا إلّا ثوانٍ فيدمر المواقع الّتي كنّا فيها. وهذه حال الأخ أبي عمّار، وهو الأقدر على الحسابات الأمنيّة، فلم يتحرك إلّا بسيارة قديمة من نوع فولكسفاغن ومعه إثنين فقط من الحرس، ومن المثير معرفة أنّه كان ينام في بعض الأحيان في الأماكن الّتي قصفتها إسرائيل، وكان يقول:

«إنّهم بخلاء في القصف بدون هدف، وهذا الهدف سبق وقصفوه؛ فلماذا يريدون تضييع صورايخهم وقذائفهم؟»

كان القصف الأخير للآلة الحربيّة الإسرائيليّة تعبيراً واضحاً عن الفشل والعجز والقهر لقوّات شارون وله نفسه، وأظهرت قدرة الفلسطينيين والمقاومين على التّحدّي وإيقاع الخسائر في العدوّ، وأن هناك رجالاً وعقولاً رائعة تدير أكبر المعارك رغم عدم التّكافؤ، لا في العدد ولا السّلاح ولا الإمكانيات، وأنا اليوم أُراجع المواقف فأرى أنّنا في موقع خيالي لا يمكن للإنسان العادي أن يصدّق ما جرى، إذ لا يمكن الحديث بتاتا عن توازن بين القوّتين.

إعلان وقف إطلاق النّار الأوّل...

قبل هذا الإعلان وعد بيغن الرّئيس الأمريكيّ عندما التقاه بوقف لإطلاق النّار، واستغلّ النّاس هذا التّوقف، فكان مسيحيو بيروت الغربيّة يغادرون إلى المناطق الشرقيّة والعكس فإن مسلمي بيروت الغربيّة في المناطق الأخرى اللبنانيّة، وكان هناك أيضاً النّزوح الدّاخلي في بيروت الغربيّة لسكّان المناطق السّاخنة، والّذين أقاموا في المدارس والملاعب والحدائق.

وفي هذا الوقت قام رئيس الوزراء شفيق الوزّان ونبيه بري ووليد جنبلاط الّذي انضم إلى لجنة السّلامة العامّة أو ما سميت بِـ (هيئة الإنقاذ)، وبمواكبة حرسهم والأمن العامّ بإجتياز نقطة عبور غاليري سمعان باتّجاه القصر الجمهوريّ في بعبدا، حيث كان بإنتظارهم لعقد الاجتماع الأوّل الرّئيس إلياس سركيس وفؤاد بطرس وزير الخارجيّة، وأيضاً نصري المعلوف وبشير الجميّل.

بدأ الرّئيس سركيس حديثة بقوله:

«إنّه من الضّروريّ العمل في اتّجاه واحد»، فقال رئيس الوزراء شفيق الوزّان: إنّ الوضع يتطلّب عملاً مشتركاً، وقابله بالحديث نصري المعلوف وهو نائب عن الرّوم الكاثوليك بقوله:

«علينا أن نخدم معاً مستقبل البلاد ودعمنا للقضيّة الفلسطينيّة»، فلم يترك بشير الجميّل له مجال استكمال حديثه، وقاطعه بقوله:

«يبدو لي أنك تبحث الوضع في المالوين وليست في لبنان، فبيروت تحترق،

وعلى أرضنا ٦٠ ألف جنديّ اسرائيلي، والفلسطينيون لم يتوقفوا عن لعبة الحرب، والإسرائيليّون يريدون إخراج الفلسطينيين، فهل هؤلاء مستعدون لذلك؟ إذا كان الجواب بالإيجاب فيجب أن ندرس آليات تطبيقه»... فردّ وليد جنبلاط على بشير الجميّل:

«ليس في نيّة الفلسطينيين أن يستسلموا، أنّهم يطالبون بتراجع الجيش الإسرائيليّ خمسة كيلو مترات وإعطائهم مهلة شهر قبل الإقدام على أيّ شيء... فرد بشير الجميّل:

«أمّا زال سنّة بيروت يأخذون في الاعتبار أكاذيب ومناورات أبي عمّار...؟ هل يقبل السّنّة اقتراح عرفات، فقال رئيس الجمهوريّة إلياس سركيس:

«أنا أؤيد ما قاله الشّيخ بشير».

وهنا بانفعال أجابه وليد جنبلاط:

«هذا يعني أنّك ستنقل إلينا أوامر مناجيم بيغن...؟».

فردّ إلياس سركيس:

«لو كنت أنا من اجتمع مع شمعون بيريس أو استخدم التلفزيون الإسرائيليّ للإدلاء بتصريح لكان الأمر عاصفة من الاحتجاج».

وحسب محاضر هذه الجلسة فلقد استمرّ النقاش في مطالب الفلسطينيين وتسلم سلاح المقاومّة من قبل الجيش اللبنانيّ وتكلّف كل من الوزّان وبري وجنبلاط بمراجعة عرفات واستشاراته، في حين كان بشير الجميّل سعيداً لمشاركته في الحوار بقوله لمساعده العسكريّ جان ناضر لقد وضعنا قدماً في الشّرعيّة، وعندما نتسلم بيروت سيأتون إليّ راضين بكل الحلول الّتي سأطرحها.

كان شـارون يسـابق الوقـت لاقتحـام بـيروت، وطلـب مـن الكتائـب، عـبر زاهي البسـتانيّ، أن تبـاشر الكتائـب اللبنانيّـة بإطـلاق مـا سـماه: «الـشرارة» ليجد الإسرائيليّـون المـبرر لإقتحـام بـيروت، وأنّ الإسرائيليّين سـيقومون بتدمير الجيش السّـوريّ في لبنان، وسيسـاعدون بشـير الجميّل والمسـيحيين في حكم لبنان كذلك وعدهم شـارون بأنّه سـيحمي زحلة من السّـوريين وسيلاحقهم أيضاً في الشّـمال... لكـنّ البسـتاني كان يعـرف أن مثل هـذه العمليّة سـتقضي على حلم بشـير الجميّل في الحصـول على أصـوات المسـلمين ليصبـح رئيسـاً للجمهوريّة، كما حاول شـارون أن تصبـح لجنـة السّـلامة العامّـة إلى حكومـة يكـون فيهـا بشـير الجميّـل وزيـراً للداخليّـة، ويقـول جوزيـف أبـو خليـل في كتابة قصـة الموارنـة في الحرب:

«دفـع شـارون وبحضـور رفـاعي افـرام مـن القـوّات اللبنانيّـة إلى مشـاركة القـوّات اللبنانيّـة لإقتحـام بـيروت بقـوله:

«عليكـم أنتـم ان تقومـوا بالخطـوات الأولى، نحـن نعرف قدراتكـم، ولن ندعكـم تتحملـون مـن الجهـود مـا يفـوق طاقاتكـم، لا يمكـن أن تكـون العمليّـة إسرائيليّـة صرف، سيسـقط منكـم قتـلى، لقـد سـقط منـا (٢٥٠) حـتى الآن ولا نسـتطيع أن نتدخـل رسـمياً إلّا لـكي نسـاعدكم أو ننقذكـم، يمكـن أن يكـون الهـدف هـو الشّـيّاح ويمكنكـم بحث هـذا الأمر مـع أمـير دوري أو عامـوس يـارون، نحن لـن نفعـل شـيئاً بدونكـم، فـإذا بدأتـم فنحن سـننهي، نريد مسـاعدتكم على إعادة توحيـد البـلاد ونعتقـد أن لجنـة السّـلامة العامّـة ليسـت قويّـة بمـا يكفي بعـد لأجل القيـام بذلـك، فيجب التّفكـير بشيء آخر، وسـنكون على اسـتعداد بعـد ذلـك لمناقشـة توقيـع اتّفاقـات معكـم».

إنّـني اليوم، وأنا اسـتعيد تلـك الأيام، تصيبني الدّهشـة بعد مطالعـتي لكلّ ما كتـب عـن الاجتيـاح الإسرائيليّ وما قبلـه وما بعده، أتسـاءل: أيّة قوة كنّـا نواجه...

كنّـا نواجـه قـوّة تتوفـر لها أجهـزة اسـتخباريّة عاليّـة القـدرة والدّقة، وسـلاح الجوّ لا مثيـل له في كل المنطقـة بـل هـو على مسـتوى عالـمي منافـس، وقد جيرت سـابقاً الولايـات المتّحـدة للإسرائيليـين خرائط من الفضـاء عن كلّ المنطقـة المحيطة بها، وأنّ ثلـثي الجيـش الإسرائيليّ اشـترك في المعارك ضدنا وكل سـلاح الجـو الإسرائيليّ، وتلـك القـدرات العسـكريّة البريّـة والبحريّـة مـن بوارج وقـوارب وسـفن حربيّة وراجمـات صورايـخ ودبّابـات ورشّاشـات ومئـات المدافع تـرمي حممهـا على مربعات محـدودة المسـاحة ومكتظّـة بالنّـاس الّذين لا دخـل لهـم، وخاصّـة اللبنانيّين. كنت أراجـع تلـك الذّكريـات، وأكرر ما قـاله الأخ (أبـو عمّار):

«هبت رياح الجنة»، «ويا وحدنا».

هـذه العمليّـات الإجراميّـة كانـت تحـت وسـمع العالم والعـرب الّذيـن كانوا مشـغولون في العـاب كـرة القـدم العالميّة... يقف شـارون ويسـتجدي دعـم عميله بشـير الجميّـل ليطلـق «شرارة» الهجـوم على بـيروت الغربيّـة لإخـراج م.ت.ف فهـو لا يسـتطيع رغـم كل محاولاتـه السـابقة. فمعركـة البـصّ، وصـور وصيـدا والدامور وخـلدة، ومـن ثـمّ المطار والمتحف، أسـقطت العـشرات من ضباطـه وجنوده صرعى، وهـو اليـوم يسـابق الزمن ليحقـق نصراً وهميّـاً، فهو لم يعـرف أنّنا كلنـا ننتظر لحظة الحقيقـة، وأنّنـا كلّنـا كنّا مشـاريع استشـهاديّة، فهـذا قدرنا.

أنـا لا أذكر أنّني كنت عابسـاً تلـك الأيام، ولم أرَ أحداً كذلك، فالا بتسـامة، والضّحـك وتبـادل الفكاهـة كانت عنـوان حياتنـا اليوميّـة.. لقد كنّـا قريبين جدّاً من الله.

في هـذا الوقـت كان إيـلي حبيقـة، الّذي أصبـح وزيـراً فيمـا بعد، وهـو عضو بـارز في القـوّات اللبنانيّة ومسـؤول الجهـاز الأمنيّ في فريق بشـير الجميّل، قد حصل

من الإسـتخبارات العسـكريّة الإسرائيليّـة على خريطة كبيرة جـدّاً، تعتبر جداريّة، كـون طولها عـشرة أمتـار وعرضهـا سـتة أمتـار مكونـه من صـور جويّـة لبيروت ومقسـمّة بـيروت فيهـا لمربعـات وتمكـين تحديـد كل شـارع وبنايّـة «وزاروب» أو زقـاق، وكانـت كل بنايّة لهـا رقم تتطابـق مع الصور الـتي جمعها جواسـيس إسرائيل قبـل الإجتياح.

فبالإضافـة إلى العنـاصر الإسـتخباريّة الإسرائيليّـة الّتي كانت تضـع كاميرات دقيقـة في مقدّمـة السـيارة الّـتي يسـيرون بها ويلتقطـون الصّـور الثابتـة والمتحركة، ومعهـم فريـق من قـوّات الكتائب، وقد طافوا كل بـيروت الغربيّة، بمـا فيها الفاكهاني ومخيّمي صبرا وشـاتيلا وبـرج البراجنة والضّاحيـة الجنوبيّة، وبالطّبـع منطقة المزرعة وفردان والحمراء وعين المريسـة والروشـة والحمام العسـكريّ، وكلها كانت نقاط هامّة بالنسـبة للإسرائيلـين لتحديـد بنك للأهداف يزيـد عن ألف صـورة، وبناء على ما كان يجمعـه هـؤلاء مـن صـور كان هناك فريق يقـوم بفرزهـا والتّأكد منها ودراسـتها، وكانـت تقـارن هذه الصـور بما التقطته القـوة الجويّـة الإسرائيليّة.

كان الهـدف الأوّل لشـارون والقـوة الجويّـة الإسرائيليّـة هـو تصفيـة يـاسر عرفـات جسـديّاً، ودخل معهـم لتنفيذ هـذا الهدف فريـق من مجموعة إيـلي حبيقة وبعـض رجـال الإسـتخبارات العسـكريّة، وجهـاز الأمـن اللبنـانيّ المـوالي لبشـير الجميّـل والّذي لـم يكـن يحظـى بعدوانيّـة مـن الطـرف الفلسـطيني، وقد تسـلل أحـد الإسرائيليّـين والّذي انتحـل إسـم «سليسـتان»، إلى مناطقنـا، وكان معروفـاً لدنيـا كمتـشرد ورثّ الثّيـاب وقـذر يضـع في رقبتـه عـدّة عقـود «أنتيكـة»، وربمـا بينهـا كامـيرات غـير مرئيّـة، وكانت مهمّتـه معرفة مـكان ياسر عرفات فـتراه حيث يكـون الصّحفيّـون، ومناطـق الفاكهـاني وفي باب الإعـلام الموحّد، حيـث كان هنا معرّضـاً لكل أشـكال القذائـف الإسرئيليّة. وكان يراقـب كلّ تجمّع، ولـم يلفت انتباه

أحـد لدوره، وكانـت النّظرة إليّه فيها شـفقه، وكانـت معلوماته تنقل فـوراً عبر جهاز لديـه إلى القاعـدة الجويّـة المسـؤولة عـن البحث عـن عرفـات واغتياله.

لكـن الأخ (أبـو عمّـار) كان لديه شـعور وإحسـاس أمنيّ مذهـل، فلا يبقى في موقـع واحـد لأكـثر مـن دقائـق معـدودة ويتحـرك إلى موقع آخـر، وكمـا قلنا لا يمكـن معرفـه أين ينـام أو يوجـد إلا لحظـة دعوتنا إلى احـدى غـرف العمليّات، حـتى أنّـه ألـغى أجهزة اللاّسـلكي معـه لأنّه كان سـهلاً تحديـد موقعه عبرهـا، وكان يعـرف أن هنـاك جواسـيس مـن جنسـيّات مختلفة ومـن الإسرائيليّـين خاصّة.

ازدادت حـدّة القصـف، وغطـت معظـم مناطق بـيروت الغربيّـة، وتحت هذا القصـف وصـل نبيه بـري وشـفيق الـوزّان ووليـد جنبـلاط إلى القـصر الجمهوريّ للمشـاركة في الجلسـة الثّالثـة يـوم ٢٢/ ٦/ ١٩٨٢م، وازداد القصـف عندمـا دخلـوا إلى قاعـة الاجتمـاعات، وكان ذلـك رسـالة لهـم مـن قبـل شـارون... فطلبـوا مـن الرّئيـس سركيـس أن يتدخـل لإيقـاف القصـف، وكذلـك طلبـوا حضـور فيليب حبيـب الاجتمـاع، ولم يعترض شـفيق الوزّان وبشـير الجميّل. وقبل حضـور فيليب حبيـب أجمـع المشـاركون على أن تنسـحب المنظّمات الفلسـطينيّة من بـيروت قبل الانسـحاب الإسرائيـليّ. وعنـد حضـور فيليـب حبيب قال لبشـير الجميّـل في الممر حيث استـقبله:

«إنّ ما فعلته وما تقوله ممتاز وستكون رئيس الجمهوريّة القادم».

وأثناء الاجتماع قال نبيه برّي:

«إنّ الفلسـطينيين لـن يقبلـوا النّقـاش وبحث أي شيء مـا دام القصـف مسـتمراً»، وقـال الرّئيـس إليـاس سركيـس:

«يوجد اقتراح بأن ينسحب الإسرائيليّون خمسة كيلومترات بدءاً من الموقع الّذي يحتلونه الآن، وإقامة منطقة عازلة، وإيقاف إطلاق النّار لمدّة شهر»... وهنا قال شفيق الوزّان:

«إذا طبّقت هذه النّقاط فإن م.ت.ف ستنفذ كل ما تطلبه الحكومة اللبنانيّة»، وأكّد جنبلاط ونبيه بري على أن الفلسطينيين سيحترمون السّلطة اللبنانيّة وسلطة الدولة ويطلبون قوّة فصل دوليّة... أمّا فيليب حبيب فقال: «ساحاول إقناع الإسرائيليّين، ولكنّني متأكّد من عدم الموافقة على ذلك».

وغضب بشير الجميّل بشكل مسرحي «كاذب» رافعاً صوته أمام فيليب حبيب، ليظهر أنّه يتفّق ووليد جنبلاط ونبيه بري بقوله:

«إنّ الحكومة الأمريكيّة تكذب وتروّاغ».

وهنا غضب فيليب حبيب وقال:

«حكومتي أشرف من حكومتكم الّتي هي المسؤولة عن كل ما يجري، فأنتم تريدون وقفاً لإطلاق النّار، وتراجعاً إسرائيليّاً مسافة خمسة كيلومترات، ومنطقة عازلة، واحترام سيادتكم، وانسحاب السّوريّين والفلسطينيين، أنني لن أعود وأتدخل إن لم تتوصلوا خلال ثمان وأربعين ساعة إلى اتّفاق بينكم على انسحاب السّوريّين والفلسطينيين»، ولم يذكر شيئاً عن الانسحاب الإسرائيليّ.

انتهى الاجتماع، وانتقل بشير الجميّل إلى بيت فادي أفرام في برمانا، وكان في انتظاره شارون وضباط الموساد ومناحيم نافون، وأفنير ازولاي. وعندما أطلع بشير الجميّل شارون على نتائج الاجتماع رفضها شارون فوراً، وأعطى أمراً بقطع الكهرباء والماء والمواد التّموينيّة عن بيروت الغربيّة، وهنا أعلن بشير

الجميّل استعداد قوّاته والقوّات الانعزاليّة الأخرى الدّخول في معركة اقتحام بيروت الغربيّة، أو ما أطلق عليه شارون «بالشرارة»، وأنّ القوّات اللبنانيّة ستقوم بكلّ دورها المطلوب... لكنّ بشير الجميّل طلب ثلاثة أسابيع حتّى تجري الانتخابات الرئاسيّة الّتي ستأتي به رئيساً... ومن المعروف أنّه لم يكن هناك مرشح مسيحيّ مارونيّ آخر ليترشّح ضدّه، فقد كان ما رسم له جاهزاً، ولن يعترض على رئاسته إلّا عدد لا يذكر من النّواب، خاصة أن أسعد الأسعد كان رئيساً للبرلمان اللبنانيّ... وفي مقابلة مع الرّئيس اللبنانيّ الأسبق أمين الجميّل في برنامج (شاهد على العصر) قال:

«إن بشير كان يميل إلى الإشتراك مع الإسرائيليّين في اقتحام بيروت الغربيّة، إلّا أنّه (أي أمين الجميّل) وقف في وجهه ومنعه من المشاركة في تلك العمليّة، وذكر أيضاً أن الطاقم الّذي كان محاطاً بأخيه كان مخترقاً من الإسرائيليّين، وينفذ أوامرهم دون علم بشير».

في اليوم التّالي أي تاريخ ٢٣/ ٦/ ١٩٨٢م استأنفت لجنة السلامة العامّة اجتماعها بحضور فيليب حبيب أيضاً، وطلب معرفة ما إذا كانت الأطراف اللبنانيّة قد اتّفقت بشأن الشّروط الّتي وضعها الفلسطينيون. فأخبره بشير الجميّل أنّه لم يتم الاتّفاق، وأضاف:

«إنّ الوقت يعمل لصالح أبي عمّار الّذي يناور لكسب الوقت للتّوصل إلى اتّفاق يمكّن الفلسطينيين من أنّ يكون لهم دور سياسيّ في لبنان، وتمكين الفلسطينيين من تكديس الأسلحة والذخائر مجدّداً».

وهنا طالب فيليب حبيب بضرورة إعطاء أجوبة للإسرائيليين على الأسئلة التاليّة:

- هل سيكون الفلسطينيون الّذين سيبقون تحت سلطة الدولة اللبنانيّة؟
- هل ستبقى القيادة الفلسطينيّة في لبنان؟
- هل ستتمركز وحدات عسكريّة فلسطينيّة على الأرض اللبنانيّة؟

لم يجب أحد عن تلك الأسئلة، وعارض جنبلاط نقل الأسئلة لعرفات، واقترح برّيّ كتابة وثيقة لبنانيّة لم تلق تجاوباً، وحمل شفيق الوزّان الأسئلة لعرفات، أمّا بشير الجميّل فتوجّه إلى القدس يرافقه اثنين من مستشاريه حيث كان بيغن وشارون ورفائيل إيتان واوري ساغي رئيس غرفة العمليّات، واسحق حوفي مدير الموساد ودافيد كيمحي مدير وزارة الخارجيّة والجنرال إبراهام تامير، وطلبوا من بشير الجميّل تنفيذ عمليّة الشّرارة قبل دخول الجيش الإسرائيليّ بيروت الغربيّة بثلاث ساعات، وشرح إسحق حوفي مدير الموساد لبشير الجميّل أنّ الفلسطينيين سيقاتلون من بيت إلى بيت، وهنا تكلّم بشير الجميّل، وكرر فكرته السابقة أنّه يتخوّف من الإعلان عن مشاركته لهم في الحرب في هذا التّوقيت؛ لأنّ ذلك لن يساعده في تأمين غطاء سياسي لأيّة اتّفاقيات مع الإسرائيليّين، أضف إلى ذلك تخوفه من ردود الفعل ضدّ المسيحيين في زحلة وفي شمال لبنان. لكن مناحيم بيغن أوضح له أنّ هناك ضغوطاً أمريكيّة لوقف القتال، وفي نفس الوقت وعده، وكرّر وعد شارون بحمايّة المسيحيين، وأنّ دخوله في الحرب يعدّ مقبولاً لأنّه يمثّل السّلطة اللبنانيّة، وخاصّة إن اشترك معه قسم من الجيش والأمن العام والأحزاب المسيحيّة اليمينيّة كافّة.

وفي هذا الوقت طلب إسحق حوفي رئيس الموساد من بشير الجميّل الاتصال بعرفات لكي يجري معه محادثات مباشرة، خاصّة وأنّه كانت هناك اتّصالات كثيرة مع عرفات من خلال أبي حسن سلامة، وجوني عبدو وغيرهم، وذلك من أجل تحديد موقعه واغتياله.

في هـذا الوقـت وفي ١٩٨٢/٦/٢٤م ضاعـف الإسرائيليّـون قصفهـم لبـيروت، واقتحمـوا كلّ مناطـق الجبـل، ولـم يحـرّك السّـوريّون سـاكنا لمواجهة هـذا الهجوم، وسـقطت كل منطقـة الجبل من عاليه إلى الجنـوب وهي مناطق كانت بيد السّـوريّين، وأعلن بشـير الجميّل في ١٩٨٢/٦/٢٥م ترشـيح نفسـه لرئاسـة الجمهوريّـة، ولكـن في ٢٦/ ٦/ ١٩٨٢م سـقطت ورقـة وزير الخارجيّـة الأمريكـيّ الكسـندر هيج الّذي كان يدعـم تصفيـة منظّمـة التّحرير الفلسـطينيّة وكان حليفـاً لبيغن.

لقد قدم هيج اسـتقالته بعد أن عمل كلّ وسـعه من أجل تدمير الفلسـطينيين وإقامّـة حكـم مسـيحي يوقع اتّفاقيات سـلام مـع الإسرائيليّين، لكنّه سـقط، وتولّى خلفة جورج شـولتز.

وفي هـذا السّـياق كانـت مقـوله جوزيف أبي خليـل في كتابه قصـة الموازنة في الحرب:

«لـو لم تتطـوّع إسرائيل لمهمّـة تحطيم البنيّة العسـكريّة والسّياسـيّة م.ت. ف لـكان بشـير الجميّـل قد ظـلّ رئيسـاً لتنظيـم مسـلّح محـدود الدّور والفعاليّـة». وفي ١٩٨٢/٦/٢٧م إجتمـع بيغـن ومجلـس الوزراء المصغـر الّذي تبعه بيان جـاء فيه لأوّل مـرّة اقـتراح إيجـاد حلّ لمشـكلة بـيروت الغربيّـة عن طريـق التّفاوض جـاء فيه:

«تقـترح الحكومـة أن يدخـل الجيـش اللبنـانيّ بـيروت الغربيّـة، وتقـوم المنظّمـات الإرهابيّة الخمسـة عـشر الموجودة هناك بتسـليم أسـلحتها له، وبعد ذلك يرحـل جميـع أعضـاء هـذه المنظّمات عن لبنـان تحت إشراف الصّليـب الأحمر إلى مـا وراء الحـدود الدوليّـة اللبنانيّـة، سـالكين الطّريـق الدّوليّ بـيروت -دمشـق، وفي القطـاع الّذي يسـيطر عليـه الجيـش الإسرائيـليّ، وإذا آثـر الموكـب سـلوك طريـق أخـرى فسيسـمح الجيـش الإسرائيـليّ لهـم بذلـك. وبعـد تحريـر بـيروت الغربيّـة

تبدأ مفاوضات للوصول إلى تسويّة تؤمن الحفاظ على كامل الأراضي اللبنانيّة، وانسحاب القوّات الأجنبيّة واستقلال لبنان وسلامة أراضيه».

لقد اتّضح بعد صدور هذا البيان أنّ الاتّفاق الثّنائيّ بين شارون وبشير الجميّل حول معركة بيروت الغربيّة تحت اسم (الشّرارة) لم يعد وارداً في هذا الوقت.

وفي نفس اليوم الّذي صدر فيه هذا البيان التقى بشير الجميّل رئيس الأركان رفائيل إيتان في مركز القيادة العامّة الإسرائيليّة في مدرسة الفرير، وكان يرافقه فادي أفرام، وحضر اللقاء مع إيتان رئيس فرقة العمليّات أوري ساغي، وعضوان من الموساد هما افنير أزولاي، وماريون، وبادر رئيس الأركان بقوله:

«إنّ الحكومة الإسرائيليّة المصغّرة قرّرت ترك الفلسطينيين يرحلون، معطية لنفسها كل الوقت اللازم لإنجاح هذه العمليّة»...

وهنا سأل بشير الجميّل:

«هل يعني هذا أن عمليّة (سبارك/الشرارة) قد ألغيت؟ فردّ عليه رفائيل إيتان:

«العمليّة لا تزال واردة لكنّها مؤجّلة»، يجب انتظار اللحظة المناسبة، وهناك بعض الأمور الّتي يجب القيام بها من بينها رحيل أكبر عدد ممكن من بيروت الغربيّة مشيراً إلى أنّ الطّائرات الإسرائيليّة بدأت تلقي مناشير باللغة العربيّة تدعو السّكان إلى المغادرة، كما تم التأكيد على قطع المياه والكهرباء باعتباره أمر جيد لايمكن التّراجع عنه».

حوارات التّحديّ الشّروط والشّروط المضاده

أبـدى الإسرائيليـون رغبـة في توحيد القـوّة المسـيحيّة المتمثّلة بسـعد حدّاد في الجنـوب ومسـيحي الشّـمال بقيـادة بشـير الجميّل، وكذلـك أصرّوا على لقاء بشـير الجميّـل سـعد حـدّاد، وقـد التـقى الاثنـان في مركـز القيـادة الإسرائيليّة في سـوق الغـرب، ولـم يكـن هنـاك تفاعـل ثنـائيّ بـين الاثـنين؛ لأنّ المرحلـة هي مرحلـة مفاوضـات حيـث كان يمثـل الطّـرف الآخـر الذي كان ينقل رسـائل فيليب حبيب (الّذي لـم يلتـق منظّمـة التّحرير الفلسـطينيّة)، هو شـفيق الـوزّان رئيـس الوزراء اللبنـانيّ، والّذي كان فيليـب حبيـب يحمّلـه الـشّروط الإسرائيليّـة ليـاسر عرفات حـول رحيل القـّوات الفلسـطينيّة عـن بيروت،

وهذه الشروط هي:

- نزع سلاح كلّ الفصائل في بيروت الغربيّة.
- إنتشار الجيش اللبنانيّ، ووجوب تسليم (م. ت.ف)سلاحها الثقيل.
- الموافقـة على قيـام قـوّة نظاميّة رمزيّـة تتمركز خارج بيروت، وتنسـحب من لبنان عند إنسـحاب سـائر القـوّات الأجنبيّة منه مـتى آنّ الآوان.
- تسـتطيع م.ت.ف أنّ تحـدّد كيفيـة إجلائهـا عن بـيروت سـواء أكان ذلك بواسـاطة الصّليـب الأحمـر أمّ مع جـواز مـرور أمريكـيّ.
- على القيـادات والكـوادر السّياسـيّة مغـادرة بـيروت دون أنّ تحمل أي شيء غـير أسـلحتها الفرديّة.

- القبول بوجود مكتب سياسيّ دائم لمنظّمة التّحرير الفلسطينيّة في لبنان، ولكن خارج بيروت.

جاء ردّ ياسر عرفات على الشّروط الإسرائيليّة على النّحو الآتي:

- بقاء تمثيل سياسيّ في بيروت، ووجود قوّة مسلّحة رمزيّة مؤلفة من (٢٠٠٠) مقاتل يشكلون كتيبتين، وتوضعان تحت إمرة وزارة الدّفاع اللبنانيّة.
- بقاء الشّرطة المسلّحة الفلسطينيّة داخل المخيّمات.
- إبقاء السّلاح الثّقيل في أيدي الحركة الوطنيّة وحلفائها.
- رحيل (٤٠٠٠) مقاتل مع أسلحتهم الفرديّة.
- بقاء المؤسّسات الفلسطينيّة المدنيّة أو السّياسيّة.
- مواصلة النّشاطات الثقافيّة والإعلاميّة من خلال البنى التّحتيّة القائمة في بيروت.

وفي نفس الوقت قامت وكالة الأنباء الفلسطنيّة (وفا) بنشر افتتاحيّة لها تمّ توزيعها على وكالات الأنباء المّحليّة، وجاء فيها:

«ليس لدى المقاومة الفلسطينيّة أيّة نوايا لمغادرة لبنان واللجوء إلى إحدى الدّول العربيّة الشّريكة في التّحالف الإسرائيليّ -الأميركيّ؛ لأنّها لو فعلت ذلك لوقّعت على قرار موتها، ومنظّمة التّحرير لم تهزم وهي لا تنوي الإستسلام، لن يكون قتال في بيروت أنّ وجد حلّ مشرّف، وإذا لم يوجد مثل هذا الحلّ فإنّ م. ت. ف مستعّدة للقتال كما فعلت منذ أن شنّ مناحيم بيغن هذه الحرب القذرة غير المبررة».

جُنَّ جنون مناحيم بيغن وإعتبر أنّ المقال هو تحدّ لإسرائيل، وكرّر مناحيم بيغن:

«لا أعرف هل أنا من يحاصر بيروت أم عرفات يحاصر تلّ أبيب».

لقد كان من الملاحظ لكلّ المراسليين في تلك الفترة رغم عنف القصف الإسرائيليّ أنّ الأخ أبي عمّار لم تفارق وجهه الابتسامة، كان في حالة هدوء، وكانت كلماته تعبّر عن ثقة كبيرة بالنّصر... لكن رد الفعل الحاد والجنونيّ كان عند مناحيم بيغن وخاصة أنّ الضّغط الأميركيّ ازداد عليه، وبدأت المعارضة الإسرائيليّة أيضاً تظهر الخسائر المادّيّة والمعنويّة للمجتمع الإسرائيليّ، وكذلك الخسائر الكبيرة في القتلى والجرحى... وفي كلمة لِ (بيغن) في الكنيست قال منفعلاً:

«فليرحلوا سيراً على الأقدام، أو في سيّارات المهم أنّ يرحلوا، الفلسطينيون يجب أنّ يرحلوا وسيرحلون».

وبعد حديثه استدعى شارون، وأوضح له رأيه في ضرورة اقتحام بيروت الغربيّة مهما بلغت الضّغوط، وأمره بالعودة إلى لبنان، وأطلق عدّة قرارات عسكريّة صارمه، ومنها إطباق حصار كامل على بيروت الغربيّة ومنع أيّة مركبة ذاهبة إلى بيروت الغربيّة أو خارجة منها، ومنعت كلّ الشّاحنات الّتي كانت تحمل موادّ غذائية للمحاصرين.

وصرّح رفائيل إيتان، الّذي يعدّ أحد صقور الاسرائيليين الّذين كان بيغن وشارون يعتمد عليهم بقوله:

«هناك عشرة خيارات عسكريّة لترحيل الفلسطينيين».

أمّا إسحق شامير فقد قال:

«أنّه يجب أنّ يرحل الفلسطينيون في أسرع وقت، فقد نفذ صبر إسرائيل».

أمّا النّاطق بإسم الحكومة الإسرائيليّة دان ميردور فقد قال:

«يجب أنّ يغادر الفلسطينييون لبنان وقد رفضت الحكومة الإسرائيليّة رفضاً قاطعاً كلّ اقتراح ينصّ على وجودهم حتّى ولو رمزاً سواء تحت شكل سياسيّ أو عسكريّ».

شكّل وجود الجنود الإسرائيليّين بعد الحصار الكامل عند الطّريق إلى القصر الجمهوريّ إحراجاً لرئيس الوزراء شفيق الوزان، وأعضاء لجنة السّلامة العامة أو ما سميّ «بهيئة الإنقاذ»، ولهذا رفض الوزّان مقابلة فيليب حبيب في بعبدا، ولهذا طلب فيليب حبيب من شارون فتح معبر غاليري سمعان لكي يستعمله شفيق الوزّان والوزراء والدّبلوماسيون والجنرلات الّذين يشاركون في المفاوضات وكذلك أعضاء فريق صائب سلام دون أنّ يفتشهم الجيش الإسرائيليّ أو القوّات اللبنانيّة.

وفي ١٩٨٢/٧/٦ أعلن الرّئيس رونالد ريغان أنّ الولايات المتّحدة على استعداد لإرسال قوّات إلى لبنان إذا طلبت بيروت من أجل إحلال السّلام وإجلاء الفلسطينيين.

وبعد هذا الإعلان أبحرت ثلاث سفن ناقلة للجنود تابعة للإسطول السّادس وهي: **أرميتاج، ومايتول، وساغينا** من ميناء نابولي الإيطاليّ، وكان على متنها ألف وثمان مائة جنديّ من مشاة البحريّة الامريكيّة.

كانت مهمّة هذه السّفن مساندة الجيش اللبنانيّ في الإشراف على ترحيل الفلسطينيين، والمساعدة على بسط سلطة الحكومة اللبنانيّة على بيروت... في نفس الوقت اتصل ريغان بِـ (مناحيم بيغن)، وطلب منه إنهاء حصار بيروت. ونتيجة لذلك إنصاع بيغن، وأعيدت الكهرباء والماء إلى بيروت الغربيّة ممّا أثار

غضب بشير الجميّل من هذا القرار ففي أثناء مقابلته لرفائيل إيتان الّذي بعث إليه موضّحاً سبب ذلك قال بشير الجميّل:

«لقد رفض عرفات الانسحاب تحت حماية البحريّة الأمريكيّة بناء على نصائح السّفير السّوفياتيّ الكسندر سولداتوف، وبوسع عرفات أنّ ينتظر حتّى بدون كهرباء وماء، أنّه لن يسلّمكم بيروت»، وصاح من جديد:

«برافو عرفات.. لقد تلاعب بالجميع.. لقد عادت إليه الكهرباء والماء والغذاء».

في نفس الوقت أعلنت فرنسا أنّها جاهزه للإشتراك في قوّة الفصل في لبنان إذا طلب لبنان، وبموافقة طرفي النّزاع، وأعلن كلود شيسون وزير الخارجية الفرنسيّة أنّ منظّمة التّحرير الفلسطينيّة قبلت أنّ تنتقل من العمل العسكريّ إلى العمل السّياسيّ، وأضاف:

«إنني أطلب من المنظمة ومن إسرائيل أنّ تقبلا بصورة متبادلة الشّروع في تسوية القضيّة الفلسطينيّة على قاعدة حقّ جميع دول المنطقة في الوجود والأمن بما في ذلك قيام دولة فلسطين.

وظهر إلى التّداول الحلّ الجديد الّذي يقول بأنّ ينقل المقاتلين الفلسطينيين إلى اللاذقية، ثمّ يتوجّهون إلى سهل البقاع أو شمال لبنان تحت حماية البحريّة الفرنسيّة، ويتولّى حوالي (٨٠٠)جنديّ اميركيّ من المارينز حماية المدنيين، وينتشر الجيش اللبنانيّ في بيروت الغربيّة ويتراجع الجيش الإسرائيليّ عدّة كيلومترات على أنّ يتمّ إنتشار القوّات المتعدّدة الجنسيّات قبل إنسحاب الفلسطينيّين بناء على طلب ياسر عرفات... ورفضت إسرائيل هذا الحلّ حيث أصرّ شارون على إنتشار القوّات المتعدّدة الجنسيّات بعد الإنسحاب.

وفي نفس الوقت أعلنت م.ت.ف يوم ١٩٨٢/٧/٨ رفضها الإنسحاب عن طريق البحر، وطلبت الانتقال مباشرة إلى شمال لبنان وسهل البقاع على أنّ يكون ذلك تحت حماية القوّات المتعدّدة الجنسيّات، وبمشاركة فرنسا.

كان الموقف السّوريّ مناقضاً وجاء رافضاً، وأعلنت سوريا في ١٩٨٢/٧/٩م أنّه ليس وارداً أن تستقبل الفلسطينيين على أرضها وحتّى في اللآذقيّة.

في ١٩٨٢/٧/١١ إنتهكت إسرائيل وقف إطلاق النّار، وأعطيت الأوامر باستمرار القصف. وخلال إثنتي عشرة ساعة متواصلة بدون توقف سقط على بيروت (٢٢٠) ألف قذيفة أي مايعادل قنبلة هيروشيما النّوويّة، وكانّ هذا اليوم الأكثر عنفاً، فلقد اشتركت كل الأسلحة الإسرائيليّة برّاً وجوّاً وبحراً في قصف بيروت، وعند السّاعة التّاسعة من مساء نفس اليوم أوقفت إسرائيل النار فتكبدت خسائر كبيرة في الأرواح، فلقد واجه فدائيونا (٣٥٠٠)جنديّ و(٣٠٠) دبّابة ومائة مدفع بعيد المدى حول بيروت، وكأنّ ردّنا من خلال العديد من راجمات الصّواريخ الّتي كانت تنطلق من منطقة الرّوشة وفردان والحرش ومنطقة سباق الخيل وحتّى من منطقة الأسواق، وكان الرّد صّاعقاً للقيادة الإسرائيليّة، فلم يتوقّعوا وجود هذه الكّميّة من الذّخائر والرّاجمات، وعلى وجه السرعة التقى ديفيد كيمي وهيوشع بشير الجميّل يطلبون بإلحاح التّحرّك لاستئصال «الإرهاب الفلسطيني»، حيث أكدوا له أنّ مهمّة القوّات اللبنانيّة تنحصر بالمخيّمات الفلسطينيّة، أمّا الجيش الإسرائيليّ فسيدخل إلى مناطق السّنّه اللبنانيّة، مؤكّدين أنّ لديهم الكثير من العملاء الّذين يعملون مع الاسرائيليين، وبدأوا بالاستعداد للقيام بأعمال انتقاميّة، وسبق أنّ أشرنا إلى الصّورة المتفجرة الّتي وضعت أمام مركز الأبحاث الفلسطينيّ، والّتي أدّت إلى سقوط (٤٣) جريحاً.

الاحتلال يفرض بشير الجميّل مرشّحاً لرئاسة الجمهوريّة

استغل مساعدو بشير الجميّل، برئاسة زاهي البسّتانيّ، الوضع في مدينة بيروت، وعدم وجود وحدة قويّة في الصّفّ الوطنيّ اللبنانيّ، وضعف شخصيّة أسعد الأسعد رئيس البرلمان اللبنانيّ، والّذي كان مهملاً في الوسط الشّيعيّ تمهيداً لصعود حركة أمل وقائدها نبيه برّي للإعلان عن ترشيح بشير الجميّل رئيساً للجمهوريّة اللبنانيّة.

ولهذا الغرض ذهب وفد من القوّات اللبنانية بتاريخ ١٤/٧/١٩٨٢م يضمّ كلاً من كريم بقردوني الّذي كان مقرّباً من القيادة السّوريّة وجورج سعادة وجوزيف أبو خليل ممثّل القوّات اللبنانيّة عند الاسرائيليين إلى دمشق لاستكشاف الموقف السّوريّ حيال ترشيح بشير الجميّل لرئاسة الجمهوريّة، فتّم استقبال الوفد من عبد الحليم خدام المسؤول عن الملفّ البنانيّ آنذاك بكلّ حفاوة، وأبلغهم أنّه يمكن ذلك بعد معرفة نواياه برؤية لبنان، ومفهوم العلاقة الّتي يمكن أنّ يقيمها مع العالم العربيّ وخاصّة سوريا، ومع من سيعمل في الحقل الدّاخليّ. عاد الوفد، وأبلغ بشير الجميّل بالموقف السّوريّ، وهنا استغل بشير الجميّل هذا الموقف السّوريّ، وعمل على تهدئة الجبهة في منطقة الشوف بعد احتجاجاته لعدم عمل الاسرائيليين في الشّوف حيث الدّروز، ووجود ضباط دروز كبار في الجيش الإسرائيليّ الموجود هناك، واستمرّت التّهدئة فترة قصيرة ما بين ١٥-١٩/٧/١٩٨٢م.

أمّـا تصريحـات فيليـب حبيب حـول نـشر مراقبين مـن الأمم المتّحـدة حول العاصمـة فقـد أربـك كلّ خطـط شـارون الّذي حضر إلى بـيروت على وجـه السرعة لمقابلـة فيليـب حبيـب، وتوجه بعد ذلـك لمقابلة بشـير الجميّل وفادي إفـرام وجوني عبـدو الّذي كان قـد التـقى في اليـوم نفسـه يـاسر عرفات بنـاء على طلـب اللجنة، وبـادر شـارون بسـؤال جوني عبـدو عن يـاسر عرفات:

«وهـل ينـوي الرّحيل»، فأجابه جـوني عبـدو «معنوياته أفضل ممّـا كانت آخر مـرّة التقيته، ويظـنّ تماماً أنّ الوقـت يعمل لصالحه».

بشير الجميّل رئيساً /دفَع الفاتورة

ورد في كتاب (آلان مينارغ /أسرار حرب لبنان)، أنّه بعد انقضاء عشرة أيام على بدء الغزوّ الإسرائيليّ عقد في ١٦ يونيو/ حزيران ١٩٨٢ اجتماع سرّيّ في مقرّ السّفير الأمريكيّ في اليرزة ضمّ فيليب حبيب ومعاونه موريس درابر والسّفير الأمريكيّ روبرت ديلون وبشير الجميّل. وفي أثناء المناقشة فاجأ مبعوث رونالد ريغان الجميع بطلبه من زميليّه أن يخرجا ويتركاه وحده مع قائد القوّات اللّبنانيّة.

استعاد فيليب حبيب قريحته الشّرقيّة المرتبطة بأصوله، وأمسك القائد المسيحيّ بيده وحدّق في عينيه قائلاً:

«قرّرت الولايات المتّحدّة أن تدعم ترشيحك لانتخابات الرّئاسة. سنتولى أمر العربيّة السّعوديّة والمسلمين هنا، ونطلب منك أن تساعدنا بسلوكك، أنت الوحيد القادر على إنقاذ هذا البلد.

دعني أقبّلك، وليكن الله معك».

إنّه يحضرني الآن ما عرفناه عن (العرّاب) سيّد سادة المافيا، والّذي له مراسم خاصّة إمّا بتقبيل يده، أو أن يقبّله في وجنتيه إن كان راضياً عن الشّخص المقابل، أو أن تكون تلك القبلة قبلة الموت حيث يظهر مفعولها في الأيام القادمة...!

وبالطّبع فإن بشير الجميّل كاد أن يفقد توازنه من شدّة الفرح، فلقد تأكّد

من العناق أنّ هناك قراراً حقيقيّاً لوصوله إلى سدّة الحكم، خاصّة وأنّ الفكرة الوصول إلى سدّة الرّئاسة كانت متأصّلة في تفكيره وأحلامه.

وللوصول إلى تلك الكلمة السّحريّة (رئيس الجمهورية) أزاح أخاه الأكبر، وفرض نفسه على أبيه وحزب الكتائب، ولم يكتفِ بذلك، فقد فرض نفسه على المسلمين بالإقناع وبالقوّة، وسعى الموساد الإسرائيليّ إلى التّخلّص من صورته الّتي كان يعيشها وهي (الأزعر) ورئيس العصابة، وفي يوم وليلة أصبح زعيماً سياسيّاً مدقّقاً في مسلكه وفي كلماته، مطمئناً إلى صديقه الصّدوق..! والّذي سيساعده في القضاء على الفلسطينيين، ومعهم أيضاً حلفاؤه السّوريون السّابقون.

كان بشير الجميّل حريصاً على أن يقدّم نفسه لسوريا أوّلاً، لمعرفته بتأثيرها في السّاحة اللّبنانيّة والدّول العربيّة؛ ليصبح المحاور الأوّل لبقيّة طوائف لبنان خاصّة السّنّة منهم، وذلك لأنّ قيادة الشّعب آنذاك كانت في يد رجال ضعاف لا حضور قويّ لهم في تلك الفترة.

وفي أواخر يونيو /حزيران ١٩٨٢ أخبر الإسرائيليين بقوله:

«عليّ أن أقوم بهذا النّوع من الاتّصالات (أي قبل رحلته للسّعوديّة) «إذا أردت ان أوقّع على السّلام مع إسرائيل، وإذا انتخبت فيمكنكم الاحتفاظ بسفاراتكم في بيروت، وسيتوجب أن أتمتّع بمهلة سنة على الأقلّ لأثبت للعالم العربيّ أنّني لبنانيّ، ولست مسيحيّاً فقط».

حصل بشير الجميّل على تأييد المسيحيين كأمر واقع، وتوقّع مساندة بعض نوّاب السّنّة وكذلك بعض الشّيعة، وبالطّبع فإنّ وليد حنبلاط كان رافضاً لترشيح بشير الجميّل واعتبر أنّ الإسرائيليين ودباباتهم هي الّتي فرضته.

حـدّد رئيـس البرلمـان اللّبنـانيّ كامـل الأسـعد عقـد دورة لمجلـس النّـواب تبتـدئ يـوم ٢٣ يوليـو/ تمـوز ١٩٨٢ لأجـل انتخـاب رئيـس.

وحسـب الدّسـتور اللّبنـانيّ فـإنّ رئيـس البرلمـان يمكنـه أن يدعـو مجلـس النّـواب إلى اجتمـاع في أيّـة لحظـة خـلال مهلـة شـهر، وإذا لـم يتوصّـل إلى تامـين النّصـاب القانـونيّ خـلال هذه الفـترة، فيكـون للنّـواب أن يجتمعوا خـلال ثلاثين يومـاً ودونمـا عـودة، وأن يقومـوا بعمليّـة التّصويـت شرط أن يكـون عددهـم (٦٢) نائبـاً على الأقـلّ، وهـو الرّقـم اللّازم لتأمـين النّصـاب. وإذا لم يتـمّ الانتخاب خـلال هـذه الفترة فإنّـه يتعيّن على رئيـس الجمهوريّـة المنتهيـة ولايته اعتبـاراً من ٢٣سـبتمبر/ ايلـول أن يعـيّن رئيسـاً جديـداً للحكومـة (مارونيّاً حسـب التّقليد)، إذ مـن المعـروف أنّ رئيـس الجمهوريّة يجـب أن يكـون مسـيحيّاً مارونيّـاً، ورئيس الـوزراء سـنيّاً ورئيـس البرلمـان شـيعيّاً، وتتـوزّع بعـض الرّتـب والـوزارات على الطّوائـف الأخـرى، والّـتي هي أكثر من سـبع عـشرة طائفة. كانت صعوبـات إجراء انتخابـات الرّئاسـة تقلـق المسـؤولين الاسرائيليـين عـن الملـفّ اللّبنانيّ.

وللاطّـلاع على حيثيـات الوضـع في لبنـان فقـد تحـرّك مدير الموسـاد إسـحق حـوفي إلى بيروت.

وفي هـذا اليـوم وصـل الغيـظ مـن شـارون درجـة دفعتـه لإعطـاء الأوامـر بإطـلاق قذائـف كلّ الأسـلحة، حيث كانت شـوارع بـيروت الغربيّة خاليـة إلّا من المقاتلين.

وفي هذه الأجواء التقي خوفي وبشير الجميّل في الكرنتينا.

قال بشير:

«إنّ هناك ضغوطاً سوريّة وفلسطينيّة شديدة لأجل منع إجراء الانتخابات، لقد فهموا أنّني سأنتخب، فراحوا يهولون على مسلمي بيروت، مطلقين شعار المقاطعة، لكنّ صائب سلام كان ينتظر الضّوء الأخضر من السّعوديين لكي يشاركوا. فإذا لم يلعب لعبة المقاطعة سنحصل على النّصاب القانونيّ، وعدني فيليب حبيب أن يتدخّل لدى الرّياض بهذا الشّأن. سنقرّر سريعاً تاريخ جلسة الانتخابات عندما نصبح واثقين من مشاركة صائب سلام، نحن واثقون من حيازة (٥٥) صوتاً في الدّورة الأولى، ولا يلزمني فيها إلّا (٤٧) صوتاً».

إنّنا لا يمكن أن ننسى ما قاله بشير الجميّل مرشّح الرّئاسة اللّبنانيّة في مجلة «نوفيل أوبسرفاتور» في ٦/١٩/ ١٩٨٢ في أسوأ تصريح يمكن سماعه، ولا يضاهيه إلّا التّصريحات الإسرائيليّة، فقد قال حرفيّاً:

«هناك في الشّرق الأوسط أربعة بلدان هي: لبنان، والأردنّ، وسوريا، وإسرائيل، وهناك خمسة شعوب، فالشّعب الفلسطينيّ هو شعب فائض (زائد) عن الحاجة..!».

لم يكن هذا التّصريح الوقح البغيض والعنصريّ هو أوّل تصريح لبشير الجميّل، فكلّ كتاباته وزمرته في صحيفة الكتائب (جريدة العمل) الّتي يرأس تحريرها عرّاب العلاقة الكتائبية -الإسرائيليّة جوزيف ابي خليل/ عضو المكتب السّياسيّ لحزب الكتائب، الّذي كان يروي المقالات ذات الصّيغة التّحريضيّة الهتلريّة الّتي تطالب بطرد (الغرباء الفلسطينيين) من لبنان، ولم يعرف بشير الجميّل الّذي قدّم وعائلته من العراق، وهو ليس لبنانيّاً بالأصل،

أنّ الفلسطينيين هم أصحاب أقدم حضارة على وجه الأرض، وسبقت حضارتهم ومساهماتهم في الحضارات المحيطة كل الشّعوب، هذا هو الشّعب

الفلسطينيّ الّذي قدّم ويقدّم للبنان الحضارة والاقتصاد والعلوم والفنون، وهذا هو مرشح الرّئاسة اللّبنانيّ الّذي سلّم كلّ أوراقه للإسرائيليين ليصبح رئيساً.

انتخب بشير الجميّل -كما قال وليد جنبلاط- بأمر الدّبّابات الإسرائيليّة، وذهب إلى المدرسة الحربيّة حيث جرى التّصويت؛ لأنّ منطقة البرلمان اللّبنانيّ كانت منطقة معارك.

دخل بشير الجميّل القاعة متوجّهاً نحو أبيه وعانقه، ثمّ عانق كميل شمعون، ثمّ شكر المجلس على الثّقة الّتي منحوها له.

وكإبداء حسن نيّة أعيدت الكهرباء والماء إلى بيروت الغربيّة، وكانت النّتيجة سارّة للإسرائيليين، واعتقدوا أنّهم حقّقوا هدفهم.

بعث مناجيم بيغن رسالة تهنئة لبشير الجميّل يقول فيها:

«نحن مسرورون من أعماق قلبنا بانتخابكم، فليأخذ الله بيدك أيّها الصّديق العزيز في رسالتكم التّاريخيّة العظيمة لأجل نيل حرّيّة لبنان واستقلاله».

وفي ٢٧/٨/ ١٩٨٢ وصل وفد إسرائيليّ ضمّ كلًّا من شارون ورفائيل إيتان وموشيه ليفي وأفنير أزولاي من الموساد حيث اجتمعوا سرّاً في منزل جوني عبده لتهنئة بشير الجميّل. وفي نفس اللّقاء قام رفائيل ايتان بتذكيره بالاتّفاق المسبق بضرورة اقتحام بيروت الغربيّة فور رحيل آخر الفلسطينيين والسّوريين.

فأكّد بشير الجميّل على ذلك، وصرّح للوفد أنّه سيعطي الأمر للجيش اللّبنانيّ بالدّخول إلى بيروت الغربيّة وتفتيش كلّ الأماكن، كما أعلن انّه سيواجه مشاكل مع المرابطين وهم الفريق السّنيّ الوحيد الّذي حمل السّلاح

منـذ بدايـة الحـرب الأهليّـة وحـتّى الاجتيـاح، وبالطّبـع كانوا ضـدّ انتخاب بشـير الجميّـل، كمـا أنّهم كانـوا لا يحصلون على دعـم المملكـة العربيّة السـعوديّة كما هو حـال صائب سـلام.

وفعـلاً قـام الجيـش بالانتشـار في بـيروت الغربيّة بقيادة ميشـال عـون الّذي بعـث برسـالة إلى (المرابطـون) شرح لهم فيها تمنياتـه بأن يتمكّن مـن العمل دون مشـاكل، وردّ عليـه (مسـؤولو المرابطـون) بأنّهـم ليسـوا بصـدد مواجهـة الجيـش، وعليـه فقد تمّـت عمليّة انتشـار الجيـش اللّبنانيّ بسـهولة.

اعتقـد بشـير الجميّـل أنّ خروج الفلسـطينيين وبقايـا السّـوريين من بيروت سيسـاعد في حصـار البقاع، ولهـذا توجّه إلى فيليـب حبيب لمعرفة نوايا السّـوريين. كمـا أنّ الإسرائيليين ذكّروه أيضاً بوعده لإعادة سـعد حـدّاد إلى الجيش وتكـريمه، وأكّـد على ذلك بقوله:

«إنّـه سينسّـق مـع النّائب العام العسـكريّ أسـعد جرمانوس على ذلـك، وإنّه سـيعامل كبطل».

وفي ١٩٨٢/٩/١م نقلـت مروحيّة إسرائيليّة بشـير الجميّل إلى إسرائيل في منطقة نهاريـا، وكان يرافقـه معاونوه جوزيف أبـو خليل، وجوزيف سـعادة، وجورج فريحة، وتـمّ نقلهم إلى حيث كان شـارون، وإسـحق شـامير، وديفيد كمـحي، وأبراهام تامير، وإسـحق حـوفي، وناحـوم عرمـوني، ومناحيـم نافـون، وقـد أورد ذلـك جوزيف أبو خليـل ذلك في كتابـه قصة الموارنـة في الحرب.

وصل مناحيم بيغن الّذي بادر بشير الجميّل بالقول:

«أودّ ان أرحـبّ بـك سـيّدي الرّئيـس يـوم كنـت تـأتي إليّ فيمـا مـضى كنت

أناديك «ابني»، والآن صرت رئيساً لبلادك، عليّ أن أعبّر عن الامتنان لسلفي إسحق رابين وحكومته، كانت منظّمة التّحرير الفلسطينيّة قد جلبت كوارث إلى لبنان، وقيوداً على السّلطة وفقداناً للاستقلال، كان هذا ينذر بالقضاء على المسيحيين في الجنوب وغير الجنوب، وعانى السّكان معاناة هائلة من القصف، لقد جئت هذه اللّيلة لأقول لكم:

«إنّه لن يهدّدكم أحد بعد الآن، فالجيش الإسرائيليّ سحق منظّمة التّحرير الفلسطينيّة وجرّدها من السّلاح، وطردها خارج لبنان، وأضعف الجيش السّوريّ، لقد دمرنا لهم (٤٥٠) دبابة و(١١٢) طائرة، ولأوّل مرّة أسقطت طائرة من طراز (ميغ ٢٥)، وقضينا على ٢١ بطارية لصواريخ (سام ٦٢) و(وسام ٨)، كما سحقنا وحدات سوريّة كبيرة، وحافظ الأسد يعلم أنّه إذا نشبت حرب فإنّ جيشه سوف يسحق».

ومن الحديث جاء:

«يجب الانتهاء من الحرب، ولهذا علينا أن نوقّع معاهدة صلح باللّغتين العربيّة والعبريّة، وسنوقع على النّسخة العبريّة في القدس وعلى النّسخة العربيّة ببيروت... نحن سعداء أنّك انتخبت بصورة ديمقراطيّة رئيساً للبنان، ويمكن لنا أن نقول إنّ لديك صديقاً في القدس، وإنّ لي صديقاً في بيروت».

وردّ بشير الجميّل:

«لقد كنّا محظوظين حيث حصلنا على دعمكم غير المشروط، اليوم صار صديقكم رئيساً للجمهوريّة اللّبنانيّة، وسوف نقوم بخطوة أخرى وهي إخراج (٥٠٠,٠٠٠) فلسطينيّ موجودين في لبنان، فلن يبقى إرهابيون على أرضنا أبداً، وفي المرحلة الثّانية سيخرج السّوريون من لبنان، لكنّنا لن نرضى

الانسحاب السّوريّ والإسرائيليّ على مستوى واحد، لسنا بحاجة إلى تطبيع بين شعبينا، وسأعمل ما بوسعي كرئيس للدّولة حتّى تتحقّق أحلامنا، لقد انتصرنا في الحرب بفضل مساعدتكم ودعمكم. لقد كنت (سيّداً كبيراً) مخاطباً في نهاية حديثه بيغن».

وهنا بدأ بيغن يندّد بموقف بشير الجميّل الّذي شكر الولايات المتّحدة، وفرنسا، وإيطاليا على مساهمتهم في حريّة لبنان، ولم يذكر شيئاً عن إسرائيل الّتي قدمت كلّ شيء له.

وكانت كلمات بيغن مليئة بالتّأنيب والاتهام، واستكمل حديثه بوضع الشّروط على المعاهدة الّتي يجب التّوقيع عليها بسرعة، وعندما عاد بشير الجميّل قال لشارون الّذي جاء لزيارته:

«لقد خاطبني بيغن كما لو أنّني فلسطينيّ أو سوريّ، وليس كصديق.. هل يمكن أن تعطيني تفسيراً لذلك؟!».

كانت ردّة فعل وليد جنبلاط، رغم محاولة بشير الجميّل التّهدئة في الجبل، بقوله:

«إنّ هذا ترشيح الدّبّابات والمدافع الإسرائيليّة، وإنّ هذا يعتبر تحدّياً لكلّ الحركة الوطنيّة»، والّتي أكّدت ذلك هي الحركة الإسلاميّة.

أمّا سوريّا فقد أكّدت أنّ بشير الجميّل قد خان.

ردّت إسرائيل على هذه الاعتراضات احتفالاً بترشيح بشير الجميّل بتاريخ ١٩٨٢/٧/٢٦ بقصف عنيف على بيروت الغربيّة بكلّ الأسلحة وتمّ قطع الماء والكهرباء أيّضاً، واستمرّ ذلك طيلة يوم ١٩٨٢/٧/٢٧.

وبعـد توقّـف القصف اجتمعـت القيـادات السّـنيّة في التّجمّع الإسـلاميّ في بيـت صائـب سـلام، واتّفقوا بالإجمـاع على إجـراء انتخابـات في إطار دسّـتوريّ.

في هـذا اليـوم أعلن يـاسر عرفات تعهّده بسـحب القـوّات الفلسـطينيّة من بـيروت، فطلـب فيليـب حبيـب مـن شـفيق الـوزّان أنّ يحصـل على التّعهّـد الخطيّ مـن عرفات.

وفي نفـس اليـوم صـدر قرار عـن مجلس الأمـن برفع الحصار عـن بيروت مع امتنـاع الولايات المتّحـدة عن التّصويت.

وكان ردّ الإسرائيليـين القصـف الشّـديد، والهجـوم على المطـار كمـا أوضحنا في معركـة المطار.

بيروت الأسطورة.. وعرفات يقول: «اركع أيّها المجد»!

أرسل فيليب حبيب مع جوني عبده بناء على طلب من الرّئيس سركيس طلب مغادرة بيروت بعد أنّ رفض كلّ زعماء لبنان الموجودون في بيروت الغربيّة نقل هذه الرسالة لعرفات. وفعلاً قال جوني عبده لعرفات:

«يجب أن تغادر بيروت»، فأجابه عرفات:

«لم أسمع هذا الحديث من أحد من غيرك في لبنان»، فقال جوني عبده:

«الرّجاء أنّ تسأل زملاءك وحلفاءك عن ذلك». وغادر جوني عبده دون أنّ يسمع ردّاً.

انطلقت الرّسائل من الحلفاء والأصدقاء، وقالوا:

«رجاء أن ترى الحالة الّتي إلنا لها، وبيروت الّتي أصابها ما أصابها ما أصاب برلين وستالينغراد من التّدمير والعذاب»، وطرحوا عليه الأسئلة الّتي كانت إجاباتها النفي، ومن هذه الأسئلة:

- هل تنتظر أن تأتيك المساعدة من البحر؟
- هل تنتظر مساعدة دوليّة من الاتّحاد السّوفيتيّ؟
- هل تنتظر إنزالاً جوّياً من الأشقاء وجيوشهم؟

كانـت إجابـات عرفـات بـلا، وكانـت هـذه الأسـئلة تتكـرّر مـن كلّ زعمـاء الحركـة الوطنيّـة والزّعمـاء اللبنانيـين الآخريـن، وهنـا شـعر عرفـات أنّ بـيروت وأهلهـا وأطفالهـا ونسـاءها أمانـة في عنقـه، حيـث أعطتـه بـيروت أكثّرممـا أعطتـه كلّ الأمّـة العربيّـة رغـم أنّ بـيروت ليسـت مدينـة فلسـطينيّة، وهنـا قـال مقولتـه المشـهورة:

«لـو كانـت بـيروت هي القـدس لمـا تركتهـا، وكنـت سـأقاتل حـتّى آخـر طلقـة، وآخـر حجـر، وآخـر قطـرة مـاء، وآخـر قطـرة دم فلسـطينيّة... ولكـنّ لـن أحمّلكـم أكـثر مـن ذلـك».

كانـت تلك الكلمـات هي القـرار المؤلم والجارح لـروح عرفـات وإخوته؛ لأنّ هـذا الزّمـن هو زمـن الخذلان العـربيّ والمجد الفلسـطينيّ.

دعا عرفـات الأمنـاء العامـين لـكلّ الفصائل، واستشـارهم في الأمـر... فوافق الجميـع بلا اسـتثناء، وكان معروفـاً أنّ بعضهم طلـب من أبي عمّار الاستسـلام منذ زمـن بعيد!!

حبيب يقنع العرب استقبال رجال م.ت.ف

تحـرك فيليـب حبيـب بـكلّ إمكاناتـه لإقنـاع الدّول العربيّـة باسـتقبال م.ت.ف، وتـردّد الجميـع في اسـتقبال أيّـة أعـداد، وعندمـا توجّه فيليـب حبيب إلى المملكـة العربيّة السّـعوديّة «برغبة» من الولايات المتّحدة عسى أنّ تقنع السّـعوديّة الأشـقاء العـرب الآخريـن باسـتقبال قـوّات م.ت.ف من خـلال بوابـة الأموال.

رفضـت سـوريّا اسـتقبال واسـتضافة القـوّات الفلسـطينيّة المغـادرة، وكانت رغبـة معظـم القيادات الفلسـطينيّة التّوجّـه إلى دمشـق لاعتقادهم بأنّ سـوريّا هي الحضـن التّاريـخيّ للمقاومة، لكنّ سـوريّا رفضـت، جاء ذلك عـبر التّبريرات الّتي قدّمهـا عبـد الحليم خدّام للسـفير السّـوفيتيّ آنـذاك (يوجين)

لماذا لا يريد إستقبال الفلسطينيين وبرر ذلك للأسباب الآتية:

- إنّ انتشـار مقاتـليّ منظّمـة التّحريـر الفلسـطينيّة في سـوريّا واسـتقرارهم فيهـا سـيعني انتقـال كلّ الأربعمائـة ألف لآجئ فلسـطينيّ المقيمـين في لبنان إلى سـوريّا؛ لأنّ هـؤلاء يشّـكلون القـوّة الرّئيسـة في الفصائـل الفلسـطينيّة ا لمسلّحة.

- سـيؤدي ذلك إلى الإخلال بالأمن السّـوريّ، نظراً لأنّ المقاتلين الفلسطينيين في لبنان لم يعتـادوا الامتثال إلى الأوامر والقوانين.

- إنّ اسـتقبال كلّ هـؤلاء سـيعطي ذريعـة لتوجيـه ضربـات ضـدّ سـوريّا من أجـل الحدّ من نشـاطات المقاتلين الفلسـطينيين. ويضيف عبـد الحليم خدّام

صراحـة: «لن توافـق أيّة دولة عربيّة على اسـتقبال الفصائل الفلسـطينيّة على أراضيهـا أو حـتّى جزء منهـا على الأقلّ».

لقد كشـف هذا الموقف الإسـتراتيجيّة السّـوريّة واسـتمرار طعنها للمقاومة والثّـورة، وفي نفـس الوقـت أربـك حسـابات فيليـب حبيـب، وتدخّلت السّـعوديّة لدى العديـد مـن الدّول العربيّـة، وتواصلـت الاتّصـالات الامريكيّـة العربيّة من أجـل الوصـول إلى اتّفاق وصـول وقبول مقاتـلي م. ت.ف.

وفي هـذه الأثنـاء رفـض عرفـات التّوجـه إلى دمشـق، واختـار الذّهـاب إلى اليونـان وليـس إلى أيّـة دولـة عربيّـة، وكانـت تلـك رسـالة منـه للعالم بشـكل عامّ وللعـرب بشـكل خـاصّ، وذلـك لأنّ هـذه الأنّظمة كانـت تقف موقـف المتفرّج على اسـتنزاف الدّم الفلسـطينيّ واللبنانيّ دون أنّ تحرّك سـاكناً أمّا بالنّسـبة إلى سـوريّا فهـو لم يذهب إلى هناك؛ لأنّ الجيش السّـوري انسـحب من المعركـة، والتزم الجيش السّـوريّ أول اتّفاقيّـة لإطـلاق النّـار، ولـم يقـدّم أيّ دعـم للمقاومة الفلسـطينيّة وتركـت الفلسـطينيين وحيدين في مواجهـة الجيش الإسرائيلي... بـل إنّ اللواء الّذي بـقي في بـيروت لـم يقـدّم أيّ دعـم للمقاومـة، بـل إنّـه كان عالـة على المقاومـة الّتي زوّدتـه باحتياجاتـه مـن التّموين وغـير ذلك.

تراجـع النّظام السّـوريّ هنا، وقبـل بعدد من المقاتلين، بعد الإغراء السّـعوديّ والضّغـط الأمريكـيّ، أمّا ذهاب بعض القيادات إلى دمشـق فـلأنّ عائلاتهم كانت هنـاك، أو أنّ بعـض التّنظيمات هي حليفة لدمشـق تاريخيّـاً كالقيادة العامّـة التّابعة لأحمـد جبريـل، الّذي كان من أوّل المنادين والمؤيديـن لمغادرة بيروت.

هنـا نحـب أنّ نشـير إلى أنّ الجزائـر قبلـت اسـتقبال المقاتلين الفلسـطينيين وكذلـك اليمـن والسّـودان وعادت قـوّات بـدر التّابعة لجيـش التّحرير الفلسـطينيّ

إلى الأردنّ، أمّـا تونـس فقـد قبلـت وجـود القيـادة الفلسـطينيّة على أراضيهـا، وقد قـال حبيـب بورقيبـه رئيس تونـس بوضـوح وصراحة:

«إنّـه لـم يقبل مجيء القيادة الفلسـطينيّة إلى تونس إلّا بعـد طلب أمريكـيّ، وبضمانـات أمريكيّـة بـألّا تتعـرّض الأراضي التّونسـيّة لأيّـة عمليات عسـكريّة إسرائيليّـة رغـم أنّ بعـض الإخـوة يـرددّون أنّ زوجـة الرّئيـس التّونسيّ وسـيلة هي الّـتي ضغطـت من أجل قبـول وجود القيـادة الفلسـطينيّة على الأراضي التّونسـيّة... وكان هـذا القـرار، وهـذا التفرق (التّشـتّت) الفلسـطينيّ الجديد حكايـة تروى.

عرفات أيّها المجد اركع لبيروت

إنـنّي أورد هنـا مـا قاله عرفـات عن ملحمـة بيروت نظـراً لتناولهـا التّفاصيل والأبعـاد والنتائـج كافّة لهـذه المعركـة فقد قال:

«لقـد وضـع أبطالنـا في القـوّات المشـتركة والأحـرار مـن أمتنـا العربيّـة الّذيـن قاتلـوا إلى جانبنـا ملحمة صمـود اسـطوريّة»، وفي هذا الصـدد كذلك أذكر الباكسـتانيين والبنغـال واليمنيـين الّذيـن قاتلـوا معنا بـضراوة، وأودّ الإشـارة هنا إلى أنّ هـؤلاء جميعـاً صنعـوا معنـا شـيئاً اسـمه (الإسـبارطيون) في منطقـة الشّرق الأوسط.

لمعـارك بـيروت تقويـم عسـكريّ هـامّ، فالدّبّابـات أعطـت أهميّة اسـتثنائيّة في المعـارك البرّيّـة. عندمـا اسـتخدمها هتلـر في فـرق (البانـزر)، ومنـذ ذلك الحين اعتـبرت الدبابـة أهمّ الأسـلحة في المعارك، وظلّـت كذلك حتّى حـرب لبنان، حيث شـطب «الأر بي جي» وأطفـاله الدبابة من أنّ تكون السّـلاح رقم واحـد في المعركة، والآن في أوروبـا وحلـف النّاتـو- على وجـه التّحديـد- يدرسـون تأثير حـرب لبنان على الأسـلّحة المختلفّـة بما فيهـا الدبابة، خاصّـة وأنّ المدن في أوروبا تتّسـع وتتّصل مع بعضهـا لبعضاً.

هنـاك أشـياء كثيرة أودّ أنّ أتحـدّث عنهـا في هـذا المجـال، غـير أنّ لجنـة عسـكريّة فلسـطينيّة مـن المفـترض أن تكـون أنهـت أعمالهـا، حيـث كلّفت من القيـادة الفلسـطينيّة بإعـداد تقرير عن المعـارك العسـكريّة، وهـذه اللّجنة قابلت قـادة المناطـق والمحاور والمواقـع، والتي كان من المرجّـح أنّ تنجز تقريرهـا في الوقت

المناسب، ثمّ ترفعه للمجلس العسكريّ الأعلى للثّورة الفلسطينيّة، وتقرير اللّجنة هذا يعبر أكثر عمّا أريد قوله هنا.

لقد أحدثت معركة بيروت تغييرات كثيرة، منها -على سبيل المثال- شطب الجيش الإسرائيليّ من أن يكون رأس الرّمح في قوّة التّدخّل السّريع الأمريكيّة. «وبدي أقولها بالبلدي» هذا الجيش الّذي دفع بحوالي مئة وسبعين ألفاً من قوّاته في مختلف قطاعاته البرّيّة والبحريّة والجوّيّة وأمام من...؟! أمام (قردين وحارس) كما يقول المثل، حيث كنّا في واقع الأمر أمام هذه الجحافل لا تتعدّى «القردين والحارس»، فعدد قوّاتنا في بيروت لم يتجاوز الثّمانية الآف مقاتل، وفي الجنوب لم يتجاوز عدد هذه القوّات السّتة الآف مقاتل، وهذا يعني أربعة عشر ألف مقاتل في مقابل مائة وسبعين ألفاً؛ أيّ بنسبة ١-١٤، علماً بأنّه في بيروت لم تكن لدينا قوّة رئيسة مقاتلة، فمعظم مقاتلينا في بيروت هم من الأجهزة، ولذلك فإنّ حسابات البنتاغون والناتو تبدو جائزة؛ لأنهم وجدوا أنفسهم أمام ظاهرة المقاتل الفلسطينيّ الّذي أوقف الجيش الإسرائيليّ ثمانية وثمانين يوماً، مقابل هذا كلّه كم يكون (سعر) الجيش الإسرائيليّ في الإستراتيجيّة الشّاملة للبنتاغون الأمريكيّ وحلف الناتو؟ من غير الوارد بعد الآن الاعتماد على الجيش في الاستراتيجيّة الشّاملة للإمبرياليّة الأمريكيّة، لهذا جاز لبيروت بكلّ استحقاق أنّ تقول فيها ما قلته أنا ذات يوم:

«أيّها المجد اركع».

لم يكن القتال وحده هو المهم في بيروت، بل كانت تأمين المياه وتوفير اسباب الصمود بعد قيام الغزاة بقطع المياه والمحروقات والدّواء والطّعام شغلنا الشّاغل، إذ كيف نؤمن كلّ هذا برغم الحصار...؟ حفرت ثمانية وثلاثون بئراً لتأمين المياه، وكان أوّل شيء عملناه أثناء الحصار عندما ضربت الإذاعة أنّنا

سعينا لتشغيل إذاعة قديمة ظلّ الشّباب يجرون عليها التّصليحات حتّى تمكنوا من تشغيلها... حافظنا على استمرار طباعة الجرائد لأهميّة دورها التّعبويّ والإعلاميّ... اضطررنا لتأمين المازوت للمطابخ والمخابز والمستشفيات وغرف العمليات وأجهزة الإرسال على حدّ سواء، والافران عملت من غير توّقف، ولم تشكُ بيروت من قلّة الخبز يوماً واحداً خلال الحرب كلّها.

إنّني أذكر إنّني عقدت اجتماعاً في إحدى المرّات مع كادر أحد الأفران في بيروت، والّذين قالوا لي:

«توجد أفران في المناطق كذا وكذا»، قلت:

«لتفتح هذه الأفران فوراً... »، قالوا:

«لكن من سيعمل فيها؟» قلت:

«الطّلبة... طلبة الجامعات».

وفي إحدى المرّات زرت أحد الافران وكان أحد هؤلاء الطّلبة يعمل في الفرن، سألته:

«كم ساعة تعمل هنا؟ قال:

«ثماني ساعات»، قلت له:

«أليس بالإمكان جعلها اثنتي عشرة ساعة؟»، قال:

«يا أبا عمّار، جرّب أنت العمل في الفرن، وسوف ترى بنفسك إن كان بالإمكان المكوث هنا لمدّة ساعة واحدة، وتعرف -يا أبا عمّار- أنّها المرّة الأولى في حياتي الّتي أعمل فيها في فرن».

كان الهـلال الأحمـر نموذجـاً آخـر على الدّيناميكيّـة الفلسـطينيّة في الحـرب، وإنّـه لمن الإعجـاز حقّـاً أنّ يتمكّن الهلال الأحمر مـن إقامة مستشـفيات ميدانيّة تحـت الأرض مـع تأمـين الأدوية والمعّـدات لها.

الاتّصـالات، أيضـاً كنّـا في ظـلّ الحصـار أكبر مركـز للاتّصـال بالعالـم. كنّا نتصـل بالقيـادات السّـوفيتيّة والصّينيّـة والفرنسـيّة والقيـادات العربيّـة والأمـم المتّحـدة وبكاسـترو رئيـس دول عـدم الانحياز، وكانـت أجهزة اتّصـالات القيادة الفلسـطينيّة تصـدر يوميّـاً مـا معـدله ٥٠-٦٠ برقيّـة ورسـالة، وكنّـا ونتلـقّى رقمـاً مماثـلا، وكانت بعـض التّقاريـر تزيد عن العـشر صفحات، فضلا عن قسـمي ترجمة كانـا جاهزيـن للاسـتقبال والإرسـال، وقـد أشرف على مجـالي الأخبـار والاتّصالات الدّوليّـة اثنـان مـن الدّكاتـرة كانـت مهمتهمـا مواصلـة الاتّصـالات عـبر التّلكس والوسـائل الأخـرى... بعبـارة أخـرى: أجهزتنا عملت خـلال الحـرب بتناغم مذهل كمـا الكمبيوتر.

المعركـة الفلسـطينيّة الإسرائيليّـة على جبهـة المفاوضـات كانـت بالاسـاس معركـة أعصـاب وحـرب إرادات. لقـد عرضـوا علينـا الخـروج بداية تحـت رعاية الصليـب الأحمـر رافعـين الرّايـات البيضـاء، ثـم قالـوا لنا:

«اخرجـوا لكـن بـدون اسـلحتكم»، ثمّ اقترحـوا علينـا الخـروج بكفالة أميركيّـة، وعلى سـفن أميركيّة.

تلـك هي حـرب الإرادات الّـتي انتـصرت بهـا الارادة الفلسـطينيّة عندمـا تمكنّـت مـن فـرض شروطهـا على العـدّو المتغطـرس. أريد هنـا أن أشـير إلى القائد الذي خـرج علينـا في تلـك الأيـام مـن ليبيا، قـال لنـا أثناء الحصـار وأمـام القيادة ا لفلسطينيّة :

«مـاذا تنتظـر يـا أبـا عمّـار، دعنـا نخرج مـع الصّليـب الاحمـر، فهـذا -كما قـال- ليـس عيبـا»، وأمّـا أنا فقـد فرضـت شروطي على الطـرف الآخر لعـشرة أيام متواصلـة، حيـث ناقشـت فيهـا حـتى كيف يكـون موكـب خروجي مـن بيروت.

وعلى إثـر ذلك أرسـل لي بيغن رسـالته الشـهيرة في الاعـلام والّتي سـألني فيها عمـا إذا كنـت أنـا أحاصر تـلّ ابيب أم هـو الّذي يحاصر بـيروت؟ ويومهـا قلت له:

«بحصاري في بيروت أحاصر تلّ أبيب وكل العواصم».

عـشرة أيـام ناقشـتُ فيهـا كلّ تفاصيل الخـروج بما في ذلك المراسـم حسـب الأصـول البروتوكوليّـة الدّوليّـة، وكيـف يؤدّي حرس الـشرّف من غير قـواتي التّحيّة العسـكريّة ومرافقة عسـكريّة يونانيّـة بقيادة جنرال لموكبي، هذا فضلاً عن إرسـال مبعـوث رسـميّ يونانيّ وأربع سـفن مواكبة للباخرة التي سـتقلني الى اليونـان، والّتي رفـع عليهـا علم فلسـطين كلّ هـذه المراسـم بتفاصيلها نوقشـت لا لشـخص ياسر عرفـات، وأنمـا لرمـز مدينـة قاتلت وصمدت فاسـتحقت فـرض شروطهـا، فالأمر لا يتعلّـق بي شـخصيّاً، وإنّمـا بكرامـة الأجيـال مـن أبنـاء شـعبي، وأمّـا الجماهير اللبنانيّـة فقـد ودّعتهـا بالبـكاء، وكانت مـن اللحظـات القليلـة الّتي بكيـت فيها طـوال حيـاتي تلك اللحظـة الّتي ودّعت فيهـا بيروت وجماهيرهـا، والّتي لـم ارَ حناناً مثـل حنانها.

كلمـا كانـت المفاوضات تتعـثّر كان فيليـب حبيب يتصنّـع (الزّعل)، ويرسـل لنـا الطّـيران الحـربيّ والبـوارج لتفاوضنـا بالنّـار والدّم، وكنـا نعـرف أنّ كلّ يـوم مفاوضـات إضافيّـة يعـني المزيـد مـن القتـل والتّدمـير وسـفك الدّماء.

لذا أذكـر في آخـر وصلة مفاوضـات الّتي كنت فيها أنا وسـعد صايـل، جاء لنا جـنرال لبنـاني يحمل رسـالة من سركيـس، قلـت للجـنرال: «بلغ الرئيـس سركيس

التّـالي»: لقـد مـرّ الفرنجـة من هـذه المنطقـة، وغادروهـا، وأخـذوا معهـم جماعتهم، وجـاء الّتتـار ثمّ غادروها وانتـصرت هذه المنطقـة عليهم، وكذلك سـيغادر الصهاينة هـذه المنطقـة وسـيأخذون معهـم كلابهم، ثـمّ ياجنرال قـد تكـون قـد اطلعت على مسـار الحرب عندنا من شاشـة العـرض في بعبـدا، ولكنّي أوّد أن أسـالك:

«هـل هنـاك فاتـورة لـم ندفعهـا» لقـد دفعنـا الفاتـورة الاسرائيليّـة كاملـة، ودفعنـا الفاتـورة الأميركيّة كاملة أيضـاً، وكذلك الفاتـورة اللبنانيّـة وبعض الفواتير العربيـة، فهـل هنـاك مـن فواتير لـم ندفعهـا بعـد. وتوجّهـت إلى أبي الوليـد قائلاً:

«إذا كان لديـك يـا أبـا الوليـد فواتير بعد لـم تدفع فوقّـع عليها»، بمـا في ذلك الفواتـير السّـخيفة الّـتي ادّعاها بشـير الجميّل (فواتـير الكهرباء).

وعندما سئلت: هل أفاوض لفكّ اشتباك كامل أم لفكّ نقاط ؟ قلت:

«فـك اشـتباك كامـل وإلّا فلا انسـحاب». أمّا العـدوّ الإسرائيـليّ وحبيب فقد فاوضـني بالنّـار وبالفانتوم وبالقنابل الانشـطارية والقنـص بالطّائرات.

لـم يكـن مـن الممكـن خـروج قـوّات الثّـورة الفلسـطينيّة بالضّغـط الإسرائيـليّ أو بالمفـاوض الأمـيركيّ ولا بالصّمـت العـربيّ.

لقـد خرجـت قوّاتنا مـن بيروت من أجـل بـيروت وأطفالها ونسـائها ورجالها، و الّذيـن أعطونـا أكـثر ممّا يمكن أنّ يعطيه أيّ شـعب في العالم لشـعب شـقيق.

لقـد قاسـمونا رغيـف الخبز مغمّسـاً بـالدّم والبـارود، قاسـمونا لحد الشّـهيد، وكـم كنـت أتمـنّى لـو أنّ بـيروت كانت مدينـة فلسـطينيّة حـتّى لا أخـرج منها... بـيروت تتجـدّد على أيّ حـال في ولادة قوّاتنـا العسـكريّة، ويتعملـق العمـلاق أكثر فأكـثر كلمـا حافظنـا على منجزات صمـود بـيروت، بيروت الّـتي غاب عنهـا العرب

في أحلك لحظاتها، وماذا أقول عن غيابهم... فبيروت كانت كاشفة «العورات العربيّة»، «آه.. ويكفي.. ويكفي أن أقول آه..» .

إنّ النّفق المظلم الّذي كنت أتحدّث عنه باستمرار، دخلته بيروت معي، دخلت بيروت هذا النّفق لمدة تسعة وسبعين يوماً، وللدّقّة ثمانين يوماً، لأنّ بيروت هي الّتي تلقّت أولى ضربات الحرب في غارات الرّابع من حزيران على المدينة الرّياضيّة والمخيمّات... بيروت دخلت معي هذا النفق برجالها ونسائها وأطفالها... هذا النّفق الّذي حذّرت منه طويلاً دخلته معي أيضاً القوّات المشتركة اللبنانيّة -الفلسطينيّة، ولقد قلت في بيروت ما تستحقه هذه المدينة العظيمة لقد قلت:

«أيها المجد اركع لبيروت»، وقد استحقت منّي بيروت قبل أن أغادرها (وسام بيروت المجاهدة) الّذي منحته لها باسم القوّات المسلحة الفلسطينيّة وباسم م.ت.ف... هذا الوسام الذي استحدثناه في منظّمة التّحرير لكلّ من دافع عن بيروت ولكلّ من صمد فيها، حيث سلّمت هذا الوسام قبل مغادرتي لإخوتي من أهل بيروت الكرام الّذين خرجوا لوداعي، لن أنسى تلك اللحظات لسماحة المفتي خالد، ولرؤساء الوزراء السّابقين.

سلّمت وسام بيروت مع رسالة وجهتها لأهلها نشرتها الصّحف في اليوم التّالي لرحيلي عن بيروت، الّتي دخلت التّاريخ من أوسع أبوابه، وقف أمامها قاتل الأطفال والنّساء شارون الجبان عاجزاً عن احتلالها رغم ما بجوزته من معدات أمريكيّة ضخمة، فشل شارون أنّ يقتحم بيروت عندنا كان هؤلاء الأبطال من القوّات المشتركة يزورون حضرتها في جلسة من ليل رحيلنا، وبتواطئ من الإدارة الأمريكيّة سفح القاتل دم المدينة الشّامخة بعد خروجنا منها.

في ذلـك اليـوم كنـتُ في رومـا، وكان لي يومهـا لقـاء مـع وزيـر الخارجيّـة الإيطـاليّ، حيـث قلـت له:

«أنـت مسـؤول عن المذبحـة القادمة ضـدّ أهل بـيروت»، ولم أكن أتصـوّر أنّ المذبحـة سـتقتصر على مخيمّي صبرا وشـاتيلا.

طبعـا أعـرف لمـاذا اختـاروا صـبرا وشـاتيلا، وهمـا مركـزا قيادتنـا ورمـزا ثورتنـا، قلـت لوزيـر الخارجيـة الإيطـالي:

«بـأيّ حـقّ تسـحبون قوّاتكـم مـن بـيروت دون أن تبلغـوني، لقـد سـلّمت المدينـة لكـم قبل خـروجي منهـا، ولم أسـلّمها للجيـش اللبنـانيّ، سـلّمت المدينة للقـوّات الثّلاث المتعددّة الجنسـيات: **الفرنسـيّة والايطاليّـة والأمريكيّة ولأربعة وخمسـين مراقبـاً دوليّـاً**، فكيف حصـل ماحصل..»؟

قال الوزير الإيطاليّ:

«لقـد مـورس علينـا ضغـط أمريكـيّ»، وأيضـاً أوضـح لي الوزيـر الإيطاليّ عمليّـات الضّغـط الّـتي مارسـها فيليـب حبيـب، وقال:

«راجعـت بنفسي شـولتز فقال لي: سـوف نرحـل؛ لأنّنا لا نريـد البقاء في هذه المدينة ولا نتحمل مسـؤوليّة ما سـيجري في هـذه المدينة».

وبعـد مـرور أيـام على المذبحة التقيـتُ شيسـون، وحملته مسـؤولية ما حصل، فقال:

«إنّ ضغطـا أمريكيّـا مـورس عليهـم للخـروج مـن المدينة»، وهـذا الكلام موجـود في محـاضر جلسـتين رسـميتين بيـني وبـين وزيـر الخارجيّة الفرنـسيّ حيث كان كلّ منهـا على حـدة.

اجـتزتُ الشّـارع الّذي يضـمّ بيـتي الّذي يقابـل جامعـة بـيروت العربيّة، وفي نهايتـه ومقابـل قاعـة جمال عبـد النّاصر يقـع مبنى مؤسّسـة «صامـد» الّذي قصفته الطّائـرات الإسرائيليّـة وكأنّـه قاعـدة عسـكريّة، التقيـت أثناء سـيري عـدداً من الإخـوة، تبادلنـا البسـمات الغامضـة أو البلهـاء أو الحزينـة مع تمتمـة كلمات دون التّوقـف عنـد معانيهـا... وصلـت مبـنى «صامد» ونظـرت إلى ما نسـميه بنايـة (أبو إيـاد) أيضـا المنهـارة، وامتـدّ نظري إلى شـارع عفيـف الطّيبي وحلويـات (أبو علي) ومعـرض صامـد، وفي نهايتـه مسـجد المرابطين هـو ما سـمّوه مسـجد عبدالنّاصر.

كانـت الحركـة فيه قويّـة أكثر من الأيـام الأخـرى، فالجميع يريد وداع نفسـه أوّلا قبـل الأماكـن، نظـرت إلى الشّـارع التّـالي حيث وكالـة الأنباء الفلسـطينيّة والعلاقـات الخارجيّـة لفتـح، وكأنـنّي أريـد أن أحمـل في عيـني بقايـا الأماكـن... ليـس للذّاكـرة بـل لتضمهـا عينـاي وداعا... وهـذه ليسـت بـيروت بـل هي بعـض روحنـا وذكرياتنـا ومواقـع خطواتنـا وروائـح أعتدنـا عليها.

نظـرت لمبـنى «صامـد»، وبسرعـة مذهلـة مـرّ شريـط معتـم ولامـع وقلـق وقهـر في آن أمـام ناظـري... كنـت أرى نهايـة العالـم... كنـت قلقـا، حـذرا، وكان هنـاك صـوراً مرتجـة غـير واضحـة المعالـم، تجمّع حـولي بعـض العاملـين في صامد والملتصقـين بتلـك الشّـوارع... فالـكلّ كان يـودع نفسـه والجميـع... ووقفـت أودّع قافلـة مـن المقاتلين في شـاحنة خرجت مـن الملعب البـلديّ المجاور، حيـث تتجمّع الشّـاحنات العسـكريّة اللبنانيّـة تحمـل أولئـك الّذيـن حفـروا اسـم فلسـطين على الصّخـور والشّـوارع، وعلى لوحـات النّحـاس في القسـم الفـنيّ لصامـد.

كنـت أشـوّح بيـديّ لأولئـك الرّجـال دون أن أعرفهـم واقترن احمـرار عيني بحركـة يـدي مـودعاً... فلقد كنـت أودع نفـسي أيضاً.

حـان وقـت الرحيـل... لا أدري لمـاذا لا يهـدأ جسـدي فهـو يرتجـف بـدون حركـة الارتجـاف، العـشرات يرمـون عليك كلمـات الوداع، وتسـتقبلها بابتسـامة لا معـنى لهـا إلّا الشّـعور أنـك فقدت وتفقد شـيئاً غاليا ليـس له علاقـة بالماديّات بـل هـو جزء مـن الـروح، ومن فـراغ في العقل بحيـث لا تسـمح ولا ترى مـا تفكر فيـه... وداعاً بـيروت أيّتهـا العاشـقة والمعشـوقة... وداعاً بـيروت يـا صاحبـة الفـلّ والغاردينيـا والأر بي جي.

وداعاً بـيروت لأنّـك حملـت كلّ أسرارنـا الصغـيرة والكبـيرة دون تذمـر أو رفـض...

وداعاً بيروت الزّهور والكلمات الرّقيقة جّداً والّتي يخاف من قولها.

وداعاً بيروت مخزون مشاعر الإنسان وقسوته ورقته في آن.

وداعاً بـيروت البـشر، والحجر، والشّـجر، والجبـل، والبحر الممتّـد حتّى حدود فلسـطيننا... وداعاً يـا جـزءا مـن قلـبي تركتـه هنـاك، وتركـت العديد مـن قطرات الدّمـع موزّعـة بين الواقـع والحلم الذي أدخلنـا وأخرجنا من بـيروت.. وداعا بيروت..

وداعاً بيروت... لقد آن وقت الرّحيل

بعد استكمال الاتّفاق وتفاصيله مع فيليب حبيب بدأ الإستعداد للرّحيل... وبدأنا عمليّة الوداع، أهلنا واصدقاؤنا من الفلسطينيين وطبعاً كانت عمليّة الوداع الأولى للأخ أبو عمّار في رحلته، حيث عرض عليّ الأخ أبو عمّار البقاء معه ومرافقته في رحلته وقال:

«أنا ياخوي عايزك جنبي، لكن إذا أردتّ الذّهاب إلى سوريّا أو الأردنّ مؤقّتاً فأنت أدرس ذلك».

شعرت آنذاك أنّ (أبا عمّار) بحاجة إلى روح رفاقه فقط، كلّ رفاق دربه، فهو صاحب القرار الأوّل، وهو في حاجة بعد هذه المرحلة ليكون في (قلب السّكون) ليرسم ملامح المرحلة المقبلة، فردّدت، وقلت له:

«أنا ذاهب الآن إلى سوريّا، ومن هناك سأفكّر في مكان آخر، وطبعاً بالتّشاور معك».

تضاربت وتصارعت الأفكار في رأسي، فقلبي يخفق بسرعة أكبر مع كلّ ساعة جديدة، وعقلي موزّع الاهتمام، ومشيت من مقرّ العمليّات إلى بيتي الّذي لا يبعد إلّا عشرات الأمتار عن مقرّ أبو عمّار، وقبّلت العشرات من الأشخاص وأكثرهم لا أعرفهم وأوّل مرّة أراهم، لكنّه الوداع.

كان وجهي يستقبلّ القبلات بصوت وبدون صوت، ولم أعد أشتمّ الرّوائح؛ لأنّ حاسّة الشّم فقدت في أنفي الّذي أغلق، وأعتقد أنّ هذا جيّد لأنّني لم أتوقّف عن إعطاء وأخذ القبل دون أن يظهر على وجهي أيّ تذمّر أو شكوى. بكيتُ بحرقة حتّى

كاد أن يُسمع صوت بكائي... كنت بحاجة ماسّة لهذا البكاء، رغم أنّني لم أعرف تماماً لماذا أبكي رغم وجود عشرات الأسباب الّتي تنتظر حصّتها من بكائي.

لقدّ كانت بيروت قطعة منّي، كما هي لكلّ المقاومين الفلسطينيين، فلقدّ عشقت المدينة العتيقة والحديثة وشوارعها وزواريبها ولغة أهلها ورقّة الحديث الّذي يمسك الرّوح بجماله وحرّيّة التّعبير فيه، أحببت تنوّع أحيائها، حيث مخيّماتنا فيها كانت تجلس في قلوبنا، ورغم الحذر كنّا نجتاز شوارعها من الحمرا حتّى عين المريسة إلى الكورنيش الممتدّ من فندق السّان جورج وحتّى الرّملة البيضاء على حدود الأوزاعيّ.

كان الحمام العسكريّ والروشة يأخذان الاهتمام الخاصّ، فكان هناك لغة خاصّة لأصحاب عقود الفلّ والغاردينا، وكان لديهم جرأة في الحديث مع العشّاق، وغيرهم، وكانت لغة العرض تعيدنا إلى مرحلة الشّباب الأولى.

كانت بيروت تودّع شهداءها وتقيم أعراسها في نفس الوقت... كانت بيروت جزءاً من الحياة والحبّ والفداء والموت والشّهادة... كانت بيروت حاضرة قبل كلّ مدن العالم... لهذا أكرّر إنّني عاشق لبيروت الّتي لم أنل الشّهادة فيها رغم أنّ القذائف كانت تسقط حيثما نكون أيام الغزو البربريّ الإسرائيليّ، وبعد مغادرتنا بدقائق وأحياناً بثوانٍ حيث يلحقنا غبارها متوعّداً.

كانت أصوات القصف الجّويّ والبحريّ والبريّ تصمّ الآذان يوميّاً، حتّى أصبحنا نعدّها ونجمعها في المساء، ولقد أصبحنا نميّز أنواع الطّيران وأنواع الأسلحة والصّواريخ من خلال الصّوت الصّادر عنها، وكذلك أصبحت أميّز أنواع القذائف من الرّاجمات والدّبابات والمدافع وعياراتها، ولمّ أعدّ أستغرب معرفة أطفالنا في المخيّمات لهذه الأسلحة.

لقدّ أصبحت الشّهادة قريبة للنّفس، وليس هناك ردّ فعل عاطفيّ كبير، فكرة وداع الشّهداء وضعتنا على نفس الواقع، فنحن أيضاً مشاريع شهادة، لكنّ أعراس الوداع بالزّغاريد والرّصاص المنطلق بكثافة جفّف الدّموع في مآقينا... وأعتقدّ الآن أنّ جزءاً من بكائي الصّامت واحمرار عينيّ وبكاء أي واحد منا ناتج عن وداع الأحبّة ورفاق الطّريق إلى مقبرة الشّهداء، وها أنا أحتفظ مجدّداً ببكائي وأنا أودّع قوافل رجالنا في الشّاحنات العسكريّة الخارجة من الملعب البلديّ حيث تجمّعت عشرات الشّاحنات ومئات العائلات شباباً وفتيات، وكانت دموع كبار السّن العزيزة تتناثر هنا وهناك وهي أكثر تأثيراً وحرقة في وداع أبنائهم ورفاقهم.

كان وداع الرّجال قاسيّاً، فالدّموع والبكاء الممزوج بالزّغاريد يزيد إدرار الدّموع... ومجدّداً هذا هو الإنسان الفلسطينيّ يقف أمام امتحان إنسانيّته فهو يستطيع البكاء والصّراخ والضّحك المبكيّ... لا أدري لماذا كنت أتمنّى أن يحضّني أحد لحظات ذلك الوداع، لكنّ ليس لي أن أحاول فتح عينيّ المدمعتين وأنفي الّذي انغلق حزناً على نفسي وعلى الشّاحنات ومن فيها... كأن ما يجري حفلة وداع حزينة بدون لقاء.

بيروت اليوم ساكنة بدون أصوات الطّائرات والقذائف والرّصاص... بيروت صامتة حزينة لوداع رجالها، وليس هناك إلّا الصّراخ أو بدون سبب... ويضغط السّائق على دوّاسة الدّيزل فيصدر هديراً أعلى، ودخاناً يغمر المكان... وأنسحب من المكان، وأفكر كيف سيكون وداعي... سأشدّ على نفسي، ولن أبكي أمام عمّال صامد وجموع المودّعين؛ لكيّ أظهر أنّني قويّ، إذ مازال عنديّ بعض القوّة والتّحديّ لأمدّهم بها.

بيروت صامتة وهادئة إلّا من بعض الرّصاصات الّتي تنطلق في الحارات

والزّواريـب تـودّع مقاتـلاً نحـو الشّـاحنات.. وكان يرافـق ذلـك بعـض البـكاء والتنهيـدات وصـورة الأطفـال مرفوعـة على أكتـاف أمّهاتهـم لـوداع الأبّ أو الأخ الذّاهـب إلى المجهـول.

غادرنـا بـيروت في الشّـاحنات إلى سـوريّا، وكان معنـا قيـادات وكـوادر، الأخ أبـو إيـاد وعـدد مـن القيـادات والكـوادر الفلسـطينيّة، كمـا كان معنـا عـدد من كـوادر صامـد مثـل الأخ ماهر الكرد وغـيره وصلنـا اللاذقيّة، وأخذ السّـوريون كلّ الأسـلحة الفرديّـة مـن المقاتلين، وذهبت إلى دمشـق وهناك التقيـت الأخ أبا جهاد. كان اللّقـاء حميميّـاً، وقال ليّ:

«اذهـب إلى الأردنّ»، وعندمـا رأى تـردّدي ورغبـتيّ في البقـاء في سـوريّا أصرّ على ذهـابي إلى الأردنّ، وأنّ هنـاك عمـلاً كثيراً سـنقوم بـه، وأنا سـأذهب إلى الأردنّ أيضـاً، وقال لي:

«أنت لا تعرف سوريّا مثلي، فالأردنّ يختلف».

وفعـلاً انتقلـت إلى الأردنّ بعـد أسـبوع قضينـاه في دمشـق، إلتقينـا بالجميع هنـاك، لأجـد أنّ غالبيتهـم يريـدون المغـادرة إلى بـلاد أخـرى تتواجد فيهـا الثّورة، وأعطيـت تعليماتي لبعـض كادر صامدّ الذّهـاب إلى الأردنّ... ومجـدّداً التقيت الأخ أبـا جهـاد الّذي قال لي:

«كلّ فتـح هي لي، وليـس عنـدي محـاور أو انحيـاز... أتعـرف أنّ (ماجـد أبـو شرار) هـو أقـرب صديـق لي، وهـو مـن الكـوادر العزيـزة عنـدي».

لقـدّ كشـف لي ذلـك عـن الرّجـل القائـد الصّامـت والعمـليّ... وكان ناصحاً حقيقيّـاً لذهـابيّ إلى الأردنّ حيـث لـم أشـعر بالغربـة هناك.

وداع عرفات: زغاريد، بكاء، وإطلاق نار، هتافات، وأناشيد...!

بكى الرّجال والنّساء والأطفال، وردّدوا: «ابق معنا يا أبا عمّار، وبالرّوح بالدّم نفديك يا أبا عمّار». كان رجال الحركة الوطنيّة والرّجال والنّساء واللّبنانيون يصطفون على جانبيّ الطّريق الّذي تحدّد أن يسير عليه موكب (أبو عمّار) المتوجّه إلى الميناء بعد أن غادر (١٤٩٢٨) فلسطينياً بيروت. وحتّى تاريخ ٣٠/ ٨/ ١٩٨٢ حاولت اللّجنة المنظّمة لخروج المقاتلين ومنهم الأخوة أبو الوليد وأبو موسى أن يمنعوا (الأخ أبو عمّار) من الخروج والمغادرة علنا خاصّة وأنّ الجيش الإسرائيليّ يراقب ويتابع كلّ شاحنة وسيّارة ومقاتل في طريق المغادرة، لكنّ (الأخ أبو عمّار) رفض المغادرة متخفيّاً، وقال:

«أنا إنسان قدريّ، والإنسان لا يهرب من قدره، وحماية القيادة تتمّ بخروجها بمراسم علنيّة».

كان العالم كلّه يراقب قائد ومقاتل ورمز من رموز وقادة حركات التّحرير، وقائد الشّعب الفسطينيّ العظيم وهو يغادر بيروت بشموخ.

كان أهلنا في الوطن المحتلّ يراقبون لحظات وداعه، وتمتزج دموعهم بروح الاعتزاز والفخر بالمقاتلين وبقياداتهم الّذين صمدو أكثر من ثمانين يوماً في وجه أقوى جيش في المنطقة، ينظرون إلى سادة الكرامة الفلسطينيّة والعربيّة يغادرون بيروت... وحتّى أمام الشّاشات انطلقت الزّغاريد كما هي حال نساء المخيّمات الفلسطينيّة.

كان المشـهد مثـيراً، فلقـد أعـدّت مراسـم تليـق برئيـس دولة كـبرى.. وقد سـبق ذلـك زيـارة (الأخ أبـو عمّـار) لزعمـاء بـيروت في بيوتهـم، أمّا سـكان بيروت فخرجـوا لـوداع هـذا النّسر الكبـير يحملـون الأعـلام الفلسـطينيّة، ويـردّدون الهتافـات الفلسـطينيّة.

كان الـوداع مؤثّـراً.. كان مزيجـاً مـن الزّغاريـد، والبـكاء، والرّصـاص المنطلق نحـو السّـماء.. والّذي كان يترافـق مـع إشـارة النّـصر.. إشـارة أبي عمّار.

انطلق الموكب المرافق لسـيّارة شـفيق الـوزّان/ رئيس الـوزراء اللّبنانيّ وبجانبه (الأخ أبـو عمّـار) نحـو المينـاء. كان هنـاك ثلّـة مـن جيـش التّحريـر الفلسـطينيّ تصطـف على جانـبيّ الطّريق ترفـع العلم الفلسـطينيّ.

نـزل الأخ أبو عمّار من السّـيارة واتّجـه حيث العلم، وأدّى (تحيّة العلم) وسـط هتافـات الحضور، وأفراد جيش التّحرير الفلسـطينيّ الّذيـن ردّدوا بصوت واحد:

«بالرّوح بالدّم نفديك أبا عمّار».

عاد أبـو عمّـار إلى السّـيارة الّـتي أكملت طريقهـا إلى الميناء. كانت (السّـفينة الأتلانتيـك) الّـتي ترفـع علـم اليونـان بانتظاره.وقبـل صعـوده إليهـا عقـد مؤتمراً صحفيّـاً، وعندما سـأله أحـد الصّحفي:

«إلى أيـن يـا أبا عمّـار بعد بيروت؟» كانـت إجابته سريعة وواثقة، وبابتسـامة عريضة قال:

«أنا ذاهب إلى وطني فلسطين»، وبصوت عالٍ هتف:

«أيّها المجد، لتركع أمام بيروت».

كذلك أعلن في المؤتمر الصّحفيّ أنّه قرّر باسم الجهاد منح كلّ من ساهم في الدّفاع عن مدينة بيروت الباسلة، بيروت المجاهدة وسام الصّمود.

يقول عرفات عن لحظات الوداع لبيروت وأهل بيروت الّذين خرجوا لوداعه: «حين ألقيت النّظرة الأخيرة على المدينة بكيت، كانت تلك من اللّحظات النّادرة في حياتي الّتي جرت فيها دموعي بهذه الغزارة.. إنّ حصار بيروت ومغادرتي لها قد فتحا جرحاً عميقاً في قلبي... نظرت إلى المدينة وأنا على ظهر السّفينة، وشعرت كأنّني طائر مذبوح يتخبّط في دمه».

كان مشهد خروج أبا عمّار أمام العالم الّذي يتابع لحظة خروج قائد عظيم، تحدّى هذه الغطرسة والقوة الغاشمة العدوانيّة الإسرائيليّة يؤكّد على حقيقة واحدة هي:

إنّ الشّعب الفلسطينيّ عظيم في عطائه وفي نضاله وفي إيمانه، وفي نفس الوقت كان مناحيم بيغن وآرئيل شارون لا يستطيعان الصّراخ من قسوة المشهد عليهما، فلقد وضعا ثلاثة قنّاصين لاغتيال أبي عمّار، ولم يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً وقد خرج أمامهم باستعراض ومراسم تليق به وبصمود رجاله وشعبه، وفي نفس الوقت كانت الشّعوب العربيّة تشعر بالزّهو لهذا القائد وهذا الانتصار.

إنّنا -إذا نسينا- لا يمكن أن ننسى لحظة صعود الأخ أبي عمّار إلى الباخرة، حيث كان موريس درايبر يقف على سطح مبنى كهرباء لبنان الّذي يشرف على الميناء، فليس من السّهل على هذا الدّبلوماسيّ الأمريكيّ أن يغفل عن مشاهدة هذا الحدث الأهمّ، ورؤية هذا القائد الّذي قاد مجموعة بسيطة من المقاتلين، الّذين تحدّوا الجيش الإسرائيليّ لأكثر من ثلاثة وثمانين يوماً.

وفي لحظات وداع القائد لبيروت لا يمكن أن ننسى كذلك العواصم

العربيّـة الّـتي وافقـت على اسـتقبال المقاتليين الفلسـطينيين والّتي كانـت جماهيرها تنـثر الـورود والأرزّ والهتافـات عليهـم في شـوارع عواصـم تلـك الدّول حـتّى أنّ الرّئيـس السـابق لليمـن الجنـوبيّ علي ناصر محمـد وقف يطلـق النّار من رشّـاش في يـده أثناء اسـتقبال هؤلاء الأبطال الّذيـن كانوا عنـوان العنفوان والكرامـة العربيّة.

كان هـذا الصّمـود العظيـم خـالداً بعـد حـروب العـرب مـع إسرائيـل، وبعد معركـة الكرامـة الخـالدة، واجتيـاح اللّيطـانيّ الأوّل، والقتـال المتبـادل على الحـدود اللّبنانيّـة، لكـنّ هـذا الانتصار كان يعـدّ في تاريـخ القضيّة أطول الحـروب العربيّة الإسرائيليّة.

يقول رئيس هيئة الأركان الإسرائيليّة رفائيل إيتان في مذكراته:

«لقـد اسـتهنّا بالفلسـطينيين في لبنـان، لكنّهـم فاجأونـا وأوقعوا بنا خسـائر جسـيمة، يجـب أن نقول لأنفسـنا:

«إنّ الفلسـطينيين لـم يرفعـوا أيديهـم ولا أرجلهـم، لقـد حاربـوا بصـورة معقولـة، وكبّدونـا خسـائر في الأرواح والمعـدّات، كان ذلـك تصرّفاً منهـم لم نتوقعه منـذ البدايـة، لذا يجـب أن نـدرك ذلك».

الاجتياح الإسرائيليّ عام ١٩٨٢
النّتائج العسكريّة والسّياسيّة

منذ بداية الاجتياح وإظهار القوّة العسكريّة الإسرائيليّة واستعراضها، والثّقة بأنّ هذه القوّة لا يلزمها أكثر من (٤٨) ساعة للانتهاء من مهمّتها الّتي خدعت بها المجتمع الإسرائيليّ، وتحت عنوان لا يخلو من الابتزاز والاستغلال للمجتمع الإسرائيليّ، والتّأييد المطلق من كلّ الأحزاب الحليفة والمعارضة للحكومة الإسرائيليّة، كانت الصّدفة الأولى بأن فقدت هذه القوّة السّرعة في الحركة من رأس النّاقورة باتّجاه صور بعديدها وعتادها، فارتال الدّبّابات والآليات وقعت في أوّل الكمائن الفلسطينيّة في منطقة البيّاضة المحاذية والمشرفة على مخيّم الرّشيديّة الّذي كان جاهزاً للمواجهة.

لقد حشدت إسرائيل المجتمع الإسرائيليّ، وحازت على مباركة الولايات المتّحدة عبر وزير خارجيّتها الكسندر هيج والعديد من الدّول الغربيّة من أجل اجتثاث م.ت.ف في لبنان وأوّلاً لإبعاد مدفعيّتها وصواريخها (٤٥) كيلومتر شمالاً، حتّى لا تصل قذائفها إلى الجّليل والمستوطنات الشّماليّة المحاذيّة للحدود مع لبنان.

كانت هذه المسافة المعلنة للدّاخل الإسرائيليّ (٤٥) كيلومتراً وللعالم هي الهدف الاستراتيجيّ لهذا الهجوم، والمدّة الزمنيّة اللازمة ٤٨ ساعة، ثم مُدّدت إلى ٧٢ ساعة.

وبالطّبع فإنّ القيادة الإسرائيليّة كانت تنظر إلى الدّوّل العربيّة وجيوشها باحتقار، حتّى الجّيش السّوريّ لم يكن في نظر الاسرائيليين له أيّة مكانة كما عبّر عن ذلك شمعون بيريز أثناء لقاء جنبلاط في المختارة عندما قال بأنّه يمكن سحق الجّيش السّوريّ في لبنان في يوم واحد.

لكنّ إسرائيل وقعت في صدمة قوّيّة عندما كانت تعتقد أنّ مقاتليّ م.ت.ف أضعف من أن يصمدوا لساعات في وجه القوّة الإسرائيليّة، ووجدت الإجابة صموداً مذهلاً فاعلاً مقاوماً متحدّيّاً يسقط في كلّ متر تتقدّم فيه الجحافل الإسرائيليّة خسائر في الأرواح والعتاد.

ورغم المحاور الثّلاثة الّتي فتحتها القوّات الإسرائيليّة سواء محور السّاحل أو الوسط أو المحور الشّرقيّ المحاذيّ للقوّات السّوريّة لأنّ المحور السّاحليّ وهو الأهم والّذي يوجد فيه الفلسطينيون كان الأقسى والأشدّ على القوّات الإسرائيليّة فلقد استوعب أبطال مخيّميّ الرّشيديّة، والبرج الشّماليّ الصّدمة الأولى بإسقاط العديد من الجّنود الإسرائيليين قتلى وجرحى، وتجلّى إبداع المقاومة في عنصر أشبال الآر بي جي كما سمّاهم أبو عمّار في إيقاف كتيبة دبّابات كاملة على مدخل المخيّم، وتدمير العديد منها. وهكذا تعاملت مدينة صور مع المحتلين. كانت هذه الخسائر مؤشّراً لما سيأتي لاحقاً، وبالفعل رغم اتّخاذ قرار الإسراع بالتّوجّه نحو الشّمال نحو صيدا وعمليّة الإنزال الكبرى على النّهر الأولي شمال صيدا إلّا أنّ الكمائن الخلفيّة كبّدّت العدوّ خسائر فادحة لم يكن ينتظرها، فأوقفت سرعة اندفاعه لمعالجة هذا الواقع الجّديد، وكان الّليل كلّه للمقاومين، وفي النّهار تكون المواجهة.

زادت إسرئيل عدد القوّات المشاركة حتّى بلغ الرّقم (١٢٠ ألف) جنديّ وضابط من كافّة القطاعات سواء المدرّعات والوحدات الميكانيكيّة والوحدات

الخاصّـة والمظليـين والمدفعيّـة والهندسـة والصّواريـخ المتعـدّد الأهـداف والأنـواع ووحـدات فنيّة ومؤخرات، وإشـارة والكترون وكيمياء وتسـليح واسـتطلاع وأخرى.

لقـد اشـترك سـلاح الجـوّ الإسرائيليّ كامـلاً في المعـارك والقصـف الممتدّ من رأس النّاقـورة حـتّى بـيروت وطبعـاً مواقـع الجيّـش السّـوريّ في البقـاع، وكذلك لم يسـلّم مخيّمـا نهر البـارد والبدّاوي في شـمال لبنان، كما اشـترك كلّ سـلاح البحريّة في عمليّـات القصـف المتواصـل لـكلّ السّـاحل اللّبنانيّ مـن الجّنوب حـتّى بيروت.

ومـع تقـدّم القـوّات الإسرائيليّـة نحـو الشّـمال وحـتّى الأولي شـمال صيـدا منيـت القـوّات الإسرائيليّـة العادية بخسـائر كبـيرة في الأرواح والمعـدّات، وكانت الاخبـار السّـيّئة تصـل الجمهـور الإسرائيـليّ والمعارضـة أوّلاً بـأوّل، وبـدأ المجتمع الإسرائيـليّ يسـتفيق وكذلـك المعارضـة وظهـر أنّ الأمر ليـس نزهة كما صـوّر لهم شـارون وإيتـان وبـدأ التّذمّـر مـع وصـول كلّ جثّـة لجنـديّ أو ضابـط، وأصبحت الجنّـازات يوميّـة وشـملت غالبيّـة مناطـق فلسـطين المحتلّة.

وكانـت حصيلـة قتـلى قلعـة الشّـقيف عنوانـاً لمـا سـيأتي، فالرّقـم مذهـل للإسرائيليـين فـإذا كان موقعـاً واحـداً قـد أسـقط هـذا العـدّد الكبـير مـن القتلى ضبّاطـاً وجنـوداً، فمعناه الاسـتعداد لاسـتقبال عدد أكـبر من الجثث. يقول شـارون في مذكرّاتـه:

«يعتـبر بيغـن أنّـه لا داعي للإفصاح عن الشّـعور الّذي انتابه عندمـا ورده نبأ سـقوط جنودنا في المعارك».

لقدّ أصبح الإسرائيليون يشـكّون في أهداف شـارون، وعـبّر الضّباط والجّنود عـن حالتهـم النّفسـيّة في الحـرب وأهدافها، وهـل تسـتحق الضّحايا الّـتي تدفع من أجلهـا، وقال عدد كبـير منهم:

«ماذا لو لم يكن لدينا سلاح جوّ متميز؟ ماذا سيكون حالنا في مواجهة الفلسطينيين الّذين يقاتلوننا بشجاعة وبسلاح رهيب اسمه الآر بي جي؟ يقول بوجي يعلون عن هذه الحالة: لا شكّ بأن الانطباع بأنّ الحرب خلقت داخل أرض إسرائيل نقطة تحوّل قويّة جدّاً حتّى اليوم على وضعنا الأمنيّ وعلى الطّريق الّتي ينظر لنا بها جيراننا، ذلك لأنّ الاحتجاجات الدّاخليّة وعدد القتلى أدّت إلى الانسحاب من لبنان، والّذي ظهر كانسحاب نتيجة ضعف».

لقد وصل تعداد القوّات الإسرائيليّة في المعارك حتّى حصار بيروت ما بين ١٥٠-٢٠٠ ألف ضابط وجنديّ من الرّتب والاختصاصات والاسلحة الحديثة والمختلفة كافّة.

يقول روفائيل إيتان:

«نشأت ظروف تمخّضت عنها ظواهر غير ايجابيّة إثر الانقسام الّذي حدث بشأن الحرب في أوساط الشّعب والجيّش أيضاً بضبّاطه وجنوده فالجّدال كان حول ما إذا كانت الحرب ضروريّة أم لا..؟ وهل حقّقت أهدافها أوّلاً..؟ وهل تساوي ثمن ضحاياها أم لا..؟» حيث بلغت خسائر إسرائيل (٣٤٩) قتيلاً و(٢١٢٧) جريحاً بحسب المعلومات الصّادرة من وزارة الدّفاع الإسرائيليّة في ١٩٩٨/٩/٢ وكانت الصّحف الإسرائيليّة قد ذكرت أرقام أكبر بين سنة ١٩٨٢ وسنة ١٩٨٤، فقد ذكرت صحيفة هآرتس في ١٩٨٤/٥/٣ أنّ خسائر إسرائيل (٦٠٠) قتيل، و٣٥٠٠ جريح منهم ٢٠٠ معوّق، وبلغت تكلفة هذه الحرب ما بين (٢,٥مليار) دولار و(٤) مليارات دولار.

كذلك انتشرت ظاهرة الانتحار في صفوف الجيّش الإسرائيليّ، وازداد عدد الّذين يرفضون الخدمة في صفوف الجيّش، إلى جانب حالة التّردّد في خوض

القتـال، وكذلـك محاولـة الجنّـود التّهـرّب من القتـال في الخطـوط الأماميّـة والعمل في وحـدات اداريّـة، وبلـغ عـدد الرّافضـين الخدمة في لبنـان (١٤٣) ضابطـاً وجنديّاً حسـب ما ذكـرت صحيفة دافار في ١٩٨٤/١٢/٣١، وحوكم الكثيرون وسـجنوا بسـبب هـذا الرّفـض. وانتحـر في السّـنوات مـا بـين ١٩٨٢ و ١٩٨٤ حـواليّ واحـد وعشرين جنديّـاً حسـب المصـادر الإسرائيليّـة نتيجـة للحـالات والأزمـات النّفسـيّة الّـتي عاناهـا الجنّـود. وعلـقّ رئيـس الوزراء إسـحق رابـين على الحـرب بقوله:

«إنّ السّـلام يحمـل في طيّاتـه مخاطر جسـيمة، لكنّ بصفتي الشّـخصيّة فلقدّ قـدت النّضال في إسرائيل سـواء كجنـديّ في ميدان القتـال أو كدبلوماسيّ ورئيس وزراء في مجـال المفاوضـات فإنّـه ليـس لديّ أيّ شـكّ بـأنّ أخطـار السّـلام أفضـل ألـف مرّة مـن أيّ حرب مهمـا كانت نتائجهـا...!»

ونتيجـة لهـذه الحرب أيضـاً، وفي أوائـل عام ١٩٨٤م، اعتزل مناحيـم بيغن بعد اعتـكاف اسـتمرّ عدّة أشـهر، وذكـر أنّه أصيـب بالإحبـاط والاكتئـاب وأجبر وزير الدّفـاع شـارون على الاسـتقالة بعـد أن أدانتـه هيئة القضـاء في قضيّة مجـزرة صبرا وشـاتيلّا، وكذلـك اعتزل روفائيـل إيتان.

نتائج هذه الحرب على الصّعيد الفلسطينيّ

لا يمكـن لنا حسـاب الرّبح والخسـارة في مثل معركة لبنـان ولكنّ يمكننا تجميـع النّقـاط السّـلبيّة والايجابيّـة، لقـدّ دمّرالعـدوّ مخيّماتنـا وخاصّـة في الجّنوب، نظـراً لأنّ بيوتهـا مـن اللـبن وأسـطحها مـن الصفيـح والزّينكـو والقليـل منها من الأسـمنت، فـكان منظرهـا كأنّ زلـزالاً مـرّ مـن جانبهـا، أمّـا معركـة عـين الحلـوة صيـدا فقـدّ كبّدت العـدوّ خسـائر حقيقيّة وقدّمـت أيضـاً الشّـهداء والتّضحيّات وهـذا ما اصـاب معظم المخيّمـات الفلسـطينيّة، وبالطّبع الخسـائر الماديّة وشـهداء لبنـان في مواقعهـم وقراهـم وبلداتهـم الجّنوبيّـة... كانت الخسـائر الماديّـة والبشريّة كبـيرة، لكنّنـا أيضاً لـم ننهزم.

لقـدّ حقّقنـا نقاطاً هامّة في هـذه الحرب، ونحـن نعلم أنّ إسرائيـل قدّ حقّقت توسّـعاً في حروبهـا السّـابقة، وبالطّبـع لم نكن نتوهـم أنّ لدينا القـدرة على مواجهة أقـوى جيـش في المنطقـة ونحن لسـنا على أرضنا وبنانـا التّحتيّة في مخيّماتنـا لا تقدّم ولا تؤخّـر شـيئاً، لكـنّ معركتنـا هـذه كانـت أطـول المعـارك العربيّـة الإسرائيليّة وأيضاً كبّدت العدوّ خسـائر في الأرواح والمعدّات بشـكل صدم العقليّة العسـكريّة الإسرائيليّـة... فلقدّ حقّقنـا ما يلي:

- كانـت معنوياتنـا وروحنا القتاليّـة طيلة مـدّة الحرب مرتفعة جـدّاً، في حين كانـت معنويـات جنـود وضبّـاط العدوّ سـيئة، وخاصّـة بعد صدمـة مخيّمات الجنـوب وصـور، والصّدمـة القويّـة في معركـة الشّـقيف الّـتي فرضـت على شـارون وبيغن الكـذب على الإسرائيليين، ولـم يتحدّثوا علناً عن الخسـائر...

وحتّى نهاية المعارك كانت حركتنا حيويّة وحاضرة ومؤثّرة.

- وقف العالم كلّه حتّى غير الحليف إلى جانبنا ضدّ الغزوّ الإسرائيليّ، وخرجت المسيرات في الدّوّل الأجنبيّة تندّد بهذا الغزوّ ومع الأسف كان ممنوعاً على الشّعوب العربيّة أن تتحرّك وتتظاهر.

- لقدّ أدّت هذه المعارك إلى إحداث إنقسام في المجتمع الإسرائيليّ بين معادٍ ومؤيّد لهذه الحرب، وظهرت أصوات تنادي بمحاكمة حكومة بيغن، كما خرجت العديد من المظاهرات في إسرائيل ضدّ هذه الحرب بعد أن بدأت التّوابيت تصل تباعاً، وبدا العالم يستنكر بكلّ الأوصاف هذا العدوان.

- لقد أحبط قادة العدوّ، وكانت ردّات فعلهم تعكس حالة من الإكتئاب، وأمامهم يسقط العشرات من ضبّاطهم وجنودهم، والعديد من جنودهم أصبحوا يرفضون الخدمة في الجّيش المشارك في المعارك.

- أصبح واضحاً، لأوّل مرّة، للمجتمع الإسرائيليّ إنّ قراره قدّ تمّت مصادرته، فلم يصوّت الكنّيست على هذه الحرب، والقرارت المتعلقة بها الّتي كانت بيد بيغن وشارون، وتمّ مصادرة رأيّ المجتمع الإسرائيليّ كله.

أمّا نحن نبالغ في الإدّعاء إذا قلنا: إنّنا انتصرنا في هذه الحرب وصمدنا صموداً بطوليّاً وفي نفس الوقت لم ينتصر الإسرائيليون ووقفوا على أبواب بيروت رغم كل أسلحتهم المتطوّرة، أمّا نحن فخرجنا وأسلحتنا في أكتافنا ورغم توزّعنا على بعض الدّوّل العربيّة فمن اليوم الأوّل لوصولنا بدأ اعداد معسكراتنا وتدريبنا مجدّداً وكأنّنا على الحدود مع فلسطين، ولهذا قيل لشارون:

«هل تعتبر أنّ مقتل ستمائة جنديّ إسرائيليّ -هذا ما أعلن عنه

الإسرئيليون (والرّقم أكثر من ذلك)- واصابة الآلاف غيرهم وتلطيخ سمعة إسرائيل، وإنفاق بليونيّ دولار هو ثمن مناسب لخروج عرفات ورجّالّه مرفوعيّ الرّأس من بيروت وهل تسمى ذلك نصراً؟»

لم تستطع هذه القوّة الغاشمة قتل ياسر عرفات، ولم تستطع كذلك القضاء على منظمة التّحرير الفلسطينيّة أهمّ أهداف هذه الحرب، ولم نخرج من بيروت لولا قيادات المجتمع اللبنانيّ وخاصّة السّنيّ منه، وتشجيع من بعض الدّوّل العربيّة...

لم تقتل قياداتنا، وعندما سُئل عرفات إلى أين قال:

«إلى فلسطين».

لقدّ واجهنا عدوّنا في البرّ والبحرّ والجوّ، وأسقطنا طائرة حديثة وأسرنا قائدها، وكذلك أسقطنا طائرة مروحيّة وأصبنا العديد منها، وأوقعنا في العدوّ خسائر في الأرواح والمعدّات ولم يستطيعوا التّقدّم في بيروت إلّا بعد وقوع القتلي عند كلّ شبرّ يتقدمونه، لقدّ خضنا أقوى معركة مع العدوّ في تاريخ الحروب العربيّة وعند خروجنا من بيروت كنّا مرفوعيّ الرّأس، وليس عبر بوابّة الصّليب الأحمر حاملين الرّايات البيضاء.

كانت هذه الحرب لنا مزيجاً من الألم لفقدان الأحبّة وكانت صموداً عظيماً أيضاً وكانت أملاً بالمستقبل.

لا يمكن تجاوز الحديث عن خسائر اللبنانيين والسّوريين في هذه الحرب، لقدّ أجاب ياسر عرفات على سؤال لمراسل مجلّة هعولام الإسرائيليّة وهو كمّ شخصّاً قتل في هذه المعركة، فأجابه عرفات:

«أنا من جانبي فقدّ أعلنت عدد خسائرنا، حيث قتل وجرح لدينا ثلاثون ألفاً»، ولم يوضّح عرفات إذا كان هذا الرّقم خسائر فلسطينيّة أم خسائر فلسطينيّة لبنانيّة مدنيّة.

في نوفمبر ١٩٨٢ وبناءً على أرقام صادرة عن الصّليب الأحمر اللبنانيّ فلقدّ كانت الخسائر ١٩,٠٨٥ قتيلاً و ٣١,٩١٥ جريحاً، وقدّرّ عدد النّازحين ب ٥٠٠,٠٠٠ نازح منهم ١٠٠,٠٠٠ لجاؤا إلى القسم الغربيّ من بيروت وتوزّع الباقون في مناطق شمال لبنان وفي البقاع وفي الخارج.

من ناحية أخرى صحيفة «صندي تايمز» اللندنيّة قالت في تقرير لها: أنّه حتّى تاريخ ٦/ آب أغسطس ١٩٨٢ أيّ أوّل شهرين من الاجتياح أصابت المدفعيّة الإسرائيليّة خمسة مبان تابعة للأمم المتّحدّة، و١٣٤ سفارة ومساكن لعدد من الدّبلوماسيين، وستّة مستشفيات وست عيادات طبيّة ومعهداً واحداً للأمراض العقليّة، ومصرف لبنان المركزيّ وخمسة فنادق، ومقرّ الصّليب الأحمر، ومنازل لا تحصى، وتوقفت حركة السّير كلّيّاً إلى الشّطر الغربي من المدنيين، وقطعت القوّات الإسرائيليّة امدادات الماء والكهرباء والغذاء والمحروقات وضرورات الحياة عن بيروت.

أمّا الموقف العربيّ فقدّ لخّصه الكاتب ديفيد هيرست في كتابه (البندقيّة وغصن الزّيتون) بقوله:

«كان من الأفضل للأنظمة العربيّة لو أنّ عرفات هرب من المعركة، أو أنّ قواتّه انهارت تحت الضّربة الأولى. لم تفعل الأنظمة شيئاً سواء عبر استخدام السّلاح أو بواسطة الدّبلوماسيّة لوقف التّصعيد بواسطة القنابل المقذوفة من البرّ والبحر والجوّ، وجن بيغن عندما علم عن فكرة فيليب حبيب حول التّفاوض

عن قرب مع ياسر عرفات، وقدّ رفض الفكرة كلّها لفهمه أنّ هذا يشكّل اعترافاً أمريكيّاً بمنظمة التّحرير الفلسطينيّة وقدّ كانت فكرة الإتّصال مع عرفات من قبل الرّئيس المصريّ حسني مبارك ورداً على هذا الموقف قامت القوّات الإسرائيليّة بزيادة القصف المدمّر لبيروت، فلقدّ أسقط على بيروت في ١/آب - أغسطس ما لا يقلّ عن خمسين ألف قذيفة وعلى مدى أربع وعشرين ساعة، وفهم فيليب حبيب أنّ هذه محاولة أخيرة لإرباك الخطوة الّتي قام بها وليس لأنّ عرفات أصبح قريباً من المحادثات عبر شفيق الوزّان مع الأمريكيين. لكنّ فيليب حبيب «أيّ أمريكا» حقّق انجازاً جديداً على الصّعيد العربيّ من خلال موافقة تونس على استقبال عرفات، وكذلك قبول القوّات الفلسطينيّة في كلّ من اليمن الشّماليّ والجنوبيّ وكذلك السّودان وسوريا والأردن ومن وجهة النّظر الأمريكيّة ما لخّصه جون بوكين أنّ للقبول العربيّ الأسباب التّاليّة:

- وجدت هذه الدّوّل أنّها لم تعد قادرة على تحمّل نظرة العالم إليها على أنّها واقفة مكتوفة اليدين إلى ما لا نهاية فيما الإسرائيليون يقتلون من العرب في بيروت أكثر فأكثر.

- لم يعدّ في استطاعة القادة العرب تحمّل اعتبارهم عقبات في وجه الحلّ، فيما يتولّى دبلوماسيّ أمريكيّ مهمّة رفع الأثقال وإزالة الحواجز الثّقيلة.

- أدركت الدّوّل العربيّة أنّها ستبدو سيئة إذا حالت دون حدوث الإجلاء في حين أنّ الولايات المتّحدة التزمت بإرسال بعض قوّاتها للإشراف على عمليّة الإجلاء.

- أدركت الحكومات العربيّة أنّها قدّ تواجه انتفاضات ضدّها من المتعاطفين في بلدانها مع م.ت.ف، إن هي تركت قادة المنظمّة ومقاتليها يذبحون في بيروت.

- أنّ تلك الدّوَل وجدت صعوبة في مقاومة الضّغوط من المملكة العربيّة السّعوديّة واغراءات وعودها بتقديم مساعدات اقتصاديّة.

- لم تردّ تلك الحكومات رؤية جنود إسرائيليين يحكمون عاصمة عربيّة.

- إنّ إطالة الوقت لن تؤدّي إلّا إلى تعزيز إمكانيّة عقد المسيحيين اللبنانيين تحالفاً حقيقيّاً مع إسرائيل.

لكنّ مصر اختلفت في رؤيتها عن الدّوَل العربيّة الأخرى، واعتبرت أنّ الولايات المتّحدة وفيليب حبيب ليسا وسيطين صادقين، وقدّ عنونت جميع الصّحف المصريّة افتتاحياتها بهذا العنوان.

لقد أفرغ الإسرائيليون حقدهم بقصف جديد، من خلال مائتين وعشرين طلعة جويّة وأربعاً وأربعين قذيفة أدّت إلى تدمير ثمانمائة منزل، وقتل مئتيّ شخص وجرح أربعمائة شخص، وقدّ لخّص الموقف ضابط من المارينز يقف بجانب فيليب حبيب في منطقة اليرزة حيث القصر الجّمهوريّ ووزارة الدّفاع اللبنانيّة، بقوله:

«إنّ الوضع بدا فعلاً وكأنّها الحرب العالميّة الثّانيّة أمامك: ربّاه كأنّهم يقصفون برلين»... في إشارة إلى الحقد الإسرائيليّ نحو بيروت وكأنّها برلين هتلر.

شارون يعدّ لمذبحة بالتّنسيق مع القوّات اللبنانيّة

في ١٩٨٢/٩/٩ افتتحت القمّة العربيّة في فاس، وبعد استقبال حافل للرّئيس ياسر عرفات تقديراً للصّمود العظيم في وجه القوّات الإسرائيليّة العدوانيّة، حيث كان في استقباله الرّؤساء والملوك العرب الموجودين في المغرب في مؤتمر القمّة العربيّة للتّعبير عن تقديرهم للصّمود الفلسطينيّ في وجه العدوان الإسرائيليّ، ومع الأسف الشّديد لم يشارك في هذا الاستقبال الرّئيس السّوريّ حافظ الأسد الّذي كان يتميّز غيظاً من هذا الاستقبال. ورغم أنّ عدداً من المقرّبين من حافظ الأسد حاولوا سابقاً إنهاء النّظرة العدائيّة له اتّجاه عرفات، إلّا أنّه حوّل الأمور إلى أمور شخصيّة.

وبالطّبع لم يشارك بشير الجميّل في هذه القمّة، وتراجع عن الحضور رغم استلام دعوة رسميّة من الملك المغربيّ زاعماً أنّه لم يتسلّم الرّئاسة اللبنانيّة رسميّاً وطبقاً للمراسم اللبنانيّة.

وفي اليوم التّالي لانعقاد القمّة في ١٩٨٢/٩/١٠ أمر الرّئيس الأمريكيّ ريغان بسحب الجنود الأمريكيين من بيروت، وتحرّكت الكتيبة الأمريكيّة لمشاة البحريّة الأمريكيّة (المارينز) فوراً، وتلا ذلك انسحاب الإيطاليّين في ١٩٨٢/٩/١١، وكذلك انسحاب الفرنسيين يوم ١٩٨٢/٩/١٢، وعادت الطّائرات الإسرائيليّة تحلّق فوق بيروت.

وفي الوقت الّذي كانت تنسحب فيه القوّات الفرنسيّة وصل شارون إلى بيروت ليلتقي بشير الجميّل يرافقه اسحق حوفي حيث استقبلهم في بيته، وتخلّل العشاء حديث عام، وبعد الإنتهاء أبدى بشير الجميّل امتعاضه من طريقة حديث بيغن معه، ومن الإعلان عن اجتماعه مع بيغن في نهاريا على ساحل البحر.

حاول شارون تخفيف حدّة انفعال بشير الجميّل، مبرّراً أنّ سبب ذلك أنّ بيغن لم يسمع كلمة واحدة إيجابيّة بحقّ إسرائيل، وأضاف:

«لقدّ أجريت معك ومع جوني عبدو وفيليب حبيب أربعة وخمسين اجتماعاً، ولقد حلّت بنا خسائر جسيمة. ولقدّ ساعدناكم لأنّكم أمّة صغيرة ونحن أمّة صغيرة»، وكان الأمر تكراراً لنفس الحديث والموقف قبل عامّ ١٩٤٨ بين الإسرائيليين والموارنة، وأعلن شارون - كما ورد في مذكرّاته- عن مساعدة الأكراد عندما هاجمهم العراق وأرسل لهم أطبّاء وضبّاطاً وجنوداً اشتركوا في القتال معهم في الجبّال الى مصطفى البرزانيّ.

وأضاف:

«أنا اعلم أنّ بيغن يحبّك جدّاً، لكنّه تأثّر لعدم صدور أيّ حديث منكم أو من الرّئيس شمعون عن دورنا في دعمكم، ونحن نتعرّض لانتقادات شديدة.. ونحن اليوم نواجه معكم مشكلة أخرى تكمن في مخيميّ صبرا وشاتيّلا، أضف إلى ذلك فإنّ أحمد جبريل ترك ألفي مقاتل في المدينة، لقدّ هاجمنا صورايخ سام ٦ السّوريّة، وسنعاود ذلك، وفرضنا مغادرة (١٥٠٠٠) فلسطينيّ وسوريّ إلّا أنّ هناك من لازال يقوم بالأعمال المختلفة... لقدّ وصل جنودنا إلى منطقة السفارة الكويتيّة وبئر حسن، وأنا أنتظر منكم الاذن للدّخول إلى بيروت وإلى مناطق المخيّمات علماً أنّنا لم ندخلّ لأنّ القوّات المتعدّدة الجّنسيّات فرضت ذلك، والآن وقد غادرت هذه القوّات فإنّنا نريد الأمر منكم».

وهنا ردّ بشير الجميّل:

«إنّكم لا تستطيعون الدّخول» ما لم تقرّر الحكومة اللبنانيّة، وتحدّد هذه الآليّة لهذا الدّخول، وسيتمّ ذلك وسأصدر الأوامر في ١٩٨٢/٩/٢٣ بعد تنصيبيّ رئيساً بشكلّ رسميّ. وأنا أنصح أن لا تدخلوا الآن، وسيساعد الضغط من قبلكم على دخول الجيّش اللبنانيّ إلى بيروت الغربيّة، وسيعمل بسهولة».

وهنا قال شارون:

«إذا دخل جيشكم إلى صبرا وشاتيلّا أتريدون أن تتقدّم قوّاتنا خلفكم. وردّ بشير الجمّيّل بقوله:

«نعم، سيقولون إنّ الجيّش اللبنانيّ دخل إلى هناك، ويجب التّنسيق بين فادي أفرام وأمير دوريّ وميشال عون، وسيقوم إيليّ حبيقة بالتّنسيق معكم». وكمن أسقط في يده قال شارون:

«مازال الفلسطينيون يريدون خلق مشاكل، ومن مصلحة الجمّيع أن تتدبّر هذا الأمر وتتّصرّف بسرعة، «فأجابه بشير»: سيقوم إيليّ حبيقة بالتّنسيق معكم، ونحن جاهزون، ولذلك سيتولّى إيليّ حبيقة هذا الأمر.

كان هذا الحديث هو المقدّمة لارتكاب مجزرتيّ صبرا وشاتيلّا بالتّنسيق الكامل بين شارون والقوّات اللبنانيّة بقيادة إيليّ حبيقة ومشاركة قوّات سعد حدّاد والإشراف الكامل للقوّات الإسرائيليّة المحاصرة لمخيميّ صبرا وشاتيلّا والمشرفة على المخيّمين من موقع السّفارة الكويتيّة وبئر حسن.

اغتيال بشير الجميّل المفاجئ

ذهب بشير الجميّل إلى مركز الكتائب في الأشرفيّة لتكريم (جان ناصر) المسؤول الأوّل عن ذلك المركز بتاريخ ١٩٨٢/٩/١٤، ولم يكن قد استلّم الرّئاسة اللبنانيّة بشكلّ رسميّ. وعند السّاعة الرّابعة وعشر دقائق عصراً بدأ بشير الجميّل إلقاء خطابه أمام الحضور... وهنا تأكّد المفجّر وجود بشير الجميّل بجانب الحقيبة المتفجّرة، فضغط على جهاز التّفجير، وسمعت كلّ بيروت صوت الانفجار... وعاد المفجّر إلى مكان الإنفجارللتأكّد.

بدأت عمليّة البحث عن بشير الجميّل وسط الرّكام، وكان هناك العديد من الأفراد والآليات الّتي ترفع الرّكام وقطع الحديد والكتل الاسمنتيّة. ووجد أحد العمّال الجثّة، فوصل فادي أفرام إلى الجثّة وتعرّف عليها من القميص الّذي كان يرتديه بشير الجميّل، وهو قميص لونه «أزرق سماويّ».

كان وجه بشير الجميّل محترقاً ومشوّهاً تماماً، ولا يمكن التّعرّف عليه. لكنّ فادي أفرام تأكّد من أنّ تلك هي جثّة بشير من الخاتم الثّمانيّ الأضلاع الّذي كان في أصبعه.

نقلت الجثّة إلى مستشفى (أوتيل ديو) حيث تمّ الإعلان عن وفاته بعد واحد وعشرين يوماً من «انتخابه».

بدأ التّحقيق من حزب الكتائب، واشتركت فيه كل فروع الحزب بالإضافة إلى المساعدة الإسرائيليّة من خلال الخبراء والمستشارين.

بعد يومين من البحث في ١٩٨٢/٩/١٦ أوقف حبيب طانيوس الشّرتونيّ البالغ من العمرّ ٢٤ عاماً في منزله من قبل أحد أبناء عمّه الياس الشّرتوني الّذي كان أحد ضبّاط جهاز الأمن الّذي يرأسه إيليّ حبيقة، وسبب سرعة القاء القبض عليه هو أنّ أخته كانت تتفاخر بأخيها الذي طلب منها الخروج من الشّقّة الّتي تقع فوق قاعة الاجتماع عندما أخبرها أنّه عمل حادثاً، ويطلب منها سرعة الخروج، والالتقاء به في مكان حدّده لها. ولهذا هي تدين لأخيها ببقائها حيّة... وهذا ما لفت انتباه المحقّقين الّذين أجروا التّحقيق مع كلّ سكّان البنايات المجاورة وممّن بقي من البنايّة حيّاً.

ألقي القبض على حبيب الشّرتونيّ، وتمّ تسليمه إلى أمين الجميّل شقيق بشير، لكنّه استطاع الهرب وأعيد القبض عليه، ووضع قيد التّحقيق، الّذي جاء فيه: أفاد حبيب الشّرتونيّ أنّ (نبيل المعلم) رئيس جهاز الاستخبارات في الحزب القوميّ السّوريّ الاجتماعيّ اتّصلّ به من باريس، وطلب منه الانضمام للحزب بصفته شقيق جورج الشّرتونيّ رئيس خليّة الحزب في إيطاليا والعضوّ في منظمّة أمنيّة تدعى (المبعوثون الأمنيون)، ومن أعضاء هذه المنظمّة في بيروت الشّرقيّة العنصرين الّذين حاولا اغتيال بشير الجميّل سابقاً في شهر ١٩٨٠/٢ عن طريق تفجير عبوة ناسفة، حيث ادّى الانفجار لمقتل ابنته مايا واثنين من حرسه الشّخصيّ، كان المبعوثان هما جوزيف كازريان ونزيه سامي شعيا، وكانا عضوين في مجموعة خاصّة ضمن جهاز استخبارات القوّات اللبنانيّة تحت إمرة إلياس الشّرتونيّ وبرئاسة إيلي حبيقة.

وبعد ذلك عقد مؤتمر صحفيّ اعترف فيه حبيب الشّرتونيّ بمسؤوليته عن عمليّة اغتيال بشير الجميّل واصفاً إيّاه (بالخائن الّذي باع وطنه لإسرائيل)، وقال:

«أنا حبيب الشّرتونيّ، أقرّ وأنا بكامل أهليّتي القانونيّة بأنّي نفّذت حكم الشّعب بحقّ الخائن بشير الجميّل، وأنا لست نادماً على ذلك، بل على العكس إذا أتى مرّة أخرى فسوف أقتله، وستصبح مقولة لكلّ خائن عقاب، وأبشّركم أنّ هناك ألف ألف حبيب لكلّ خائن عميل في بلادي»، وأضاف:

«لقدّ أعطيت المتفجّرات ومفجّراً بعيد المدى في رأس بيروت من قبل نبيل المعلّم».

قضى حبيب الشّرتونيّ ثماني سنوات في سجن روميّة حتّى١٣/١١/١٩٩٠، وفرّ من السّجن خلال الهجوم السّوريّ الأخير من أجل اسقاط الحكومة الّتي ترّأسها ميشال عون حين دخلت القوّات السّوريّة منطقة المتن عامّ ١٩٩٠، حيث تمّ اقتحام مبنى السّجن، وأفرج عن جميع من كانوا موقوفين.

الموارنة في فلسطين

مع اغتيال بشير الجميّل انتهت حقبة تاريخيّة هامّة من الصّراع في لبنان الّذي قاده بعض رموز الطّائفة المارونيّة أوّلاً قبل الطوائف المسيحيّة الأخرى، وكان ضروريّاً أن أوضّح أنّ كاتب التّاريخ يجب أن يكون حياديّاً في تقديم الأحداث. ولهذا، ونظراً للظلم الّذي وقع على شعبنا في مخيّماتنا في لبنان، وكذلك محاربة قوّاتنا منذ البداية، وكذلك لأنّ بعض الاصطلاحات كانت تتكرّر في وسائل الإعلام والكتب والصّحف الموثّقة المكتوبة، فقدّ تكرّر عندي بعض هذه الاصطلاحات كالجبهة الانعزاليّة، والانعزاليين، واليمين الانعزاليّ الّتي أعني بها الجّبهة اللبنانيّة.

لقد دفعني لكتابة هذه الكتابات المواقف الأولى للبطريركيّة عامّ ١٩٤٦ وعامّ ١٩٤٨ وفيما بعد وحتّى اليوم، أضف إلى ذلك تسمية الجّبهة اللبنانيّة للفلسطينيين بالغرباء، حيث تطوّع بعض أفراد الجّبهة لمحاربة الفلسطينيين فقط، والتّعاون العسكريّ والسّياسيّ مع الكيان الصّهيونيّ.

إنّ لبنان محكوم بالطّوائف، والنّظام الطّائفيّ حتّى أنّ الأمر كاد أنّ يؤديّ إلى نزاع بينها بسبب أنّ هناك حقوق وظيفة واحدة لهذه الطّائفة أو تلك. أمّا نحن الفلسطينيين، ورغم وجود معظم الطّوائف المسيحيّة وغيرها عندنا فإنّنا لم نشعر أو نتحدّث أو نمارس أيّة مسلكيّة طائفيّة بلّ على العكس كان هناك تفاعل إيجابيّ كامل بين كلّ العناصر المكوّنة للمجتمع الفلسطينيّ.

ولمزيد من التّوضيح وللمهتمين بالشّأن الفلسطينيّ داخليّاً وخارجيّاً أردت

أن أقـدّم موجـزاً عن الطّائفة المارونيّة في فلسـطين، واعتمـدت في ذلك على الدّكتور حنّـا عيسى (اسـتاذ القانـون الدّوليّ) في تقديمه لهذا الموضوع، حيـث ورد في كتابته عـن (الموارنة في فلسـطين) ما يلي:

يوجـد الموارنـة في فلسـطين في المناطـق الشّـماليّة بالقـرب مـن الحـدود مـع لبنـان، ويقـارب عددهـم (٧٠٠٠) مارونيّـاً.

اللّغـة السّريانيّـة هي اللّغـة الّـتي يتكلّـم بهـا السّريـان كافّـة، ومـع الزّمـن أصبحـت اللّغـة العربيّـة هي اللغـة الأمّ للموارنـة.

و**الموارنـة**: هي مجموعـة دينيّـة تقطن في سـواحل بلاد الشّـامّ وخاصّة في لبنان، وتتبع الكنيسـة المارونيّـة، وتعود تسـميتهم إلى مارون الرّاهب السّريـانيّ الّذي عاش في شـمال سـوريّا خـلال القرن الرّابـع، وانتقل اتباعـه لاحقاً إلى جبـل لبنان ليقترن اسـمهم به منـذ القرن العـاشر الميلاديّ مؤسّسـين بذلك الكنيسـة المارونيّة.

تمكّـن الموارنـة مـن الحفـاظ على كيان شـبه مسـتقلّ خلال فـترتيّ الخلافة الأمويّـة والعباسـيّة محافظـين بذلـك على ديانتهم المسـيحيّة ولغتهـم السّريانيّة حتّى القـرن الثّالث عشر عندما تمكّـن المماليك من إخضاعهم، وهيمـن الموارنة لاحقاً على كلّ مـن متصرفيّـه جبـل لبنان العثمانيّـة بالقرن التّاسـع عـشر وجمهوريّة لبنان الكبـير برعايـة دول أوروبيّـة. غير أنّ هجرة أعـداد كبيرة منهـم إلى الأمريكيتين، ونشـوب الحرب الأهليّـة اللبنانيّة أدّت إلى تقلّـص أعدادهم.

أمّا الكنيسـة المارونيّة فهي كنيسـة أنطاكيّة، وسريانيّة، وشرقيّة، وكاثوليكيّة، ووطنيّـة، اجتمعـت نواتهـا الأولى حـول القدّيـس مـارون بهيئـة حركـة رهبانيّة ما لبثـت أن ضمّـت علمانيين، لذلـك دعيت باسـمه، ويعتـبر الموارنة أيضاً مـن أتباع الكنيسـة السّريانيّـة تاريخيّاً وطقسـيّاً وثقافيّـاً، أمّا إيمانيّـاً، فهم جزء من الكنيسـة

الكاثوليكيّة، الّتي تقرّ بسيادة البابا، رغم ذلك فَللكنيسة المارونيّة بطريركها الخاصّ وأساقفتها. والإيمان المارونيّ هو إيمان (شرقيّ آراميّ سريانيّ)، أيّ هو الإيمان الّذي حدّده مجمّع مقدونيّاً عامّ ٤٥١، والّذي أصبح معتقدّ كنيسة روما، والكنيسة المارونيّة لا تزال متشبّثة بهذا الإيمان منذ إعلانه، ولم تحدّ عنه ابداً، وقدّ كان المطران (جبرائيل القلاعيّ) أوّل من دافع عن إيمان الكنيسة المارونيّة، علماً بأنّ القلاعيّ متوفي العامّ ١٥١٦ وكان يشغل منصب رئيس أساقفة قبرص المارونيّة.

(يتواجد الموارنة في فلسطين في المناطق الشّماليّة بالقرب من الحدود مع لبنان، ويقارب عددهم ٧٠٠٠ مارونيّاً). رأس الكنيسة المارونيّة هو المطران بولس صيّاح الّذي يقيم بالقرب من باب الخليل في مدينة القدس، ويتولّى الاهتمام بأسقفيّتها الّتي بنيت عامّ ١٩٨٥م، ويوجد عدد من الموارنة في مدينة حيفا حيث يصل عددهم حوالّي ٣٥٠٠ نسمة، وهو أكبر تواجد للموارنة في فلسطين.

الإحصاء الّذي أجرته آنذاك حكومة الانتداب البريطانيّ على فلسطين في عامّ ١٩٤٨م لجأ ٣٥٦٩ منهم إلى لبنان وسورّيا والأردنّ ودول أخرى، ممّا جعل عددهم محدوداً في المدينة. وفي السّنوات الّلاحقة، وبسبب التّكاثر الطّبيعيّ، ونزوح من قرى الجّش وإقرت وكفر برعم والمنصورة في الجّليل الفلسطينيّ الأعلى نحو حيفا أخذ عددهم بالازدياد.

ومن أشهر العائلات المارونيّة جبران، سلامة، ويعقوب، وراشد، وغنطوس، وجبور، وحلو، وعقل، ودكور، وصافية، وفرحات ديبي، وطنّوس، وسوسان، وخلول، وزكنون، وبطرس، وعليميّ، وخليل، وأندراوس، وإسحق، وزيناتيّ، ودياب، وعبد الله، وأبو وردة، وصادر، ونصّار، ولحوّد، وعتمة، وسليمان، وزهرة، ومارون،

وفـارس، وسروع، ومرشي، ومغيزل، وروزه، ومطانس، وشـوفانيّ، وسـويدّ، وشـكري، ومطـر، وأبو سـنّة، وخـوريّ، وعبّـود، وجريس، ورشـيد، وعيسى، ومصلـح، وبوبانيّ.

كما يتواجـد عـدد مـن الموارنـة في مدينـة عـكّا حيث قدمـوا مـن لبنان في بدايـة القـرن السّـادس عـشر الميلاديّ، وفي سـنة ١٧٤١ جمـع الكاهن الشّـاب القسّ ميخائـيل فاضـل العائـلات المارونيّـة الّـتي كانـت تمـارس عبادتها لدى الكنيسـة اللّاتينيّة (الفرنسيسـكان)، وشرع ببناء كنيسـة تخصّهم، وقدّ دشّـنت سـنة ١٧٥١م، وتعرف باسـم كنيسـة السّـيّدة الورديّة. ويبلـغ عدد أبنـاء الطّائفـة المارونيّة في عكّا حـواليّ ٣٠٠ نسـمة، ومـن العائـلات المارونيّـة في هـذه المدينـة: ساسـين، ومخـول، وعبـادو، وأبـو ورده، وفـارس، وضـو، وحلـو، وجبران.

كما يوجـد عدد مـن الموارنـة في كلّ مـن النّاصرة، والجّش شـمال فلسـطين، وعسـفيّاً، والقـدس، ولديهم العديـد من الكنائس التّاريخيّة ككنيسـة السّـيدة الّتي تقـع في الجّهـة الغربيّـة مـن قريـة الجّـش، وكنيسـة مـار مـارون الّـتي تعتـبر أكبر الكنائـس المارونيّة.

اللّغـة السّريانيّـة هي اللّغـة الّـتي تكلّـم بهـا السّريـان كافّـة، ومـع الزّمـن أصبحـت اللّغـة العربيـة هي اللّغـة الأمّ للموارنـة، وبالرّغـم مـن الحفـاظ على الثّقافـة المارونيّـة في جبـال لبنـان، فقدّ ظهـر نوع جديد مـن الكتابـة وهي الكتابة «الكرشـونيّة»، أيّ اللّغـة السّريانيّـة مكتوبـة بلغـة عربيّـة.

المجازر ضدّ الفلسطينيين

إنّ أعـداد المجـازر الّـتي ارتكبتهـا الجبّهة اللبنانيّـة والمنضمّين تحـت لوائها كثيرة، ومـن هـذه المجازرعلى سـبيل المثـال لا الحصر:

- مجزرة عين الرّمانة.
- مجزرة تلّ الزّعتر.
- مجزرة الضّبيّة والكرنتينا.
- مجزرة النّبعة.

أضـف إلى ذلـك القتـل المبـاشر على الهويّة وممارسـة كلّ أشـكال التّنكيل ومع كلّ ذلـك كانـت تربطنا صداقـات كثيرة مـع الموارنـة وقياداتهم، وكان رائـداً في هذا المجـال الشّـهيد علي حسـن سـلامة (أبـو حسـن) بدعـم وتكليـف مـن الأخ أبي عمّـار الّذي لـم يحـاول قطـع العلاقـة معهـم خـلال فـترة الحـرب الأهليّـة بل كان يعمـل على تعزيزهـا وتوضيحهـا، لكّنّهـم كانـوا في وضع لا يسـمح لهـم بإقامة علاقة أو تفاهـم لأنّ الجيـش الإسرائيـليّ كان يحتـلّ بيروت.

شـكّل خـروج المقاتلـين الفلسـطينيين بأسـلحتهم، وخـروج الأخ أبي عمّـار بمراسـم كاملـة ومرافقه رئيـس الـوزراء اللّبنانيّ لوداعـه حتّى صعوده إلى الباخرة، عوامـل أغاظت بيغـن وشـارون ورفائيل إيتـان، فهذه القـوّة الضّخمـة الّتي هاجمت الفلسـطينيين المحـدوديّ العـدد والعتـاد، لـم تعط فرصـة لشـارون أن يفتخر، ولم يسـتطع التّقـدّم لبضعـة أمتـار في محور المتحـف / الحـرش وكذلك في مطـار بيروت

الدّوليّ وأسقط له العديد من القتلى، وكان واضحاً أنّ دخوله إلى بيروت الغربيّة ستكون خسائرهم كبيرة جدّاً. ولهذا ما إن غادرت القوّات المتعدّدة الجّنسيّات بعد خروج مقاتليّ الثّورة الفلسطينيّة مباشرة حتّى أعدّ شارون خطّة لاقتحام الجيش الإسرائيليّ إلى بيروت الغربيّة، وقدّ ساعده في ذلك الجّيش اللبنانيّ الّذي بدأ الانتشار في بيروت الغربيّة، واستلم منطقة الفنادق، ومنها (برج المرّ)، وفندق النّورمانديّ، وهذا جعل الدّخول إلى بيروت الغربيّة سهلاً. وكان الجّيش قدّ تسلّم عدّة مواقع هامّة من الحركة الوطنيّة وحركة أمل وحركة المرابطين.

أمّا القوّات الإسرائيليّة فتقدّمت، واحتلّت قصر منصور أيّ المجلس النّيابيّ، وثكنة «هنري شهاب»، واستولت على سفارتيّ اليمن وهنغاريا، وكذلك احتلت منطقة بئر حسن ومنطقة الجّناح، وسلّمت حركة أمل منطقة السّاحل في الأوزاعيّ وملعب الغولف ولم يبق أمام القوّات الإسرائيليّة إلّا وسط بيروت وكورنيش المزرعة والبسطة. وتمركزت في منطقة الرّمل العالي حتّى السّفارة الكويتيّة المشرفة بل والملاصقة لمخيميّ صبرا وشاتيلا.

لقد فشل الجّيش الإسرائيليّ في دخول بيروت سبع عشرة مرّة وها هو شارون يخطّط لاقتحام بيروت بعد مغادرة القوّات المتعدّدة الجّنسيات كما أشرنا، حيث استقدم تعزيزات جديدة أنزلت في مطار بيروت الدّوليّ، بعد الجّسر الجّويّ الّذي أنشأه ما بين المطارات العسكريّة الإسرائيليّة ومطار بيروت الدّوليّ حيث أنزل (٢٠٠٠) جنديّ إسرائيليّ من مظليّ لواء غولانيّ ومن اللّواء المدرّع الّذي يقوده إيليّ جيفع، وفي تمام السّاعة الخامسة من صباح ١٩٨٢/٩/١٥ بدأت عمليّات اجتياح بيروت الغربيّة عبر ثلاثة محاور هي:

محور السّاحل المحاذي للمطار في منطقة الأوزاعيّ، وانقسم هذا المحور عند مطعم البيكنك إلى قسمين أحدهما استمرّ بالتّقدّم على خطّ السّاحل

الممتدّ من الأوزاعيّ حتّى كورنيش المزرعة، والثّاني أخذ المسار إلى السّفارة الكويتيّة وثكنة هنري شهاب، ومن ثمّ إلى المدينة الرّياضيّة، وبعدها مستديرة الكولا عبر الطّريق الجّديدة عند كلّيّة الهندسة التّابعة لجامعة بيروت العربيّة، وشارع البستانيّ وإلى كورنيش المزرعة وبذلك تكون قدّ طوّقت هذا الجّزء من المنطقة الغربيّة لبيروت الغربيّة.

محور المطار وطريق المطار، ومنه تحرّكّت القوّات الإسرائيليّة باتّجاه الشّمال حتّى مستديرة المطار، وانقسمت أيضاً قسمين: أحدهما استمرّ بالتّقدّم باتّجاه مستديرة شاتيلّا فكورنيش المزرعة وبالتّالي أتمّت تطويق المنطقة من الشّرق. أمّا القسم الثّاني من القوّات فقد انعطف باتّجاه اليسار حيث مستديرة السّفارة الكويتيّة، وبالتّالي أحكم تطويق منطقة الجّنوب بعد الالتقاء مع القوّات الأولى.

قام الجّيش الإسرائيليّ باحكام السّيطرة على المنطقة المحصورة ما بين مستديرة المطار، ومستديرة السّفارة الكويتيّة، ومستديرة الكولا، ومستديرة شا تيلا .

في تمام السّاعة التّاسعة والنّصف صباحاً وصل شارون إلى غرفة العمليّات الإسرائيليّة الّتي أقامها فوق سطح مبنى (الاكوا) التّابع للأمم المتّحدّة والواقع في منطقة بئر حسن والقريب من السّفارة الكويتيّة. كانت الأوامر الصّادرة للجّيش الإسرائيليّ بعدم دخول المخيّمات، وإنّما السّيطرة على مداخلها، وبالتّالي تمّ قطع كلّ الطّريق المؤديّة إلى المخيّمات، وتمّ وضع نقطتيّ استطلاع على سطح بنايتين قريبتين تشرّفان مباشرة على المخيّمين.

كان هذ التّحرّك ليس بسبب اغتيال بشير الجميّل، بل كان متّفقاً معه

كما أشرنا مسبقاً من أجل دخول بيروت الغربيّة ودفع القوّات اللبنانيّة لدخول المخيّمات برعاية إسرائيل وتوجيهاتها.

يقول زئيف شيف في صحيفة هآرتس ١٩٨٢/٩/١٦:

«ان القرار بالتّحرّك اتّخذ قبل معرفة مصير الرّئيس «بشير الجميّل» الّذي لم تتأكّد وفاته إلّا بعد الحاديّة عشرة ليلاً، وإنّ القوّات الإسرائيليّة تقوم باحكام سيطرتها على الشّوارع والمناطق الدّاخليّة من مدينة بيروت الغربيّة، وقد التقت الطّوابير الإسرائيليّة المدرّعة القادمة من اتّجاهين مختلفين قبل ظهر ذلك اليوم في (جادة باريس) قرب السّفارة الأمريكيّة»، وأعلن النّاطق العسكريّ الإسرائيليّ:

«إنّ الجيّش يسيطر على جميع النقاط الإستراتيجيّة في بيروت، ويحاصر مخيّمات الّلاجئين حيث هناك (جيوب الارهابيين) في منطقة الفاكهانيّ، وفي مخيميّ صبرا وشاتيلّا».

شكّل إعلان النّاطق العسكريّ الإسرائيليّ محاولة تهيئة لما سيحدث في المخيّمات من خلال الحديث عن الإرهابيين، وأيضاً وكما سبق حديث شارون مع بشير الجميّل حول حركة شفيق الحوت كممثّل لِ م.ت.ف، وأنّ هناك الالاف من القوّات الفلسطينيّة ما زالت موجودة في المخيّمات وخارجها.

مذبحة صبرا وشاتيلا- الجريمة الكبرى

إن دخـول الجيـش الإسرائيليّ إلى بـيروت الغربيّة كان مخالفـاً (لاتّفاق فيليب حبيـب)، وضمانـات الولايات المتّحـدة الأمريكيّة بعدم دخـول الجيش الإسرائيليّ إلى بـيروت الغربيـة بعـد رحيل قـوات منظّمـة التّحريـر الفلسـطينيّة الّتي غادرت آخـر دفعـة منهـا بتاريـخ ١/ ٩/ ١٩٨٢، وكما قال الأخ أبـو عمّار:

«إنّ الجيـش الإسرائيـليّ حاول ١٧ مرّة الدّخول إلى بيروت، وفشـل أمام بسـالة وصمـود مقاتـلي الثّورة الفلسـطينيّة ومقاتلي الحركـة الوطنيّة، وفيما عـرف بالقوات المشـتركة، والآن كان دخـول الجيش الإسرائيـليّ إلى بيروت الغربيـة بذريعة اغتيال بشـير الجميّـل في ١٩٨٢/٩/١٥، وهـو اليوم الّذي تـلا الاغتيال بمتفجّـرة زنتها ٥٠ كيلو غـرام مـن المتفجّرات في مقـرّ حزب الكتائـب في الأشرفيّة».

وفي الوقـت الّذي كانـت فيـه الدّبابـات الإسرائيليّـة تحـاصر المخيمـات، كان ينعقـد اجتمـاعاً على أعلى المسـتويات بـين الإسرائيلـين والكتائـب، حـضره عـن الجانـب الإسرائيـليّ رفائيـل ايتـان والجـنرال أمـير دوري قائـد المنطقـة الشّـماليّة، وعـن الجانـب الكتائـبيّ فـادي افـرام الّذي حلّ محـل بشـير الجميّل كقائـد للقوات اللّبنانيّـة، وأيضـاً إيـلي حبيقـة رئيـس جهـاز مخابـرات الكتائب.

وبنـاءً على هـذا الاجتمـاع واسـتكمالاً للقـاءات والاجتمـاعات السّـابقة، فقـد تجمّعـت في بـيروت قـوّة مـن القـوّات اللّبنانيّـة تعدادهـا ٥٠٠ عنـصر مسـلّح، وقـد ضمّـت هـذه القـوّات كتيبـة الدّامـور الكتائبيّة، وعنـاصر من مؤيـدي كميل شـمعون مـن الوطنيـين الأحـرار، وكذلـك عناصر من مليشـيات سـعد حـدّاد الّتي

وصلت إلى الشّويفات في شاحنات عبر الخطوط الإسرائيليّة، وقد كان لباسها وتسليحها كما هو الجيش الإسرائيليّ.

تحرّكت هذه القوّة عبر الخطّ الّذي سلكته القوّات الإسرائيليّة حتّى منطقة السّفارة الكويتيّة، وأقيم هناك مركز للقيادة الكتائبيّة، أمّا القوّات التّابعة لإيلي حبيقة فقد تجمّعت مع القوّات الإسرائيليّة الموجودة في مطار بيروت.

اجتمع رجال من الكتائب إلى عاموس يارون من أجل التّنسيق ومعرفة حجم القوّة اللّبنانيّة المارونيّة الّتي يسمح لها بالدّخول إلى المخيّمات.. وحدّد عاموس يارون لهم الجهة الجنوبيّة والجهة الغربيّة من مخيم شاتيلا كنقطتيّ دخول إلى المخيّمات باتّجاه الشّمال والشّرق، وكان على رأس قوّات الكتائب إيلي حبيقة، ويساعده ميشال عيد وميشال زوين وديب انطلياس ومسؤول الشّرطة العسكريّة الكتائبيّة. وأمّر منطقة بيروت الشّرقيّة مارون مشعلاني وقائد المغاوير في قوّات الكتائب جوزيف إده، ومعهم ضابط الارتباط الإسرائيليّ جيس سكر.

من ناحية أخرى فقد تجمّع في وادي شحرور عناصر من الكتائب والأحرار، وحضر هذا التّجمع ١٢ إسرائيليّاً بزيّ الكتائب العسكريّ.

وكما ذكر أحد عناصر الكتائب الّذي شارك في المذبحة لصحيفة دير شبيغل الصّادرة في ١٤/ ٢/ ١٩٨٣، فإنّه طلب من العسكريين الكتائبيين أن لا يسرّبوا أيّ شيء عن المهمّة الّتي سيقومون بها، ونقلوا في سيارات إسرائيليّة عسكريّة إلى مطار بيروت، حيث انضمّ إليهم عدد آخر من الجنود الإسرائيليين، وأيضاً كانوا يلبسون ملابس الزّيّ العسكريّ.. وقد أبلغهم الضّابط الكتائبيّ المسؤول بأنّ هؤلاء الأصدقاء الإسرائيليين المرافقين لكم هم متطوّعون لم يخبروا أسرهم بأنّهم سيشاركون، لكنّهم سيسهلون عليكم مهمّتكم.

تجمّع القتلة بالإضافة للجيش الإسرائيليّ الّذي لبس عناصره لباس الكتائب اللّبنانيّة وشارك في المذبحة كلّ من:

- قوّات حزب الكتائب (حزب عائلة الجميّل).

- قوّات النّمور التّابعة لحزب الوطنيين الأحرار (حزب كميل شمعون).

- قوّات جيش لبنان الحرّ (جماعة سعد حدّاد) القادمة من الجنوب.

- قوّات حرّاس الأرز (جماعة إيتان صقر).

انسحب الجيش اللّبنانيّ من مواقعه حول المخيّمات بعد أن حاصرته القوّات الإسرائيليّة يوم الخميس ١٦/ ٩/ ١٩٨٢، وقبل اقتحام المخيمين تمّ اتّخاذ الإجراءات التّالية:

- قطع كلّ الطّرق المؤدّية إلى منطقة المخيّمين والفاكهانيّ.

- طوق محكم حول المخيّمين صبرا وشاتيلا ومنطقة الفاكهانيّ.

- تشتيت المقاومة الّتي جوبهت بها القوّات الإسرائيليّة في منطقة الغبيري.

- إجبار الأهالي بواسطة القصف والقنص المركّز على النّزول إلى الملاجئ والاحتماء بها.

- اعتقال كلّ من تقع عليه يد القوّات الإسرائيليّة في المحاور الّتي تسيطر عليها.

- قطعت في تلك اللّيلة الكهرباء عن كلّ بيروت الغربيّة، وكان مخيمي صبرا وشاتيلا مضائين بالكامل.

المذبحة - المجزرة - الجريمة
استمرت أكثر من أربعين ساعة

استمرّ القصف الإسرائيليّ في اليوم الأوّل للمذبحة بتاريخ ١٩٨٢/٩/١٦، وكذلك استمرّ القنص على كلّ المساكن في المخيّمين والمناطق المحيطة، الامر الّذي أدّى إلى لجوء النّاس إلى الملاجئ وبيوتها، ولم يبق أحد من المارّة في الشّوارع.

وفي المساء تقدّمت نحو المخيّمين أعداد كبيرة من المركبات العسكريّة التّابعة لحزب الكتائب، وقدّر عدد المسلحين الّذين تحملهم هذه المركبات ما بين ١٠٠٠ و١٥٠٠ مسلّح، وبدأوا بدخول البيوت وإطلاق الرّصاص في جميع الجهات، وقد استخدموا في القتل البنادق، والمسدّسات، والقنابل، والبلطات، والسّكاكين، والفؤوس.

واستمرّت المذبحة أكثر من أربعين ساعة.

كان يشاهد أكثر من أربعمئة إسرائيليّ ولبنانيّ ذلك المشهد من على أسطح البنايات العالية المشرفة على المخيّمين، وكان المشاهدين -كما وصفهم أحد الضّباط الاسرائيليين- يحملون مناظير ليليّة بقوله:

«كان للمرء وهو على سطح تلك العمارات أن يرى كما لو كان في الصّفّ الامامّي من المسرح».

ويقول الصّحفيّ اليهوديّ الفرنسيّ آمنون كابليوك:

«حطّموا أبواب البيوت، أطلقوا النّار على عائلات بكاملها وهي تتناول العشاء، قتل بعض السّكان وهم يلبسون بيجاماتهم في أسرّتهم، ووجد في عدّة منازل أطفال تتراوح أعمارهم ما بين ٣ و٤ سنوات ملفوفين بأغطية خضّبها الدّم. ولم يكتف القتلة بالقتل، ففي حالات عديدة كانوا يقطعون أطراف ضحاياهم قبل الإجهاز عليهم، ويهشّمون رؤوس الأطفال، والرّضع على الجدران، وثمّة نساء وصبايا اغتصبن قبل قتلهنّ بواسطة البلطات، وتمّ إخراج الشّيوخ من البيوت في مجموعات، وقتلوهم جماعياً في الشّارع بالبلطة والسّكين. قتلوا الشّيوخ والنّساء والفتيان والرّجال والأطفال دون تمييز، وكانوا يتعمدون أن يتركوا فرداً على قيد الحياة، بينما يذبحون عائلته بكاملها أمام عينيه، لم يميزوا في القتل بين مسلم ومسيحيّ، ولا بين فلسطينيّ ولبنانيّ، كان على جميع سكّان المخيم ان يواجهوا المصير نفسه».

وروت فتاة شيعيّة بأنّ أهلها ارتموا عند أقدام جلّاديهم متوسّلين إليهم أن يبقوا على حياتهم وأقسموا أنّهم لبنانيون، فما كان من القتلة إلّا أن أجابوهم:

«لقد عشتم مع الفلسطينيين القذرين، لذلك فمصيركم واحد».

وبعد ذلك قتلوا كلّ افراد الأسرة وأبقوا على تلك الفتاة لتروي قصّتهم.

لقد كانت حركة المهاجمين على شكل مروحة، ابتدأوا من منطقة الحرش المواجه لمستشفى عكّا باتّجاه مستشفى غزّة، ومن منطقة الدّاعوق ومأوى العجزة باتّجاه مستشفى غزّة أيضاً. وكانوا يطلقون النّار وهم يدخلون المنازل لقتل كلّ كائن حيّ حتّى القطط والكلاب.

توفّر لديّ العشرات من روايات النّاجين من المذبحة، كان لحديثهم المنقول وقع الألم الحادّ في قلبي... لا أريد أن أنقل تجربة الألم بسرد تلك الرّوايات

للآخرين، لأنّ فيها انعداماً للإنسانيّة، وعداء لكلّ ما هو فلسطينيّ حتّى الأطفال في بطون أمهاتهم، والشّيوخ الّذين لم يبق من أعمارهم شيئاً.

مورست كلّ أساليب هتلر وجيوشه، كان هناك تقطيع الأوصال، والاغتصاب، حتّى الأطفال... كان التّشفي لكلّ ما هو فلسطينيّ، وكان الصّليب يرسم بجثث الأطفال، لكنّني اليوم أخرج عن صمتي، وأخرج بعض مخزون ألمي وأقول:

«إنّ المسؤوليّة الأولى لا تقع على هؤلاء العبيد الوحوش المتجردين من إنسانيتهم من قوّات الكتائب والأحرار والمردة وحراس الأرز الّذين كانوا بأحقادهم على الفلسطينيين، أشبه ما يكونون بعبيد للإسرائيليين، وإنّ المسؤوليّة الأولى تقع على عاتق أولئك المجرمين غير الإسرائيليين فقط، الّذين عبّروا عن غضبهم، واستفردوا بالنّساء والأطفال والشّيوخ في تلّ الزعتر، تقع المسؤوليّة على شذاذ الآفاق هؤلاء القادمين من كلّ بقاع الأرض لقتل الفلسطينيين».

وأذكر حدثاً واحداً للدّور الإسرائيليّ بلسان الجنديّ الإسرائيليّ الّذي ذهب بمبادرة خاصّة إلى صحافيين، وأبلغهم ما يلي: «منذ يوم الخميس، كان بإمكاننا وقف المجزرة، رأينا نساء فلسطينيات يأتين من مخيّم شاتيلا باتّجاه موقعنا، وبصوت هستيريّ قلن إنّ الكتائب يجولون الشّوارع ويقتلون الاطفال، ويجبرون الرّجال على الصّعود إلى سّيارات الشّحن».

قدمت تقريري إلى ضباطي لكّنهم أجابوني:

«لا تخف كلّ شيء على ما يرام».

بعث قائد القوّات اللّبنانية الّتي دخلت المخيم بتقرير إلى الجنرال الإسرائيلي قائد منطقة بيروت قال فيه:

«حتّى الآن قتل أكثر من ٣٠٠ مدنيّ وإرهابيّ، وسرعان ما أبلغ التّقرير لهيئة الأركان، وتمّ توزيعه على أكثر من عشرين ضابطاً كبيراً في تل أبيب».

أطلق الإسرائيليون صواريخ مضيئة فوق المخيّمين من كلّ الجهات بمعدل صاروخين كلّ دقيقة طيلة ساعات طويلة، حيث قطعت الكهرباء عن بيروت الغربيّة طيلة الليل، والتجأ حوالي ٢٠٠٠ شخص إلى المستشفيات في صبرا وشاتيلا وهما مستشفى غزة وعكّا.

اجتمعت الحكومة الإسرائيلية طيلة أربع ساعات، ولأوّل مرّة استمع الوزراء إلى دخول الجيش الإسرائيلي إلى بيروت الغربية، ووافق على شرعيّة العمليّة، وأشار إيتان بشكل سريع إلى انّ بعض القوات الكتائبية دخلت المخيّمين لتطهير أوكار الإرهابيين.

وأضاف بأنّ الاتّصال مع قيادة القوّات اللّبنانيّة كان منسقاً ومنظمّاً. أمّا الملازم أوّل أفي غرابوفسكي قائد سرّية دبابات، فقد قال لاحقا أمام لجنة كاهان: «شاهدت مدنيين يقتلون وقال لي احد الكتائبيين: «النّساء الفلسطينيات الحوامل سوف يلدن إرهابيين..!»».

حضر رفائيل إيتان يوم السبت ١٩٨٢/٩/١١ إلى مطار بيروت، واجتمع مع ضبّاط كتائبيين كان بعضهم عائدا من المخيّمين، ومنهم فادي قائد القوّات اللّبنانيّة، وحسب الجنرال عاموس يارون فإنّ الجنرال إيتان قد هنّأ قائد القوّات اللّبنانيّة، وطلب الكتائبيون من الإسرائيليين أن يمنحوهم وقتاً طويلاً إضافيّاً لتطهير مناطق المخيمين، ثمّ وافق الجنرال عاموس يارون على تبديل القوّات اللّبنانية في المخيّم بوحدات جديدة.

شهد أهل الشّوف والحدث والشّويفات عملية نقل الرّجال والأطفال،

وكيف كانوا يقومون بتشريح وجوههم وهم مكبلون بالسّكاكين أثناء استجوابهم، كما ظهر مسلحون في داخل مستشفى عكّا جنوب شاتيلا، وقتلوا بعض المرضى، وأجهزوا على الجرحى في أسرّتهم قبل أن يقتلوا عدداً من المواطنين.

أمّا الجنود الإسرائيليون في المواقع المشرفة على المذبحة، فقد اوضح ضابط إسرائيلي بأنهم تلقوا أوامر بعدم إزعاج مليشيات الكتائب أثناء عمليّة تطهير المخيّمين من الإرهابيين.

إن مجزرة صبرا وشاتيلا لا يمكن تجاوز تفاصيلها مهما حاول أيّ كاتب أو مؤرّخ اختصار المشهد الدّمويّ، ورغم اختصار بعض التفاصيل إلا أنّ هناك الكثير مما يروى ليكون عبرة للأجيال القادمة: إنّ تقديم هذه التّفاصيل ليس ترفاً في سرد الأحداث بل هي وقائع حصلت ضدّ شعب أعزل حتّى إن جرائم النّازيين لم تكن بهذه القسوة، ففي الوقت الّذي كانت تحلّق به طائرات (F16) فوق جنازة بشير الجميّل، وتقوم بحركات بهلوانيّة كوداع له، كانت المذبحة.

لقد كشف الصحفي آلان مينارغ في كتابه (أسرار حرب لبنان من انقلاب بشير الجميّل إلى حرب المخيمات الفلسطينيّة)، وبدقّة، التّرتيب الحقيقيّ للمشاركين في مذبحة صبرا وشاتيلا، وهي:

١- وحدة المغاوير (الاستكشاف) الإسرائيلية:

وهي أوّل وحدة عسكريّة إسرائيليّة تدخل صبرا وشاتيلا، وهي بقيادة الجنرال آمنون ليكتر والجنرال أبراهام ثالوم (مدير شين بيت) وهي وحدة قتل تعتمد أسلوب الاغتيالات السّرّيّة، والتّرويع السّريع، وتعتمد على المعلومات المخابراتيّة. وقد أشرنا سابقا الى احد عشر إسرائيلياً تمّ حملهم مع القوات الكتائبية ودخلوا الى المخيّمين.

ولقد كان هؤلاء من الموساد الإسرائيليّ، كان في حوزتهم أسماء وعناوين، وكانوا يتكلّمون العربيّة جيّداً، وقد اندمجوا مع السّكّان، وعاشوا سنوات في بيروت الغربية منتحلين صفات مختلفة كبائعي بوظة أو متسولين أو تجار، وقد أشرنا سابقا لأحدهم.

وفي منتصف ما قبل يوم الأربعاء ١٥/ ٩/ ١٩٨٢، دخلت قوّات إسرائيليّة إلى مخيميّ صبرا وشاتيلا بعد أن قصفت الدّبّابات المتمركزة في جنوب شاتيلا بالمدفعيّة كلا من المخيّمين، وراحت عدّة مجموعات إسرائيليّة تضمّ كلّ واحدة منها عشرة رجال، يرتدون ملابس القتال ولا يحملون أيّ علامة مميّزة ظاهرة. كانوا تابعين لوحدة المغاوير المسماة وحدة الاستكشاف سابيريت ميتكال تتغلغل سرّاً في متاهة الأزقة المقفرة، وكان هؤلاء يتحرّكون بصمت وبسرعة حسب مسارات يعرفونها تماما متوجّهين نحو مساكن محدّدة، وبدون تردد خلعوا الأبواب، وأخذوا يذكرون أسماء أمام سكّانها المذعورين بواسطة مترجم يتكلّم العربيّة بلكنة غير لبنانية، وكلما كان شخص من المنادى عليهم يفصح عن هويته، كان يطلب منه الخروج، ثمّ يقتل برصاصة في العنق ببرود فائق، وقد ظلت تسمع طيلة النّهار طلقات الرّصاص داخل المخيّمين، وأكّدت عائلتان استطاعتا الهرب من مخيم شاتيلا أنّ الجنود كانوا إسرائيليين، وتمكّنوا من التّعرّف عليهم من خلال الكيبا أو الباريّة الّتي كان بعضهم يلبسها.

وفي يوم ١٥/ ٩/ ١٩٨٢ ومنذ وصوله إلى مطار بيروت الدّوليّ في السّاعة الثالثة والنصف عصراً، توجّه الرّقيب بيني حاييم فوراً إلى مكان أزقّة مخيّم شاتيلا. وعند الخامسة والنصف جرح حاييم في ساقه وساعده الأيسر، وبادر أحد زملائه وقصّ حمّالة أمشاطه خوفاً من أن تنفجر القنابل الّتي في جيوبه ورماها في مكان بعيد. وكان إحداها أوراق هوية الرّقيب عثر عليها أحد النّاجين وهو

يوسف عبد نايف مجذوب -ابو جمال من مواليد عمقا قضاء عكّا عام ١٩٣٨، وسلّمها لصحفيّة فرنسيّة من أصل فلسطينيّ، ليثبت لها وجود الإسرائيليين في المخيم. وبالفعل كانوا جنوداً إسرائيليين من وحدة المغاوير الّذين قتلوا ٦٣ مثقّفاً فلسطينيّاً في المخيّمين من رجال ونساء... كانوا من الأطباء والمحامين والمعلّمين والممرضين والممرضات. وكان واضحا جدا أنّهم يحملون لائحة بأسمائهم، وانتهت المرحلة الأولى من تصفية المدنيين الفلسطينيين في صبرا وشاتيلا مع نهاية النّهار، وغادرت وحدة الاستكشاف التّابعة للمغاوير الإسرائيليّة المخيّمين سرّاً كما دخلتهما. وكانت المذبحة قد ابتدأت نهار الأربعاء، وكان يجب أن تكتمل المذبحة على يد مجموعتين أخريين.

٢- جيش لبنان الجنوبيّ/ جماعة سعد حدّاد:

تحوّل مساء صبرا وشاتيلا مساء ليلة ١٥/ ٩/ ١٩٨٢م إلى نهار من كثرة القنابل المضيئة الّتي استعملتها قوّات الجيش الإسرائيلي من كلّ الاتّجاهات نحو المخيّمين، في الوقت الّذي قطعت فيه الكهرباء عن بيروت الغربيّة كلّها الّتي سادها الصمت إلّا من الرّصاص المعلن عن حدث هائل جنوب بيروت من المخيّمات صبرا وشاتيلا وأيضاً من منطقة الفاكهاني... في هذا الوقت دخلت مجموعة جديدة من المجرمين القتلة وهم ينتمون إلى جيش لبنان الجنوبيّ المرتبط بالاحتلال الإسرائيليّ ويقوده العميل الكبير لإسرائيل سعد حداد، ومركز قيادته بلدة مرجعيون القريبة من القليعة الحدوديّة، حيث تمّ نقل مجموعة كبيرة من المقاتلين عبر الطّائرات المروحيّة الإسرائيليّة وأيضا عبر المحور الأوسط/ الطّريق الّذي افتتحه الجيش الإسرائيليّ من الحدود باتّجاه الشّوف اللّبنانيّ وبالتّالي التّجمع في مطار بيروت.

كانت هذه المجموعات بقيادة المدعوّ النّقيب كميل صلاح وقد التقاهم

رفائيـل إيتـان في مفـرق خـلدة نقطة تـلاقي الطّرق بين بـيروت، والجنـوب، وبيروت الجبـل -البقاع- دمشـق.

بادر إيتان بإعطاء توجيهات إلى النّقيب كميل صلاح، وهي كالتّالي:

«النّتيجة الّتي يجب أن تحصلوا عليها هي فرار السّكّان من المخيّمين..!».

وقـد أوضـح رفائيـل إيتـان رئيـس الأركان الإسرائيـليّ بأنّـه دخلـت وحـدة النّقيـب كميـل صـلاح المكوّنة مـن ١٥٠ عنصرا وتركّـزت بطلب مـن الإسرائيليين بـين الشّـويفات ومفـرق خلدة جنـوب المطار الّذي يبعـد عن مخيميّ صبرا وشـاتيلا ٤ كـم، وكانـت مـزوّدة بسـيارات جيـب وثـلاث ناقـلات جنـد مطليّـة باللّـون الأخـضر، وكان رجالهـا مسـلّحين بكلاشـنكوف.

انقسـمت هـذه الوحـدة إلى مجمـوعات صغـيرة، ودخلت إلى مخيم شـاتيلا على مسـتوى الأرض الواقعـة قبالة السّـفارة الكويتيّـة، وإلى مخيم صبرا مـن جهة المدينة الرّياضيّة.

كانـت هاتـان النّقطتـان واقعتين عنـد أقـدام المبـنى الّذي كانت فيـه القيادة الإسرائيليّـة المتقدّمـة حيـث الجنرال عامـوس يارون.

أطلـق رجـال سـعد حـدّاد النّـار على كلّ مـا كان يظهـر أمامهـم، وكان قناصة اللّـواء جـولاني المتمركـزون حـول المخيّـمين يمشـطون بمناظـير بنادقهـم الخاصّـة كتغطيـة لرجـال حـدّاد الأزقّـة الّـتي تتشـابك تحت أقدامهـم. وهكـذا سـحقت العائـلات الـتي كانـت في مـرمى بنادقهـم بكاملها، والّـتي فوجئـت وهي في الخارج تحـاول الفـرار. وظلّ إطـلاق الرّصاص في محيط مستشـفى غزّة الّذي نقـل إليه عدد كبـير مـن الجـرحى، ومن ثـمّ نقـل بعضهـم إلى مستشـفى المقاصد.

انسحبت عناصر الجيش اللّبنانيّ الجنوبيّ بعد ظهر يوم الخميس ١٦/ ٩/ ١٩٨٢، وانضموا إلى بقيّة وحداتهم العاملة ضمن الجيش الإسرائيليّ في بيروت الغربيّة كقتلة ومترجمين؛ ولإثبات الولاء لجيش الاحتلال الإسرائيليّ وكأنّهم جزء منه، رغم معاملة الجيش الإسرائيلي لهم بدونيّة.

لقد احتلّ هؤلاء مكتب مجلة الهدف الخاصّة بالجبهة الشّعبيّة لتحرير فلسطين في كورنيش المزرعة، ومقرّ المرابطون، ومقرّ الحزب التّقدميّ الاشتراكيّ ثمّ سلموها للإسرائيليين، وبالطّبع بدون مقاومة.

وعندما دخلوا إلى مخيّمي صبرا وشاتيلا تاه ثلاثة منهم في أزقّة المخيّم فحاولوا الخروج من منطقة خاطئة، حيث لم يعرفهم الجيش الإسرائيليّ، وأطلق النّار عليهم، فسقطوا برصاص المظليين الإسرائيليين الّذين ظنّوا أنّهم من الفلسطينيين الفارين، وكان هؤلاء الثّلاثة من المجموعة الّتي رافقت النّقيب كميل صلاح التّابعة لجيش لبنان الجنوبيّ الّذي شارك في المذبحة.

٣- وحدات القوّات اللبنانيّة.

استدعى فادي افرام قائد القوّات اللبنانيّة للقاء الجنرال اميردوري في مقرّ قيادته في منطقة الجمهور السّاعة (١١) من يوم الخميس ١٩٨٢/٩/١٦م، وطلب منه دوري أنّ يبدأ التّنفيذ بدخول وحداته إلى المخيّمات. تلقّى التّعليمات فادي افرام، وعاد إلى مقرّ قيادته في الكرنتينا، وطلب من حفيد بيار الجميّل فؤاد أبو ناضر أنّ يجهز وحداته للتّمركز في المطار، وأنّ ينتظر أوامر أمير دوري... واستدعى إيلي حبيقة، وطلب منه تطهير المخيّمات بصفته رئيس الاستخبارات في القوّات اللبنانيّة ! ثم اجتمع فادي افران مع فريق بشير في مقرّ المجلس الحربيّ، وحضروا جميعاً، وهم: جوزيف آبوخليل و كريم بقدراووني، وسامي

شـدياق،وج بسـمرجي، ود.عـرب، وانطـوان نجـم، وهاني جعجـع، وإيـلي وازن روكر، وانطـوان بريـدي، وأسـعد سـعيّد، وفـؤاد أبـو ناضر، وسـمير جعجـع، وإيـلي وازن، وفـؤاد روكز، وإيـلي حبيقة، ومسـعود الأشـقر(بوي)، واطلعهم فادي أفـرام على دور القـوّات الكتائبيّـة في المخيمات الفلسـطينيّة.

كانـت العمليـة ثانويّـة تمامـاً في نظـر الجميع، وكان همّهم الوحيـد هو خلافة الرئيـس (بشـير الجميّـل)، واقـترح بعضهـم ترشـيح فـادي أفـرام لخلافـة الرّئيـس لمنصـب رئيـس الجمهوريّة، لكنّ الحاضريـن توصلوا في النّهاية بصعوبـة إلى توافق يقـضي بدعـم ترشـيح أمـين الجميّـل، اذ تعهّـد بمواصلـة السّـير على نفس سياسـة شـقيقه بشـير، وبنـاء على ذلـك دعا أمـين الجميّـل فـادي افـرام، وفـؤاد أبـو ناضر، وإيـلي الزّابـك، وإيلي حبيقة لتناول العشـاء في منزله مسـاء الخميـس ١٩٨٢/٩/١٦...

وفي الوقـت ذاتـه دخـل رجـال جهـاز الأمـن المعروفـين بجماعة إيـلي حبيقة إلى مخيـم شـاتيلا مـن جنوبـه، ووصل في نفـس الوقت جـورج سـكّر(جيسي) إلى مقـرّ قيـادة الجنـرال يـارون مـن أجـل تأمـين الاتّصـال، وكانـوا موزّعـين على **ثلاث مجمـوعات**:

١. **مجموعـة (جـورج ملكـو)**: الّذي كان مقـرّ قيادتـه في مقـرّ السريـان، قريبـاً من مستشـفى (اوتيـل ديو).

٢. **مجموعـة ميشـال زويـن**: الّذي كان مقـرّ قيادتـه على مرتفـع يـشرف على سـكّة الحديـد القديمة.

٣. **مجموعـة مـارون مشـعلاني**: الّذي كان مقرّ قيادته في مدرسـة قديمة في الكرنتينا قريبـاً مـن مقرّ قيادة القـوّات اللبنانيّة، ويقـول الان منيارغ:

«كان معظم هؤلاء من رعاع الحرب، شاركوا في حرب السنتين ١٩٧٥ و١٩٧٦، وكانوا ينتمون إلى فئات اجتماعيّة فقيرة، وهم محترفو قتل، وكانوا يمارسون عمليّات السّرقة والنّهب، وتجارة المخدّرات، ومارسوا دور القتلة المستأجرين لمن يدفع لهم أكثر.

نزل هؤلاء من الشّاحنات دون أنّ يعلموا أنّهم المجموعة الثّالثة الّتي تدخل المخيّمات الفلسطينيّة امام المداخل الجنوبيّة لمخيّمي صبرا وشاتيلا قبل السّاعه السّادسة من مساء يوم الخميس ١٩٨٢/٩/١٦، وكان الضّباط الإسرائيليون يستطيعون مراقبتهم بمناظير ليليّة من فوق سطح المبنى حيث مقرّ قيادة الجنرال يارون. وبعد أقلّ من ساعة وصل المبنى إيلي حبيقة، وتحدّث مع يارون بالإنجليزيّة، ثم غادر بعد ساعة، حيث ذهب لتناول العشاء في منزل أمين ا الجميّل.

وفي تلك اللحظة اغتنم (٨٢ جريحاً) حلول الظلام، وتسلّلوا إلى مستشفى غزة، وهناك طلب ضابط الارتباط جورج سكر (جيسي) من الاسرائيليين إطلاق قذائف الاضاءة فوق المخيّمات، فقامت طائرات على التوالي بالقاء قنابل مضيئة بالماغنيسيوم فوق مخيمي صبرا وشاتيلا وتواصلت المذبحة.

أشرقت شمس يوم الجمعة ١٩٨٢/٩/١٧ في بيروت الغربيّة على شوارع شبه خالية بسبب منع التّجوّل الّذي فرضه الاسرائيليون، السّيّارات الوحيدة الّتي كانت تتجوّل هي سيارات الصّحفيين.

وبالرغم من منع التجول ظهرت في شوارع ضيقة قرب المزرعة مجموعة من النّساء الفلسطينيات المنكوشات الشّعر الباكيات وهن يصرخن:

«الكتائب يذبحون النساء والأطفال والشّيوخ والرّجال في صبرا وشاتيلا».
كان الاسرائيليون يطلبون بمكبرات الصّوت من الرّجال أن يخرجوا من بيوتهم،

حيث جرى تجميع أكثر من ألف شخص لاستجوابهم في الكرنيش قبل ظهر ١٩٨٢/٩/١٧م عملا بأوامر فادي أفرام وفؤاد أبو ناضر.

انتقلت القوّات الموجودة في الثّكنات -على رأسها مجموعة ثكنة اودنيس بقيادة أنور، وتوجهّت إلى المطار بعد أن مرّت بالشويفات، وكان هناك حوالي ألف رجل، وكان هناك الشّرطة العسكريّةالكتائبيّة بقيادة جليبرغوسطين.

في المطار هبطت طائرة رفائيل إتيان ومعه موشيه ليفي، و أوري ساغي، وامنون ليبكتر عند السّاعة الثّالثة والنّصف من بعد ظهر الجمعة ١٩٨٢/٩/١٧م، فأبلغه أمير دوري بأن القوّات اللبنانيّة الكتائبيّة تمارس اعمال تنكيل ضدّ المدنيين في المخيّمات الفلسطينيّة، فلم يصدر عن رئيس الأركان أيّ تعليق، ثم استقبله فادي أفرام، وانطوان بريدي (توتو)، وفؤاد أبوناضر، ودوري (وليد فارس)، وبعد عرض سريع للمستجدات على الارض قال رفائيل إتيان:

«يجب أنّ يكون وجودكم هناك كثيفاً، أهنئكم على العمل النّظيف والفعّال الّذي قمتم به حتّى الآن».

فقال فؤاد أبو ناضر:

«المخيّمات فارغة لايوجد فيها أيّة عناصر مسلّحة».

لكنّ إيتان تجاهل ذلك، وقال:

«اطلبوا من عاموس يارون كلّ الدّعم اللوجستي الّذي يحتاجون إليه»، فقال فؤاد أبوناضر.

كان الشّيخ بشير يقول دائماً إنّه يريد أن يسحق مخيّمي صبرا وشاتيلا،

ويقيم مكانهما حديقة حيوانات... فهل يمكننا أنّ نستعين بجرافاتكم لتحقيق رغبة الشّيخ بشير»، فقال إيتان:

«سنعطيكم كلّ ما تريدون».

قال فادي آفرام: «نحن نريد أنّ نبقى في المخيّمات حتّى صباح الغد، لهذا سنبقى في المخيّمات».

أمر إيلي حبيقه رجاله بالانسحاب من المخيّمين عند السّاعة الخامسة عصر الجمعة على أنّ يدخل مكانهم جلبير غوسطيين وشرطته العسكريّة.

دخلت الشّرطة العسكريّة الكتائبيّة للقوّات اللبنانيّة في السّاعة السّادسة عصراً، لكنّ رجال حبيقة لم يخرجوا.

مساء السبت ١٨/ ٩/ ١٩٨٢م... كانت تلفزيونات العالم بثت خبر المذبحة.

الخلاصة -أعداد الضّحايا

لا يعـرف بوضوح عدد الشّـهداء في المذبحـة، وتتراوح التقديـرات بين (٣٥٠٠ - ٥٠٠٠) شـهيد مـن الرّجـال والأطفـال والنّسـاء والشّـيوخ العـزل من السّـلاح. أمّا صحيفـة «هآرتـس» فقـد قالت: إنّ القتـلى ربما بلغـوا أربعة آلاف. وأفـاد الصّحفيّ روبـرت فيسـك أنّ أحـد ضبّـاط الميلشـيات المارونيّـة قـال: إنّهـم قتلـوا (٢٠٠٠) «فلسـطينيّ»، أمّـا الصّحـفيّ الاسرائيـليّ الفرنـسي أمنـون كابليـوك فقـال في كتاب نـشره عـن المذبحة: إنّ الصّليب الاحمر جمـع (٣٠٠٠) جثّة اضافيّة ممايشـير إلى (٣٠٠٠) قتيـل في المذبحـة على الأقـلّ ويقسـم الضحايـا إلى مايلي:

- ٢١٢ جثّة دفنت في مقابر جماعيّة.
- ٣٠٢ جثّة تمّ التّعرفّ عليها.
- ٢٤٨ جثّة شخص حرقت، ودفنت في مقابر جماعيّة.
- ١٢٠٠ جثّة استلمهم أهاليهم، وقاموا بدفنهم في مقابر خاصّة.
- ١٧١جثّة أخرجت من تحت الأنقاض دون معرفة هوياتهم.
- والأعداد الباقية سجلّت في عداد المفقودين.

ربمـا أنّ هنـاك من يـرى أنّ لا أدخل بتفاصيل هذه المذبحة لاسـباب سياسـيّة أو مـن أجـل النّسـيان، وعدم فتـح الجـروح، لكنني مازلـت أعيش تلك الوحشـيّة والقسـاوة والاجرام الّذي مارسـه الإسرائيليـون، والحاقدون من الكتائـب اللبنانيّة،

وعصابـة سـعد حداد، وغيرهـم من مجـرمي الحرب، والّذين كان على رأسـهم شـارون ورفائيـل اتيـان وبيغـن ومـن سـكت عنهم مـن الاميريكيـين والقوّات المشـتركة الإيطاليّة والفرنسـيّة.

إنّ الحديـث عـن مجـزرة صـبرا وشـاتيلا، يضعـني في دوّامـة البحـث المؤلـم عـن سـبب هـذه المجـزرة ضـدّ أنـاس لا يحملـون أيّ سـلاح ومعظمهـم أطفـال ونسـاء وشـيوخ... ولا أدري إنّ كان هـذا العمـل إسـتكمالاً للمجـازر الّـتي عاشـها الفلسـطينيون في فلسـطين المحتلّـة وغيرهـا... أمّ تفريـغ لشـحنات مـن الجنـون والغضـب لأنّ أعـداء الشّـعب الفلسـطينيّ لـم يحقّقـوا أهدافهـم.

وربمـا قـد أختصرت بعـض العناوين أو الموضـوعات، لكّن اختصـاراتي هذه للأحـداث لا تغيّب صـورة الجريمة الكبرى.

هذا جزء من الهلوكست الفلسطينيّ.

لجنة كاهان جزء وشريك في المذبحة

نتيجة للضّجة العالميّة، بما تناولته وسائل الإعلام، وظهور حجم الجريمة الّتي لا يمكنّ إخفاؤها، وتحميل المسؤوليّة الأولى للقوّات الإسرائيليّة وشارون ورفائيل إيتان، قرّرت الحكومة الإسرائيليّة امتصاص ردود الفعل بالإعلان عن تشكيل (لجنّة تحقيق إسرائيليّة) بموافقة بيغن وشارون وشامير، وكان يرأس هذه اللّجنة (إسحق كاهانا) رئيس محكمة العدل العليا، ومعه أهارون براك قاضي محكمة العدل العليا كعضو في اللجنة، ويونا أفرات ميجر جنرال احتياط، كعضو في اللجنة أيّضاً.

عقدت اللّجنة (٦٠) جلسة، واستمعت إلى أقوال (٥٨) شاهداً، واستجوبت (٢٤) شخصاً، وأنجزت (١٢) ألف صفحة من الوثائق والشّهادات.

وقد حدّد مجلس الوزراء الإسرائيلي مسبقاً هدف اللّجنة، حيث كلّفت بما يلي:

المسألة الّتي ستخضع للتّحقيق في جميع الحقائق، والعوامل المرتبطة بالأعمال الوحشيّة الّتي ارتكبتها (القوّات اللبنانيّة) ضدّ السّكّان المدنيين في مخيّمي صبرا وشاتيلا، هذه الأعمال ارتكبت بين يوم الخميس ١٩٨٢/٩/١٦ ويوم السّبت ١٩٨٢/٩/١٨، ويعني مصطلح القوّات اللبنانيّة قوّة مسلّحة تعرف باسم الكتائب، والتّحقيق (مسبقاً) يقتصر على الأعمال الوحشيّة الّتي ارتكبتها (وحدة واحدة) من (القوّات اللبنانيّة).

وقـد صـدر التّقريـر في شـباط ١٩٨٣ تحـت عنـوان: «**الأحـداث في مخيّمـات اللآجئـين**»

وممّا يلاحظ ما يلي:

- أنّ الحكومـة الإسرائيليّـة هي الّـتي شـكّلت اللّجنـة، بمعـنى أنّ الحكومـة نفسـها هي الّـتي عينـت هـذه اللّجنـة، ولـم تكـن مسـتقلّة عـن رأي الحكومـة.

- الحكومـة حـدّدت أنّ هـدف اللّجنـة هـو التّحقيـق في الأعمال الوحشـيّة الّـتي ارتكبتهـا (وحـدة في القـوّات اللبنانيّـة)، وهنـا تكـون الحكومـة قد اسـتبعدت الدّور الإسرائيـليّ في المذبحـة سـواء بدخول جواسيسـها وعملائها وعناصرهـا، وحـتّى أنّهـا ابتعـدت عن مجموعة سـعد حـدّاد بحكـم إشرافها عليهـا بشـكل مبـاشر، وكذلك اختصـار كلّ المشـاركين في المذبحـة على وحدة واحـدة مـن قـوّات الكتائـب، وحـصر الجرائم في هـذه الوحـدة فقط.

- تعمّدت اللّجنة تقزيم الجريمة إلى تسميتها بالأعمال والأحداث.

- تـمّ شـطب الصفـة الملازمـة لمخيّـمي صـبرا وشـاتيلا بأنّهمـا مخيّمـان فلسـطينيا ن .

- رغـم الفضائـح المدوّيـة إلّا أنّ نـصّ التّقريـر ابتعد عن الجريمـة من خلال الإعـلان عن عـدّة جلسـات مـع الشّـهود، وهي خاصّـة بالأمـن الإسرائيليّ، والّـتي لـم ينـشر منهـا شـيئاً وأنّهـا أمـور سرّيّـة، وفقـط مـا أشـارت إليـه الصّحف ووسـائل الإعـلام دون تحديد المسـؤوليّة الإسرائيليّـة عن الجريمة، وإخفـاء كافّـة التّفاصيـل الّـتي لم تعلـن في التقريـر وهذه التفاصيـل هي الّتي توضّـح حقيقـة الجريمـة الّـتي ارتكبتهـا الجهـات الإجراميّة الثّـلاث حيث تـمّ إخفاؤهـا والابتعـاد عنهـا ولا وجـود لهـا في التقرير.

- إنّ جميع المشاركين الّذين خطّطوا للمذبحة، والمشاركين فيها مباشرة، مثل: مناحيم بيغن، وارئيل شارون، وإسحق شامير، ورفائيل إيتان، وأمير درووري، وعاموس يارون، واسحق حوفي، وموشي ليفي، ويهوشع ساغي، وايجي دوداي، وديفيد كمجي، وإبراهام شالوم، وأمنون ليبكز، وغيرهم، أو الّذين قاموا بالتّغطية الدّبلوماسيّة والإعلاميّة على حقيقة الجرائم كلّهم يكذبون.. ويغتابون.. وينظرون إلى العالم على أنّه مجموعة من السّذّج الّذين يمكن أن تنطلي عليهم الأكاذيب الإسرائيليّة.

إنّ أكبر الأكاذيب هي الّتي فبركها كلًّا من شارون وبيغن وإيتان ودوري وعاموس يارون. والنكتة الأكبر والكذبة المكشوفة هي الّتي تقول:

«إنّ رئيس وزراء إسرائيل بيغن لم يسمع بالمذبحة سوى يوم السّبت من الإذاعة البريطانيّة حتّى أنّ التقرير كان يفضح هؤلاء بحدود ما سمحت الحكومة بالإعلان عنه، وقد أخفى التّقرير الكثير بحجّة الحرص على (أمن الدّولة الإسرائيليّة).

استعملت الحكومة الإسرائيليّة كلّ وسائل اللّف والدّوران وطرق التّزوير وقلب الحقائق، وتوجيه الشّهود، والّتي حاول التّقرير تبرئة دولة إسرائيل من المسؤوليّة المباشرة، واستنفاذ كلّ الأساليب الدّبلوماسيّة والإعلاميّة المزوّرة لتحقيق ذلك مع الإخفاء الكامل عن مشاركة (وحدة الإستطلاع التابعة للمغاوير) الإسرائيليّة في المذبحة منذ البداية بشكل مباشر في يوم الأربعاء ١٩٨٢/٩/١٥؛ لأنّها مسأله سرّيّة تتعلّق بأمن الدّولة!!

كانت مهمّة لجنة كاهانا تهدف من التّحقيق تلبيس الجريمة إلى وحدة واحدة من وحدات القوّات اللبنانيّة، أيّ وحدة (إيلي حبيقة)، ونسبتها إلى

عناصر غير منضبطة في القوّات اللبنانيّة كما صرّح بيير الجميّل نفسه حين قال:

«هناك عملاء لإسرائيل في القوّات اللبنانيّة»، كذلك حين فرح فادي أفرام بسماع الإذاعات الّتي كانت تشير إلى مشاركة (قوّات لبنان الجنوبيّ)، فقام هو بنفسه بتضخيم دور سعد حدّاد لإخفاء دور القوّات اللبنانيّة بالمذبحة.

لقد أنكرت إسرائيل دورها في المذبحة، وبالطّبع هو الدّور المشرف والمشارك والمنظّم، وكذلك القوّات الكتائبيّة نفت مع كلّ الحقائق العلنيّة والسّرّيّة الكاملة مشاركة مجرميّ الكتائب في هذه المهمّة.

وفي نفس الوقت نفى سعد حدّاد مشاركة عناصره في المذبحة، وكذلك فعل الوطنيون الأحرار، وكميل شمعون، وكان همّهم قتل أربعة آلاف فلسطيني... لكنّ وللتأكيد على الحقائق الثابتة فإنّ المشاركين هم القتلة المباشرون: (شارون، وبيغن، ورفائيل إيتان، ويهوشع ساغي، وأمير درورين عاموس يارون، وابراهام شالوم، وامنون ليبكنز، وبيير الجميّل، كميل شمعون، وأمين الجميّل، وفادي أفرام، وفؤاد أبو ناضر، وإيلي حبيقة، وجورج سكر، وبيير يزبك، ووليد فارس، وألفرد ماضي، وجوزيف أبو خليل وكريم بقرادوني، وزاهي البستاني، وإيلي وازن، وسليم الجاهل) وغيرهم كلهم كانوا يعلمون بالمذبحة، وبعضهم شارك في القتل، وبعضهم شارك في التّخطيط، وبعضهم شارك في مراقبة التّنفيذ، وليس صحيحاً أنّ هناك قوّات نظاميّة في القوّات اللبنانيّة وقوّات غير نظاميّة.

حاول تقرير كاهانا التّركيز على وجود ألفيّ مسلّح فلسطينيّ في المخيّمين ظلّوا بعد رحيل الفدائيين الفلسطينيين، وأنّ الهدف من احتلال بيروت هو اعتقال هؤلاء، والبحث عن المخازن لأسلحة م.ت.ف قبل خروجها.

وللتّغطيـة على القتـلى زعمـت إسرائيـل أن القـوّات اللبنانيّـة داخـل صـبرا وشـاتيلا خاضـت معـارك طاحنـة... حسـب مـا قال لهـا إيلي حبيقـة وفـادي أفرام وأبـو نـاضر وجـورج سـكّر وغيرهم.

والحقيقـة المعروفـه هي أنّ الجيـش الإسرائيـلي كان يراقـب مـا يجـري خطوة خطـوة، ولـم يرَ جنوده سـوى قتله يذبحون النسـاء والأطفـال والشّـيوخ، ولم يكن هنـاك فـدائيّ واحـد في المخيّمـين، وبكلّ بسـاطة أبـدى هـؤلاء القتلـة بطولاتهم مـع كلّ المشـاركين في القـوّات الإسرائيليّـة، والكتائـب اللبنانيّـة، وجيـش سـعد حـدّاد، ونمـور شـمعون، وحـرّاس الأرز حيـث خاضـوا معـارك طاحنـة وبطولات مـع الأطفال والنّسـاء والشّـيوخ والأطباء والممرّضـات والمعلّمين في صبرا وشـاتيلا.

مـن الأهـداف الرئيسـة للمذبحـة: اسـتحضار المذابـح الإسرائيليّـة في ديـر ياسـين وطنطـورة حيفـا والدّوايمـة، ونقلهـا إلى مخيّمـات لبنـان مـن أجـل دفع من تبـقّى منهـم للهـرب إلى الخـارج. وكمـا قـال الوزيـر الإسرائيـلي يعقوب مـيردور:

«ليكـون المخيّمـان نموذجـاً لبـاقي المخيّمـات الفلسـطينيّة في لبنـان في إطار خطّـة الإبـادة التدّريجيّـة»، أو كمـا وصفها بشـير الجميّـل قبل مصرعـه بيومين أمام شـارون في مـنزله في بكفيا:

«نريـد القضـاء مثلكـم على نصـف مليون فلسـطينيّ وفـق سياسـة الخطّوة خطـوة، فهدفنـا نحـن والإسرائيليين واحـد». وهـذا يتوافق مـع الخطّـة الإسرائيليّة الّـتي وضعها شـارون وإيتـان أيّ الإبادة التدريجيّـة للمخيّمات بالقـوّة، وإلّا ما معنى تجهـيز (١٧) جرّافـة للمخيّمـين، والّتي كانت مهمّتهـا تدمير البيوت، ودفن الشّـهداء والشّـهيدات جماعيّاً.

لقـد دمّر الإسرائيليون بالطّائـرات مخيّم النّبطيّـة عام ١٩٧٤، ولم يعد له وجود

ومـن خـلال المستشـارين الإسرائيليين تـمّ تدمير مخيّم تـلّ الزّعتر الفلسـطينيّ عام ١٩٧٦ تدمـيراً كامـلاً، حيث اشـتركت الكتائـب والشـمعونيين ومسـاهمة إسرائيل السّرّيّـة كما صرّح شـارون لاحقـاً... يتذكّر الفلسـطينييون ما سـبق، وذكرنا ما قاله بشـير الجميّل:

«سأجعل مخيميّ صبرا وشاتيلا حديقة للحيوانات أو ملعباً للغولف».

أمّـا شـارون فقـد قـال أمـام لجنـة التّحقيق، حين سـئل عـن كيفيّـة معاملة القـوّات اللبنانيّـة (لـلأسرى الفلسـطينيين) الّذين يقبعـون في الأسر:

«أطلـب الإجابـة على هـذا السّـؤال في التّحقيـق المغلـق»، أمّا ما قاله شـارون في التّحقيـق المغلـق فلا أحـد يعرف!!

لقـد اخترع شـارون كذبة وجود ألفيّ فدائي فلسـطينيّ، ولـم يذكر أن الجيش الإسرائيليّ منـع المدنيين من الخروج مـن المخيّمين.

قـال شـارون إنّ أمـين الجميّـل شـخصيّاً أعلـن خـلال جنـازة أخيـه، عـن «رغبتـه في الثّـأر».

كذب شارون مجدّداً من خلال تضخيم الوضع المدنيّ في صبرا وشاتيلا، بقوله:

«إنّ هنـاك (٢٣٠٠) مـنزل في شـاتيلا وحده»، وأضاف علينـا أنّ نتذكر أنّ هذه الضّـواحي تتكـوّن في بيـوت تقع تحتها أنفـاق، وهناك عدّة طوابق تحت الأرض!!».

إنّ الصّحيـح أنّ معظـم البيـوت تتكـوّن مـن طابـق واحد أشـبه بالسّـقائف، وهنـاك بيـوت محـدودة تتكـوّن مـن طابقـين أو أكـثر، ومن المعـروف، -وقـد ذكرنا ذلـك- أنّ المكتـب الثّـاني اللبنـانيّ كان يمنـع وضـع طوبـة جديـدة أو مسـماراً في

المخيّـم... فمـن أين أتـت البنايـات ذات الطّوابق السّـفليّة...كان شـارون يهدف إلى تحويـل مخيّـميّ صبرا وشـاتيلا إلى ثكنتين عسـكريتين.

مجـدّداً كـذب شـارون حـين ادّعى أنّه علـم (بوقوع أحـداث غـير عاديّة) في السّـاعة الثّامنـة والنّصف أو التّاسـعة يوم الجمعـة ١٩٨٢/٩/١٧م، وقـال: «إنّ رفائيل (رئيـس الأركان) أبلغـه أنّ الكتائـب أعتـدت على (المدنيين بصورة مبالـغ فيها...».

إنّ من المعروف والمؤكّد والمشـار إليه أنّ شـارون هو المخطّـط الأوّل للمذبحة، وهـو المراقـب المباشر للتّنفيـذ حيـث شـاهد كل مـا يحـدث مـن على بنايـة القيادة الإسرائيليّـة بالعـين المجـرّدة، ولم يكـن بحاجـة إلى المناظير العسـكريّة لذلك منذ الأربعـاء ١٩٨٢/٩/١٥م وعندمـا كانـت لجنة التّحقيق تسـأل أسـئلة محـدّدة ومحرجة، كان يتعلّـل بضعف الذّاكـرة، أو يجيب:

«سـأقول ذلـك في التّحقيـق الـسّرّيّ لأنّ الأجوبـة تتعلـق بأمـن الدّولـة الإسرائيليّـة».

وكـذب كلّ مـن أمـير دروري، وعامـوس يـارون، وأبي غروبسـكي، لكـنّ الابتـذال في الكـذب والخـداع ليس أسـوء ممّـا قاله رئيـس الـوزراء مناحيم بيغن الّذي قـال أمـام اللّجنة:

«أنّـه علـم بدخول قـوّات حـزب الكتائـب إلى المخيّمـات بعد ظهر السّـبت فقـط»، وعندمـا سـئل من قبـل لجنـة التّحقيق:

«متى علمت للمرّة الأولى بالأحداث في المخيّمات؟»، قال بيغن:

«سـمعت ذلـك مسـاء السّـبت ١٩٨٢/٩/١٨م من محطّـة الإذاعـة البريطانيّة!»، وهكـذا أكمـل كلّ فريـق كذبـة بشـأن المذبحـة، ولـم يكتفـوا بذلـك بـلّ حاولت

لجنة كاهان بكلّ الوسائل تبرئة جيش لبنان الجنوبيّ (جماعة سعد حدّاد) اعتماداً على حديثه مباشرة بأنّه كان في بيروت ليعزّي آل الجميّل فقط!!

لكنّ ظهرت اعترافات صريحة بعد ذلك من بعض الكتائبيين والشّمعونيين وحراس الأرز وجماعة سعد حدّاد بوسائل الإعلام أنّهم شاركوا في الجريمة، أمّا تحقيقات لجنة كاهان حول دور شارون وإيتان والقوّات الإسرائيليّة فما زالت في الأرشيف السّرّيّ في إحدى الخزائن الحديديّة.

إنّ من المفيد تقديم إختصار بشهادة رفائيل إيتان الّتي وردت في (مذكرات الجنرال رفائيل إيتان) حيث قال:

«دخلنا معركة حصار بيروت عام ١٩٨٢ من أجلنا نحن الإسرائيليين، ولم ندخلها من أجل عيون المسيحيين في لبنان، كما أنّنا لم نقم بأيّة عمليّة، ولم نخض أيّة معركة كانت نتائجها لصالحهم أو لأجلهم»، وإيتان القائل:

«العرب، صراصير في زجاجة»، وهو صاحب التّاريخ الدمويّ ضدّ الفلسطينيين، والمشارك الرّئيس في العديد من المذابح كقساريّة، وحي القطمون، وبيت نتيف، وبئر السّبع، وطبريا، والعمليات الانتقاميّة في غرندل، وحوسان، وقلقيلية... وشارك في تدمير (١٧) طائرة مدنيّة تابعة لشركة الشّرق الأوسط اللبنانيّة، وتدمير المفاعل النّووي العراقيّ.

لقد جمّل حديثة بدون خجل أمام لجنة التّحقيق بالكذب والتّواصل بالكذب عن الأحداث كافّة. أمّا شهادات النّاجين من المذبحة فهي كثيرة، وحقيقية ومؤلمة ألماً لا يسمح لنا بأن ننسى أو نغفر أو نسامح مهما كانت الفترة الزّمنيّة طالت أم قصرت، ورغم البعد الزّمنيّ إلّا أنّنا حتّى هذه اللّحظة نعيش ألم تلك المذبحة الجريمة.

جميعهم مجرمون متورطون مشاركون في الجريمة

لم تكن مذبحة صبرا وشاتيلا عملا مباشراً انتقاماً لمقتل بشير الجميّل الّذي ظهرت عدة احتمالات لقتله وأهمها عدم رضى الصديق عنه... كون هذه العملية كان مخططاً لها ومعداً لها وهي مدبرة بمشاركة الاسرائيليين أوّلاً وعلى رأسهم شارون الّذي كان يتضور من الغيظ طيلة هذه الحرب وكذلك الحقد الدّفين لدى الكتائب الّذين تمّ حصرهم لولا التّدخل السّوريّ ومن بعده التّدخل الإسرائيليّ.

لقد بلّغ الإسرائيليون الكتائب بوجوب دخولهم إلى المخيّمين صباح يوم الأربعاء ١٥/ ٩/ ١٩٨٢ قبل دخول الجيش الاسرائيلي لبيروت الغربيّة بساعة ونصف الساعة، وكان الكتائبيون سعداء بهذه المهمة والّتي سبق وتمّ الاتّفاق عليها مع بشير الجميّل قبل قتله، فقام الكتائبيون والقوّات اللبنانيّة الأخرى بتنظيم عرض عسكريّ في بيروت الشرقية، استعرض فيه الكتائبيون ترتيب قوّاتهم ودبابات شتيرن الّتي حصلوا عليها من الإسرائيليين، وكذلك تمّ عرض أنواع عديدة من الأسلحة الّتي زوّدتهم بها إسرائيل.

لقد كانوا بهذا العرض يعلنون عن المهمّة الّتي كلّفهم بها الإسرائيليون، وهي تصفية كلّ حياة في مخيم صبرا وشاتيلا.

وبعد أنّ أحكمت القوّات الإسرائيليّة سيطرتها على بيروت الغربيّة بتاريخ

١٦/ ٩/ ١٩٨٢ ظهر الموقف الأمريكيّ المتردّد والمتناقض والمرتبك، فهم الّذين أمرو رجال المارينز بالانسحاب من بيروت وكذلك فعلت القوّات الفرنسيّة والايطاليّة، فأخلت الساحة للجيش الإسرائيليّ الّذي يريد منه شارون الارتواء من الدم الفلسطيني. فبينما طلب البيت الابيض من إسرائيل أنّ تسحب قوّاتها من غرب بيروت خرج تصريح للرّئيس الأميريكي في اليوم نفسه يقول بأنّ:

«ما دفع الاسرائيليين للتّقدّم غربيّ بيروت هو قيام المليشيات اليسارية بمهاجمة القوّات الإسرائيليّة» هذا الموقف أظهر الارتباك في الموقف الامريكيّ، وحفز قيادة الجيش الإسرائيليّ المضي قدماً في تحقيق أهدافها.

وجرت اللقاءات بين شارون وموفد الرّئيس الأمريكيّ ريغان إلى الشّرق الأوسط السّفير موريس درايبر، وفي أحد اللقاءات وبحضور السّفير الأميريكي سام لويس ورئيس الأركان رفائيل إتيان ورئيس الاستخبارات العسكريّة يهوشواع ساغيّ ذكرّ درايبر بموقف بلاده المطالب بالانسحاب من بيروت.

ورد شارون بحزم:

«إنّ الارهابيين لايزالون في العاصمة اللبنانيّة مؤكّداً أنّهم يملكون أسماءهم، وأنّ عددهم يتراوح بين (٢٠٠٠) و (٣٠٠٠) مقاتل».

وتساءل:

«من سيتولّى أمر المخيّمات ؟» فأجابة رايبر:

«بأنّ الجيش وقوى الأمن اللبنانيّ سيقومان بذلك».

وهنا أصرّ شارون على دخول المخيمات قائلاً:

«إنّ هـذا الأمـر يجب أن يكـون مـن أولى اهتمامـات الولايـات المتّحـدة الأمريكـيّـة أيضـاً»، قبـل الإسرائيليـون الانسـحاب مـن بـيروت بـشرط إعطائهم مهلـة ٢٤ سـاعة، وكانـت المفاجأة لدرايبر حيث شـدّد على أنّ خطّة الانسـحاب يجب أنّ تطّبـق في غضـون ٤٨ سـاعة، ولـم يترك شـارون الاجتمـاع إلّا بعـد أنّ تأكّد من عـدم وجـود أيّ التباس في موقـف المبعوث الاميريكـي موضّحاً أسـماء المخيّمات الّـتي سـيدخلها وهي: صبرا وشـاتيلا، وبـرج البراجنـة، والفاكهاني».

وبادره درايبر بالقول:

«لكـنّ البعـض سـيزعم أنّ الجيـش الإسرائيـليّ بـاق في بـيروت لكي يسـمح للبنانيـين بقتـل الفلسـطينيين»، فمـا كان مـن شـارون إلّا أن ردّ قائـلاً:

«سـنقتلهم نحـن إذاً، لـن نبقي على أحد منهم، لن نسـمح لكـم (أيّ الولايات المتّحـدة) بإنقـاذ هـؤلاء الإرهابيـين»... ورغـم وقاحـة شـارون ورده المفـاجئ إلّا أنّ المفاجـأة أتت مـن درايـبر الّذي قال:

«لسنا مهتمّين بإنقاذ أحد من هؤلاء».

وفي مذكرات وزير الخارجيّة جورج شولتز كتب يقول:

«الإسرائيليـون قالـوا لنـا أنّهم يدخلـون بيروت لتفـادي حمـام دم، لكنّه تبيّن أنهـم سـهّلوا هـذا الأمـر، وربمـا أيضـاً تسـبّبوا بـه، وبسـبب أن واشـنطن وثقـت بحلفائهـا أصبحنـا مسـؤولين «جزئيّـاً» عن «المذبحة» هـذا ما ورد في مقالـة نيويورك تايمـز بتاريـخ ١٧/ ٩/ ٢٠١٢ تحـت عنـوان المذبحـة الّـتي كان يمكـن تفاديها.

انتشار الجيّش اللبنانيّ بالتّنسيق مع الجيّش الإسرائيليّ في بيروت الغربيّة

تحـرّك الجيّش اللبنـانيّ بعـد موافقة الجيّـش الاسرائيـلي والتّنسـيق معه نحو بـيروت الغربيّـة حيث قام الجيّـش بإزالـة العوائق والأتربـة والألغام من الشّـوارع كخطـوة أولى، ولـم يكـن معروفاً لعامّة النّـاس هويّة هـذا الجيّش اللبنـانيّ وبإمّرة مـن كان يأتمـر، والواضـح أنّه كان يجري تنسـيقاً كاملاً مـع الكتائـب اللبنانيّة. ومع كلّ ذلـك فقـدّ عمـدت قـوّات الحركـة الوطنيّـة إلى عـدم الاصطـدام معـه، وكذلك فعـل المرابطـون حيـث خاطبهـم قائـد الجيّـش العماد ميشـيل عون بـضرورة عدم اعـتراض الجيّـش في مهمّته.

اسـتولى الجيش أثنـاء تقدّمـه في بـيروت الغربيّـة على كميّـات مـن الذّخائر والأسـلحة بعـد عمليّـات تفتيـش شـملت عـدّة مبانٍ ومسـتودعات، وفي نفـس الوقـت اسـتقرّ الجيّـش في مواقـع جديدة حيـث كانت القـوّات المتعدّدة الجّنسـيّات وبعـد مجـزرة صـبرا وشـاتيلّا اتّخذ الجيّـش اللبنـانيّ عبر لجنـة الاتّصال العسـكريّة اللبنانيّـة الإسرائيليّة الّـتي عقدت اجتمـاعاً خاصّاً واتّخذت قـراراً بدخول وحدات مـن الجيّش اللبنـانيّ المخيّمين، وبهذا دخـل الجيّش اللبنـانيّ إلى المخيّمين وإلى جميع أحياء بـيروت الغربيّـة والضّاحيـة الجنوبيّة.

رافق انتشـار الجيّـش مداهمات لمختلف المؤسّسـات والمسـتودعات والمنازل، وشـمل ذلـك أيضـاً مداهمـة بعـض مراكز الصّحـف كمجلـة (الـشراع) و(صباح الخـير) النّاطقـة باسـم الحـزب القـوميّ السّـوريّ الاجتمـاعيّ، و(جريـدة السـفير)

ومكاتـب مجلة (بيروت المسـاء)، و(مجلة النـداء) التّابعة للحزب الشـيوعي اللبنانيّ، وكذلـك (مجلـة الرّايـة)، وفي ١٩٨٢/٨/٢ داهمـت (مركـز الابحـاث الفلسـطينيّ)، وعبـث الجيـش في كلّ المقـرات السّـابقة، وخاصـة(مركـز الابحاث).

لقـد كانـت الفاجـأة مداهمـة الجيـش اللبنـانيّ لمـنزل الرّئيس رشـيد كرامي، ومقـر رابطـة الشّـغيلة ذات الصّلـة بالنائـب زاهـر الخطيـب، ورافـق الحملـة هدم أكـثر مـن (٤٠٠) مـنزل ومحـلّ تجـاريّ في المنطقـة الممتـدة مـن الحسـينيّة في منطقة الرّمـل العـالي، والّـتي أصبحـت الآن (حسـينيّة الرّسـول الأعظـم) والى حسـينيّة الكـورابي الى تلّـة الكوكـودي في الجانـب الـشّرقيّ مـن طريـق المطـار امتـداداً على الطّريـق الجنـوبي من نزلة الحسـينيّة وشـارع عين الدّلية، وكان سـكّان هـذه المنطقة مـن الشّـيعة الفقـراء الّذيـن قدمـوا مـن بعلبـك وضواحيها.

أنـذر الجيـش اللبنـانيّ السّـكانّ الّذيـن لـم تهـدم منازلهـم بوجـوب إخلائها، وظنّـاً مـن سـكان تلـك المنـازل أنّ هذا جيـش كلّ لبنـان الدّيمقـراطيّ فقـد قامت النّسـاء بالاحتجـاج على تشريدهـن وعائلاتهـن من المنـازل الّتي كـنّ لايملكن لهـا بديـلاً، حيـث جلسـن في وسـط الطّريق امـام آليات الجيـش والجرافـات، فقام الجنـود، وبأمـر القيادة العليا في الجيش بسـحبهنّ من شـعورهن، وإطـلاق الرّصاص بكثافـة لتفريقهـن، كمـا اعتـدوا على بعض الشّـباب الّذيـن حاولـوا التّدخّل.

وفي ١٩٨٢/١٠/١٥م دخلـت قـوّة من الجيـش منطقة الرّمل العـالي وهي المنطقة الرّمليـة الممتـدّة مـن مطار بـيروت وحتّى مخيم بـرج البراجنـة والضّاحيـة الجنوبيّة، حيـث حـاول بعضهم الاسـتيلاء على الأرض هنـاك، فقامت قوّة مـن الجيش بإخلاء مسـجد المنطقـة مـن محتوياته تمهيـداً لهدمه... (ونوضّـح أنّنا عندما نقول حسـينيّة فـهي مسـجد، والمسـجد (للسـنة) حـاول بعـض النّـاس الاعـتراض ومنـع الهـدم، فقتـل الجيش سـتّة منهم، واعتقل خمسـين شـخصاً.

لقـد قـام الجيـش بعمليّـات دهـم واعتقـالات شـملت عـدداً كبـيراً مـن اللبنانيـيّن والفلسـطينيّين وغيرهـم مـن جنسـيات مختلفـة، وبلـغ عـدد المعتقلين (١٤٤١) حسـب مـا أعلنـه وزيـر الدّفـاع الايطـاليّ (ليليولاغوريـو) الّذي نـفى أمام لجنـة الدّفـاع التّابعة لمجلـس النـّوّاب الايطـاليّ بتاريـخ ١٩٨٢/١٠/١٣ أنّ يكون أيّ جنـدي مـن الوحدة الإيطاليّة قد شـارك في عمليّـات الدّهم تلك، وأعلـن أنّ إيطاليا عـبّرت عـن قلقهـا من هـذه العمليّـات البوليسـية للحكومـة اللبنانيّة والرّئيسـين الفرنـسيّ والأمريكيّ.

لقـد كانـت مداهمـات الجيـش مثـيرة ومرعبـة خاصـة و أنّ بعـض عنـاصر القـوّات اللبنانيّـة كان يرافـق الجيـش في عمليات الدّهـم، وكان الأمر يثـير الرّعب؛ لان الكتائـب كان لديهـم قوائـم بأسـماء الأشـخاص. ومن يتـمّ إلقـاء القبض عليه يتـمّ نقلـه إلى المنطقـة الشّرقيّـة، للتعذيب أو القتـل، ويجب التّوضيح هنـا أنّ الرّتب العليـا في الجيـش اللبنـانيّ هـم مـن المسـيحيين الموارنة الّذيـن كان ولاؤهـم الأكبر للقـوّات اللبنانيّة.

صُـوَر

الرئيس أبو عمار و أبو علاء في رام الله - عام ٢٠٠١

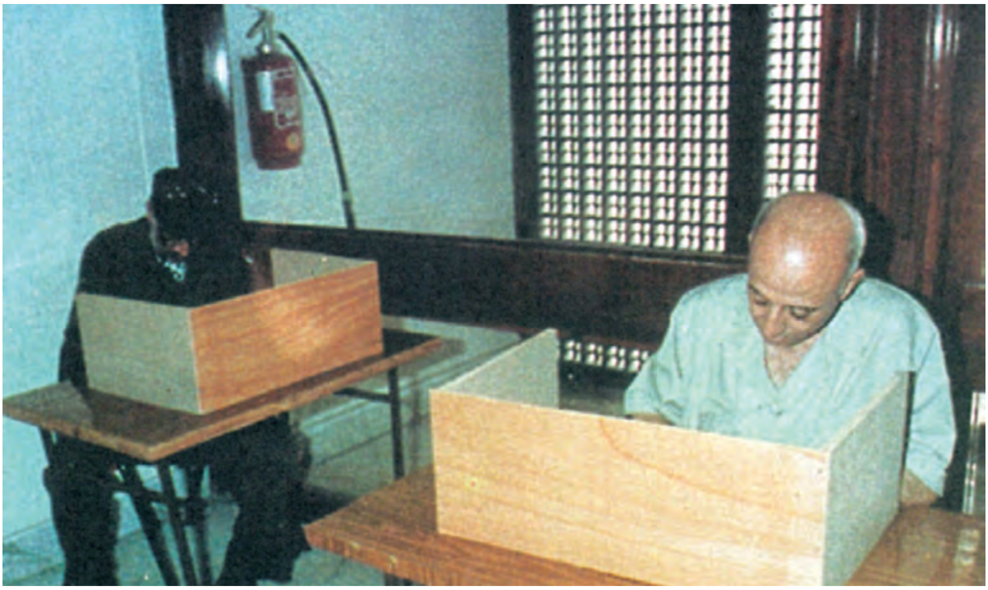

الرئيس أبو عمار و أبو علاء يمارسان حقهما الإنتخابي لإنتخاب قيادة حركة فتح
مؤتمر حركة فتح ١٩٨٩

الرئيس أبو عمار و أبو علاء في زيارة للقائد شفيق الحوت في المستشفى - واي ريفر الولايات المتحدة الأمريكية

الرئيس أبو عمار والشيخ عبد الحميد السايح و أبو علاء وأبو زهدي النشاشيبي
وياسر عبد ربه وسليم الزعنون

الرئيس أبو عمار و أبو علاء وأحمد حماد ومسؤولة قسم المبيعات في معرض " صامد " - بيروت

الرئيس أبو عمار و أبو علاء وسليمان الشرفا ونبيل شعث و الشاعر محمود درويش وعبد الرحيم أحمد و جويد الغصين

الملك فهد بن عبد العزيز خلال استقباله أبو علاء - الرياض

أبو علاء مع الرئيس الشاذلي بن جديد - الجزائر

الرئيس أبو عمار والرئيس الشاذلي بن جديد والشيخ عبد الحميد السايح - الجزائر

الرئيس أبو عمار و علي حسن سلامة و أحمد الأزهري - برلين الشرقية ١٢ نوفمبر ١٩٧١

أبو علاء وملك المغرب " الحسن الثاني " - الرباط

الرئيس أبو عمار ورئيس الوزراء الأردني عبد الهادي المجالي وأبو علاء - عمان

الرئيس المصري محمد حسني والرئيس أبو عمار وأبو علاء - القاهرة

أبو علاء والمستشار الألماني " هيلموت كول " - برلين

الرئيس معمر القذافي يستقبل أبو علاء - طرابلس

رئيس الوزراء الايطالي " أندريوتي "   والرئيس أبو عمار وأبو علاء
والشاعر محمود درويش - ايطاليا

أبو علاء ورئيس الإتحاد السوفيتي " ميخائيل غرباتشوف"

أبو علاء ورئيس الوزراء البريطاني " توني بلير"

أحمد قريع (أبو علاء) ١٩٣٦م - ٢٠٢٣م

- من مواليد أبوديس / القدس.
- شخصية بارزة في العمل السياسي الفلسطيني، تفرغ تماماً لحركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) عام ١٩٦٨، بعد أربعة عشر عاماً قضاها في العمل المصرفي في المملكة العربية السعودية.
- أسس مؤسسة صامد (معامل أبناء شهداء فلسطين) في بيروت في أوائل السبعينيات وشغل منصب مديرها العام حتى توقفها عن العمل نهائياً في (٢٠٠٧/٢٠٠٨).
- تولّى منصب مدير عام دائرة الشؤون الاقتصادية والتخطيط في منظمة التحرير الفلسطينية، حيث عمل من خلال هذه الدائرة على دعم وإنشاء العديد من المشاريع والمؤسسات الفلسطينية في الوطن مثل: الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، مجلس الإسكان الفلسطيني، ومؤسسات الإقراض وغيرها.
- شغل منصب محافظ فلسطين لدى البنك الإسلامي للتنمية منذ ١٩٨٧حتى عام ١٩٩٦.
- عضوٌ في المجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية، وعضوٌ في المجلس الوطني الفلسطيني.
- أُنتخب عضواً في اللجنة المركزية لحركة فتح في آب/ أغسطس عام ١٩٨٩.
- أشرف على إعداد البرنامج العام لإنماء الإقتصاد الوطني الفلسطيني للسنوات ١٩٩٤- ٢٠٠٠.
- شغل منصب المدير العام للمجلس الإقتصادي الفلسطيني للتنمية والإعمار(بكدار).
- عُيّن وزيراً للإقتصاد والتجارة ووزيراً للصناعة في أول حكومة فلسطينية في الفترة (١٩٩٤-١٩٩٦).
- أُنتخب عضوًا في المجلس التشريعي الفلسطيني بعد الإنتخابات العامة الفلسطينية عام ١٩٩٦ عن دائرة محافظة القدس ممثلًا عن حركة فتح، وأُنتخب رئيساً للمجلس التشريعي الفلسطيني عام ١٩٩٦ وظل يشغل هذا المنصب حتى عام ٢٠٠٣.
- تولى منصب رئيس مجلس الوزراء الفلسطيني منذ أكتوبر ٢٠٠٣ وحتى آذار ٢٠٠٦، ترأس خلالها ثلاث حكومات فلسطينية (الحكومة السابعة والحكومة الثامنة والحكومة التاسعة).
- تولى مهمة المفوض العام لمفوضية التعبئة والتنظيم في حركة فتح حتى نهاية عام ٢٠٠٩.
- أُنتخب عضواً في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية وعين رئيساً لدائرة شؤون القدس في منظمة التحرير الفلسطينية في شهر تشرين أول/أكتوبر ٢٠٠٩.
- أُنتخب أمين سر المجلس الاستشاري لحركة التحرير الوطني الفلسطيني عام ٢٠١١.
- ترأس مجلس أمناء جامعة القدس ورئيس مجلس إدارة معهد القدس للدراسات والأبحاث حتى وفاته عام ٢٠٢٣.
- لعب دوراً أساسياً في عملية السلام في الشرق الأوسط حيث شغل منصب المنسق العام للوفود الفلسطينية للمفاوضات المتعددة الأطراف، وترأس الوفد الفلسطيني خلال المباحثات الفلسطينية الإسرائيلية في أوسلو/ النرويج، التي انتهت باتفاق إعلان المبادئ الذي وقّعه بالأحرف الأولى عن الجانب الفلسطيني في العشرين من آب/ أغسطس عام ١٩٩٣. وترأس الفريق الفلسطيني في المفاوضات التي أدت إلى التوقيع على اتفاقية المرحلة الانتقالية الثانية) عام ١٩٩٥، كما ترأس الجانب الفلسطيني في لجنة التوجيه لتنفيذ هذه الاتفاقية. ترأس الوفد الفلسطيني في مباحثات الوضع النهائي مع الإسرائيليين خلال مفاوضات ستوكهولم وشارك في مفاوضات كامب ديفيد عام ٢٠٠٠. وترأس فريق المفاوضات الفلسطيني في المفاوضات الفلسطينية - الإسرائيلية في طابا عام ٢٠٠١، كما ترأس فريق المفاوضات الفلسطيني إلى مفاوضات الوضع النهائي التي انطلقت بعد مؤتمر أنابوليس للسلام في الشرق الأوسط عام ٢٠٠٧.

على دروب الفتح (٤)
زمنُ فتح الكبيرة

واحسب ان هذا الجزء من هذه السلسلة، المقدر لها ان تغطي مرحلة زمنية طويلة، جزء فيه قدر كبير من التوثيق، وقدر أكبر من التحليل والتذكير، ان لم اقل فتح جروح لم تندمل بعد، واستعادة لوقائع لم تسقط من الذاكرة الفلسطينية المثقلة بالفواجع، من دير ياسين الى قبيه الى السموع، ولم تتوقف في تل الزعتر، وان كانت خاتمتها الكبرى في صبرا وشاتيلا، الامر الذي دعاني في هذا الجزء من السلسلة الى إيلاء معركة بيروت، وحصارها المديد، ومذبحتها المرعبة، كل هذه العناية الاستثنائية، وتخصيص كتاب كامل لها، اعتقاداً مني ان هذه الصفحة من كتاب الثورة الاشمل، بكل ما حفلت به، هي صفحة عزيزة على قلوب الذين عايشوا تلك الوقائع، وكانوا شهوداً عليها.

ISBN 978-9950-364-38-7

9 789950 364387

جامعة القدس
معهد القدس للدراسات والأبحاث